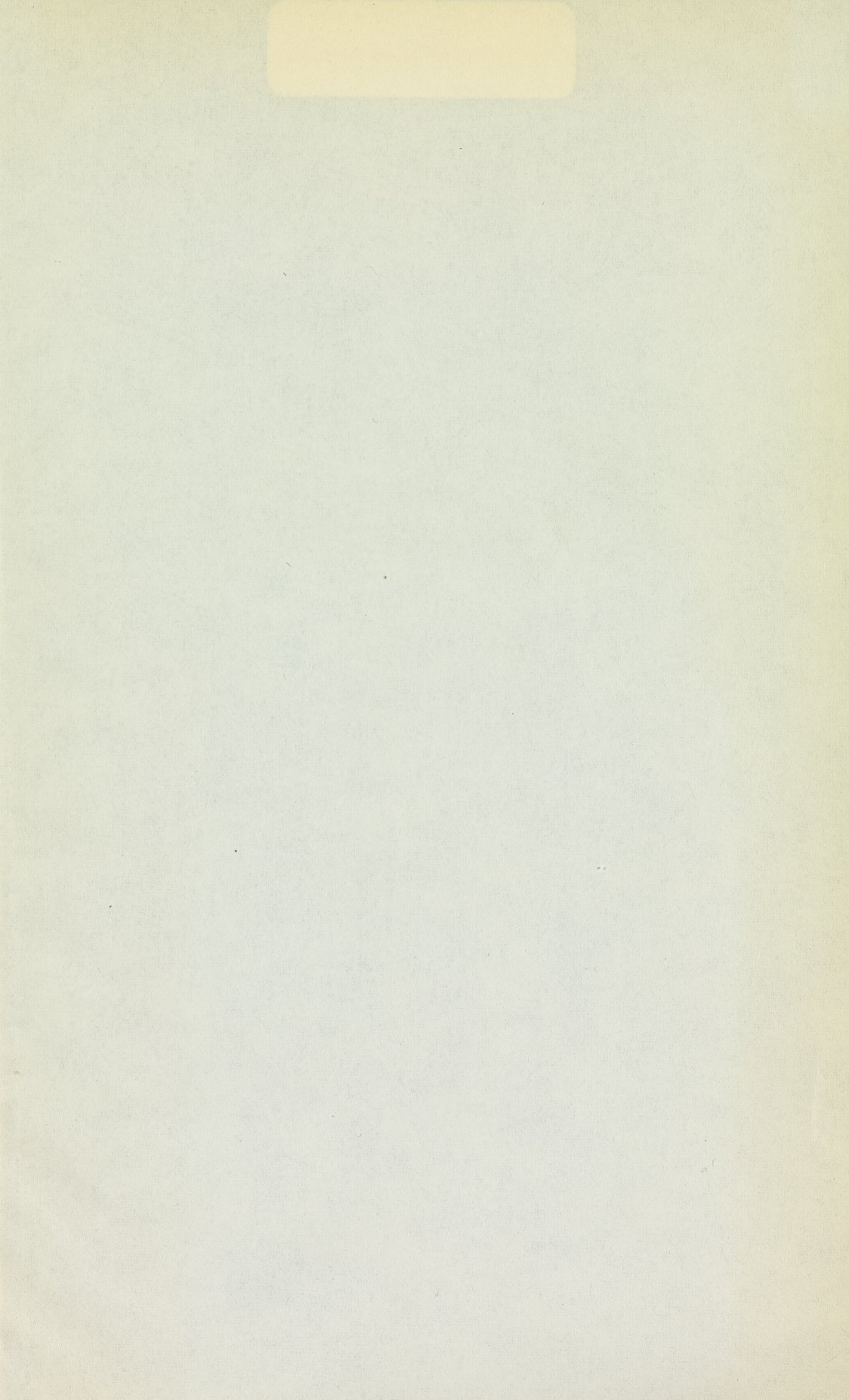
ملك وآمال شعب

زينب الغزالي الجبيلي





al-Ghazzālī al-Jubaylī, Zaynab

ملك وآمال شعب

Malik wa-āmāl shaʿb

بقلم

زينب الغزالي الجبيلي

مطابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد حلمي المنياوي

١٥ رجب ١٣٧٣
٢٠ مارس ١٩٥٤

الإهداء

إلى المؤمن بالله وبالحق وبالعدل . . .

إلى من بعث فى البلاد المقدسة مجدها الشامخ وحضارتها العريقة . . .

إلى عاهل الجزيرة العربية الملك سعود الأول . . .

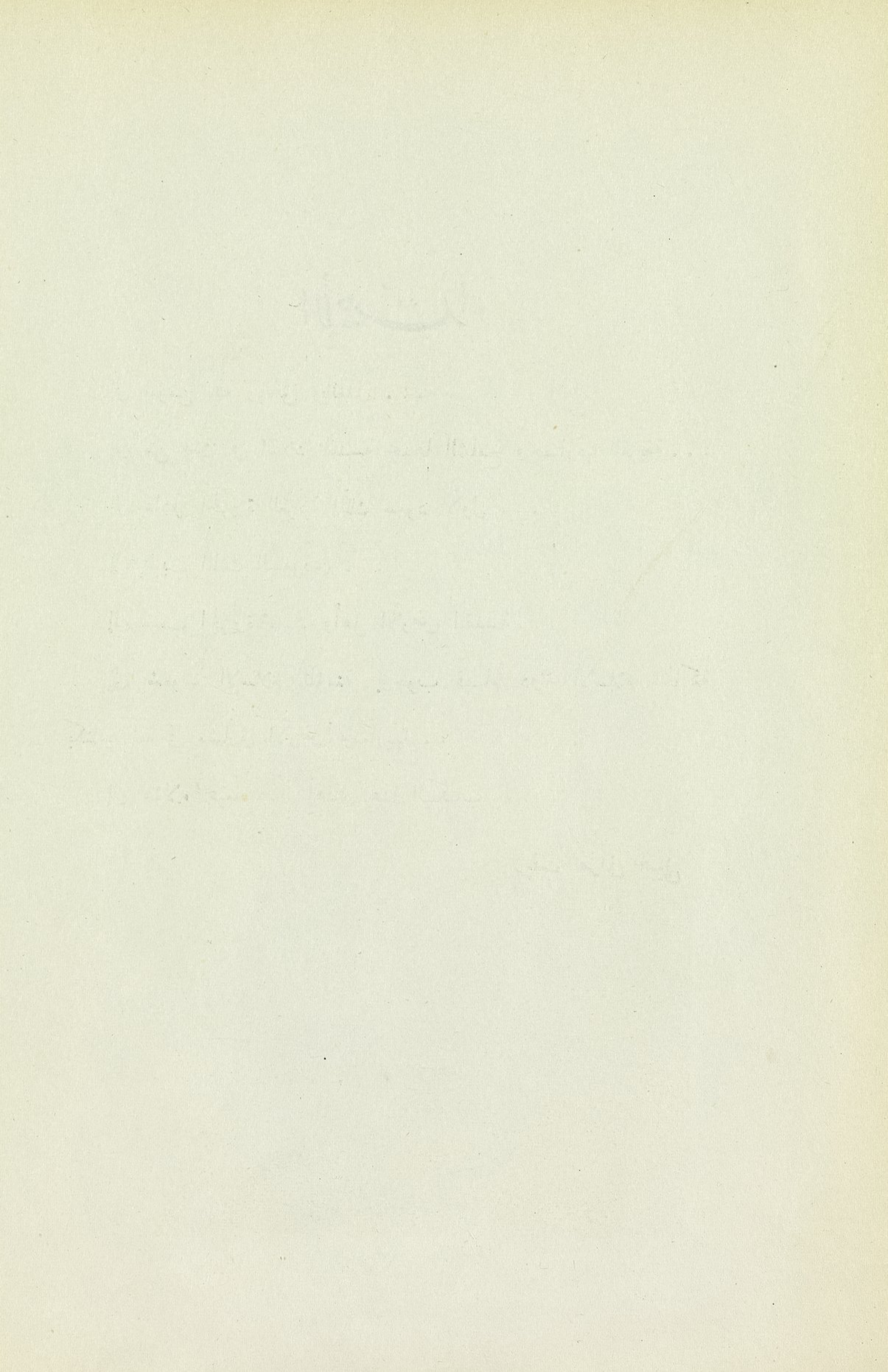
إلى البيت المالك السعودى . . .

إلى شعب الجزيرة . . . وأهل الأرض المقدسة . . .

إلى شعوب الإسلام المؤمنة بوجوب قيام دولة الإسلام الحاكمة بكتاب الله فى مشارق الأرض ومغاربها . . .

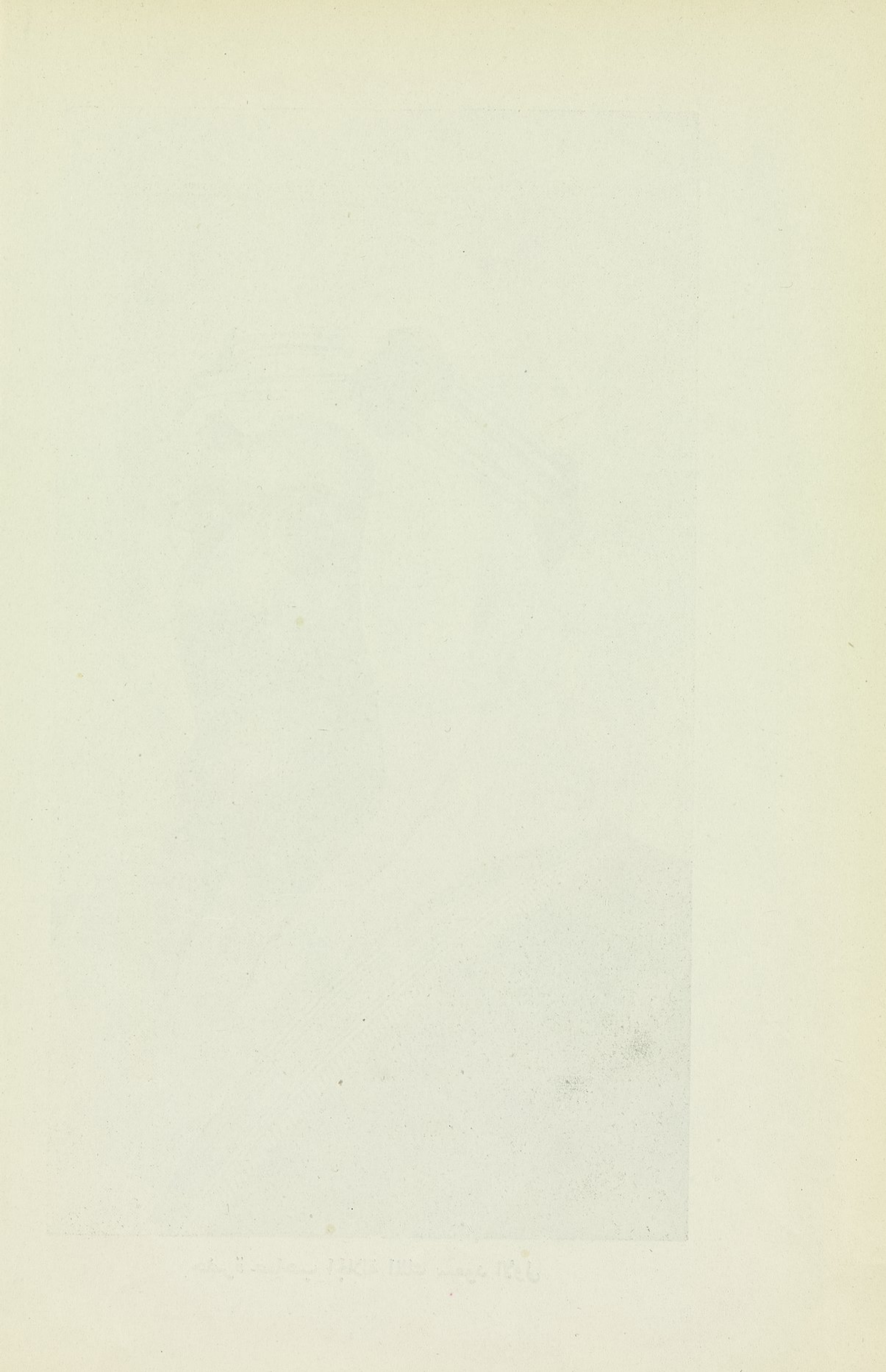
إلى هؤلاء جميعاً . . . أهدى هذا الكتاب . . .

زينب الغزالى الجبيلى



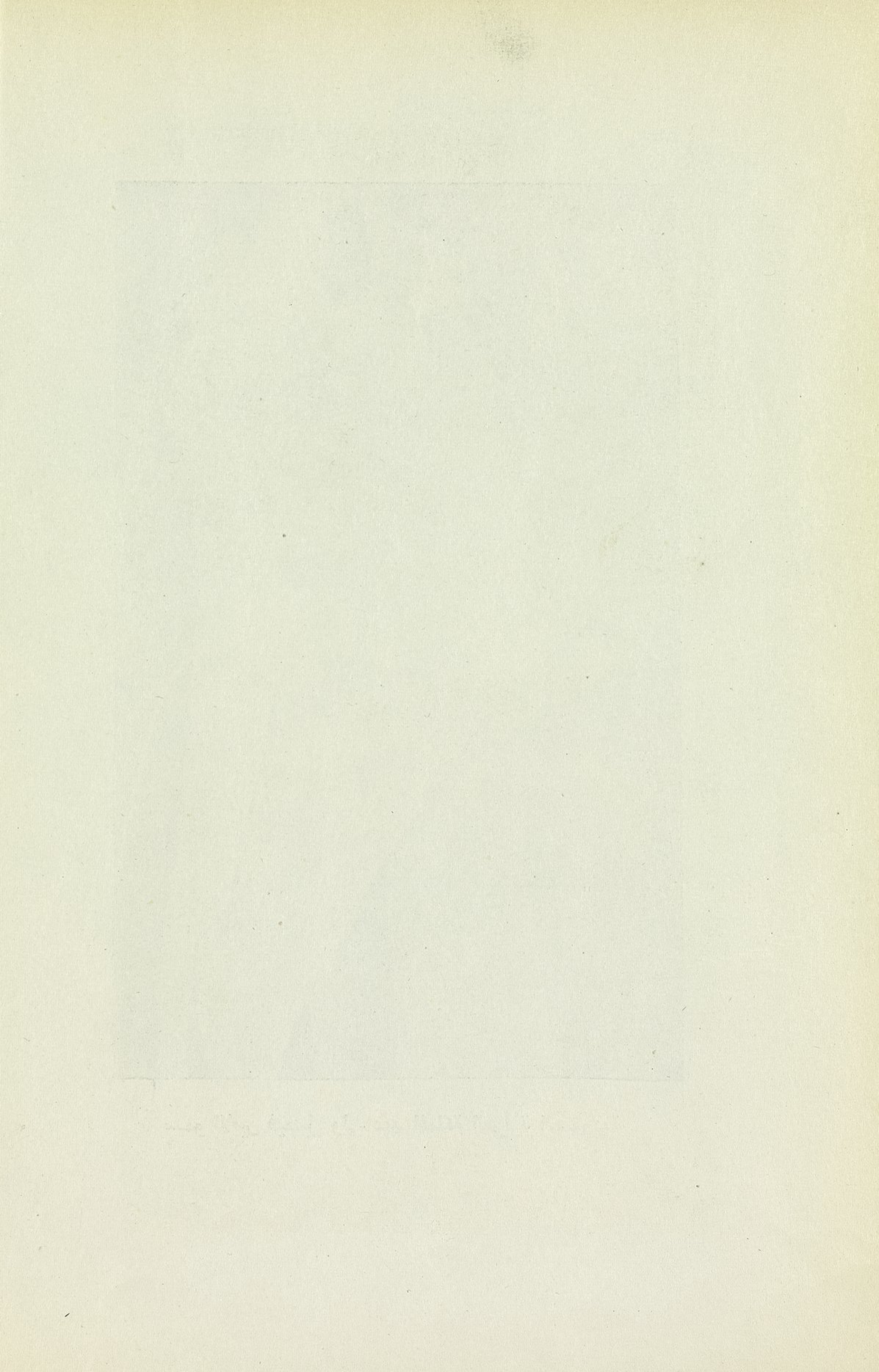


حضرة صاحب الجلالة الملك سعود الأول



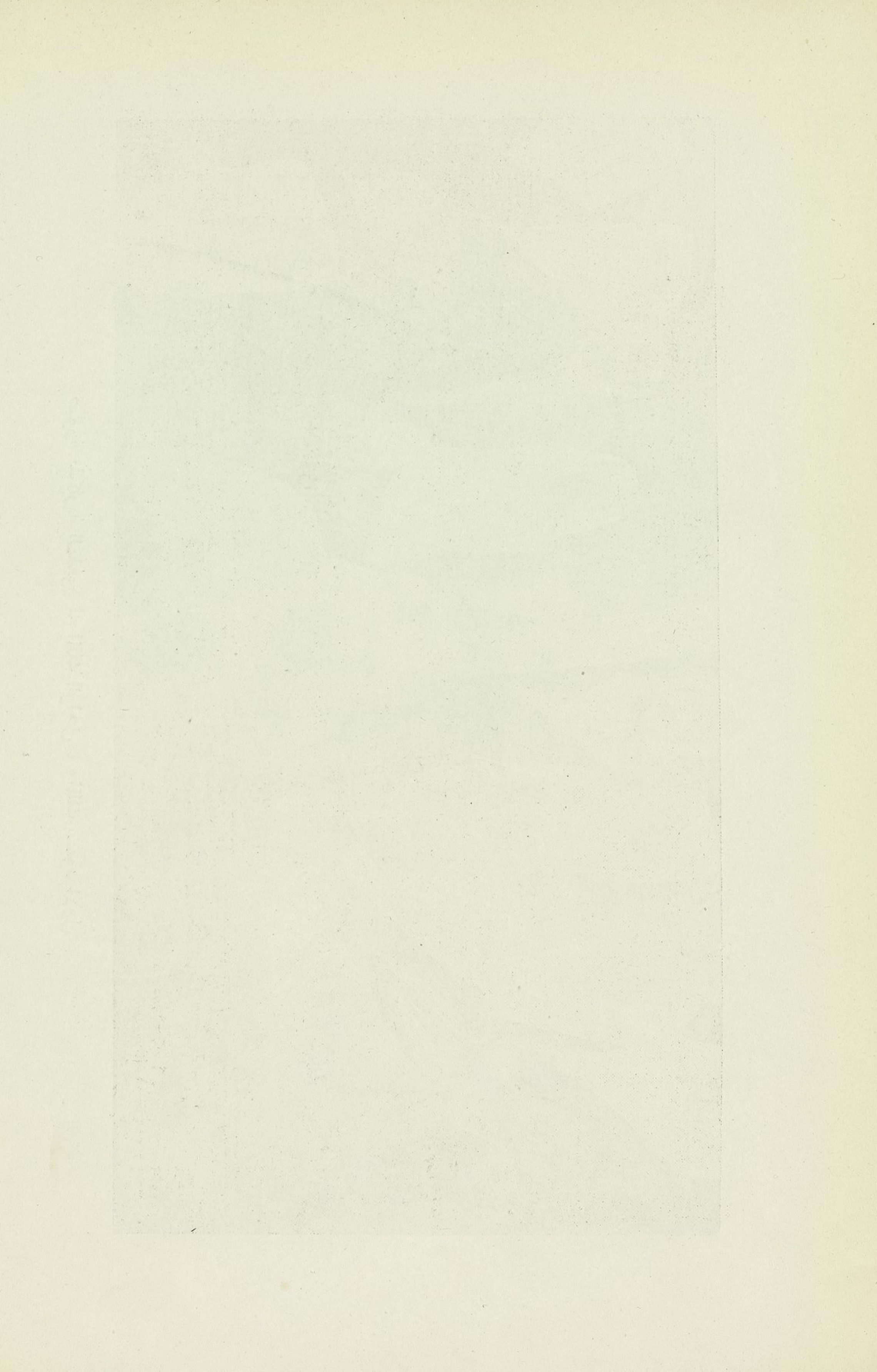


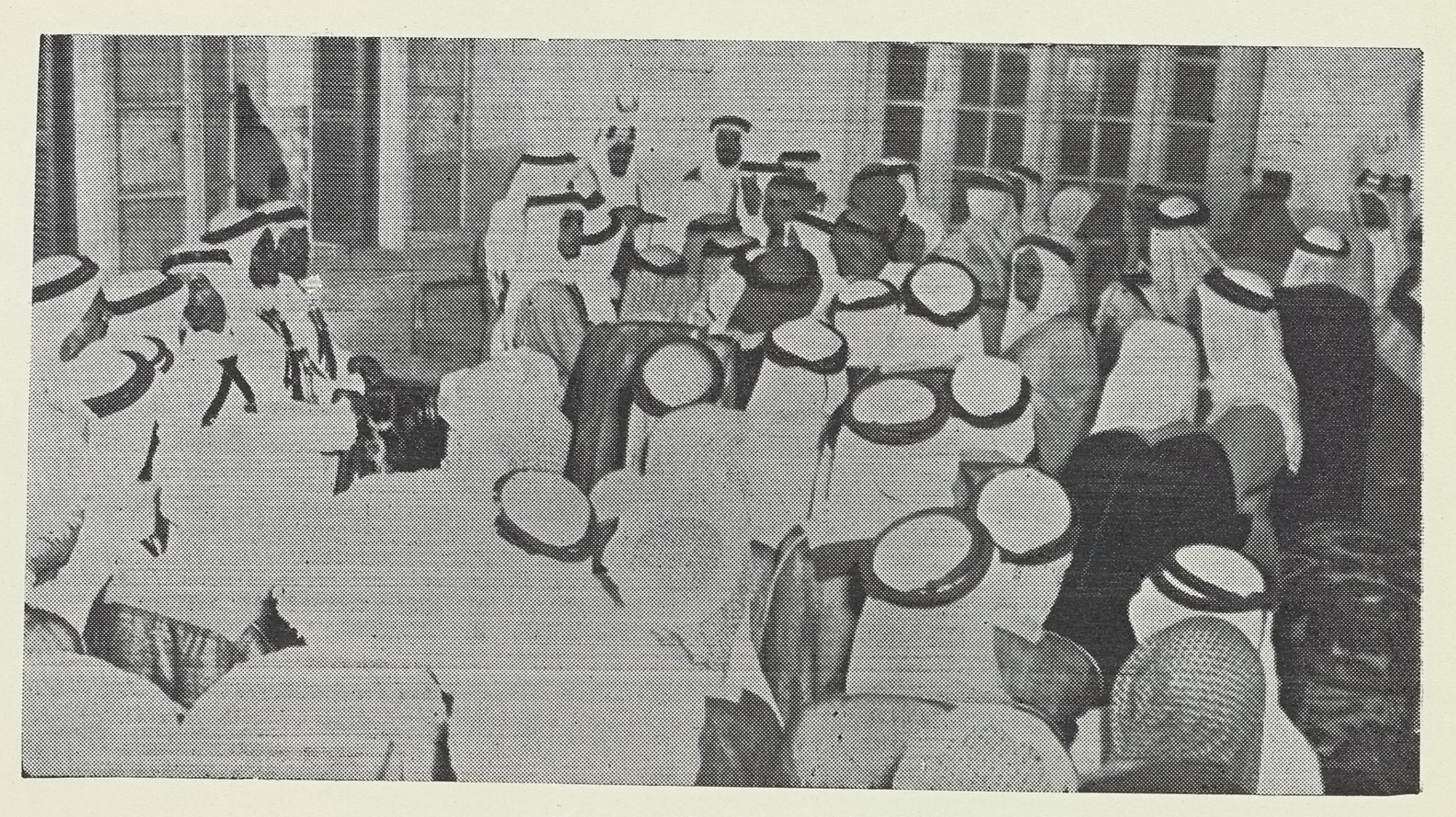
سمو الأمير فيصل ولى عهد المملكة العربية السعودية



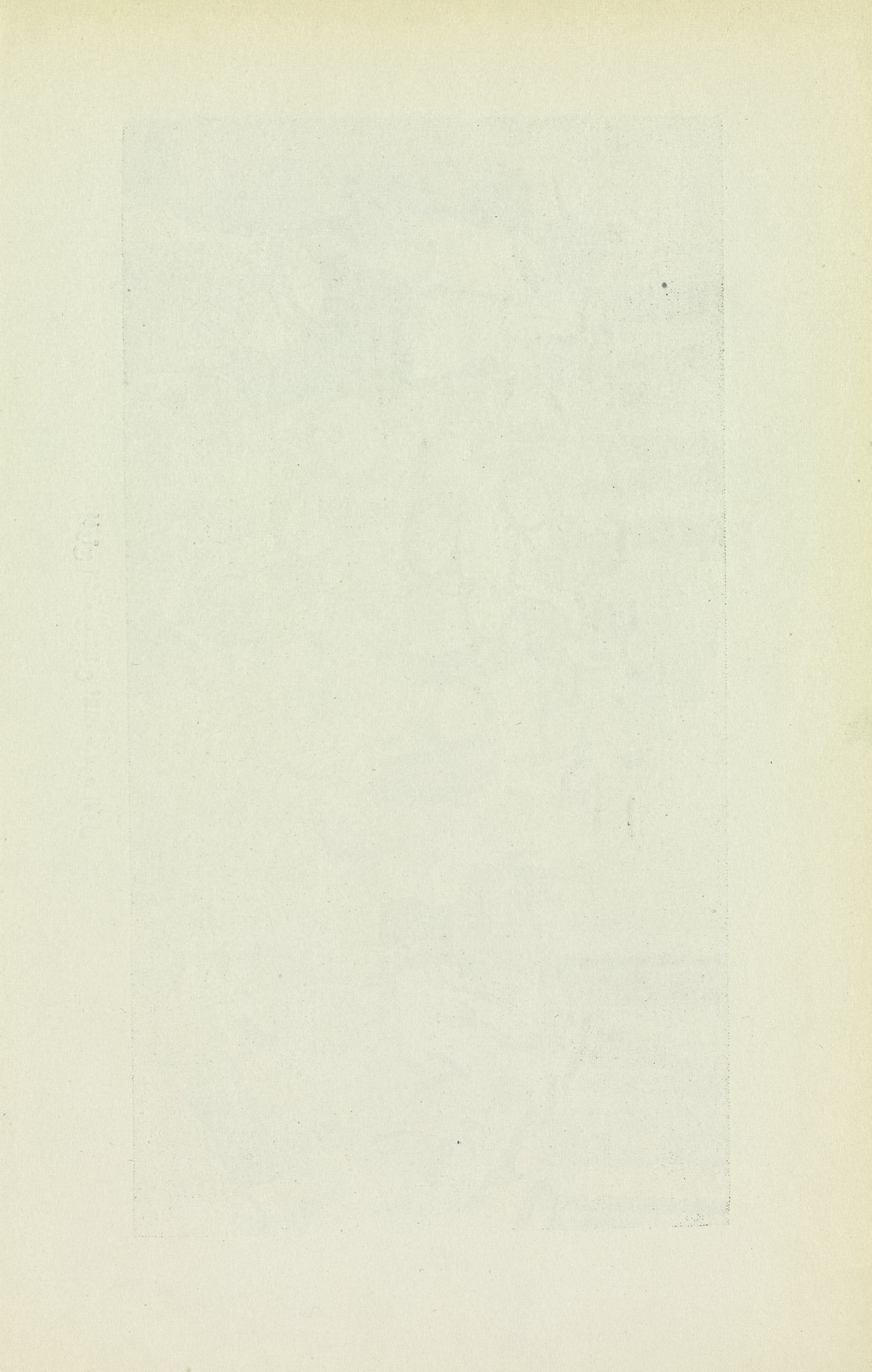


صورة تذكارية للمغفور له الملك الراحل ، والملك سعود الأول



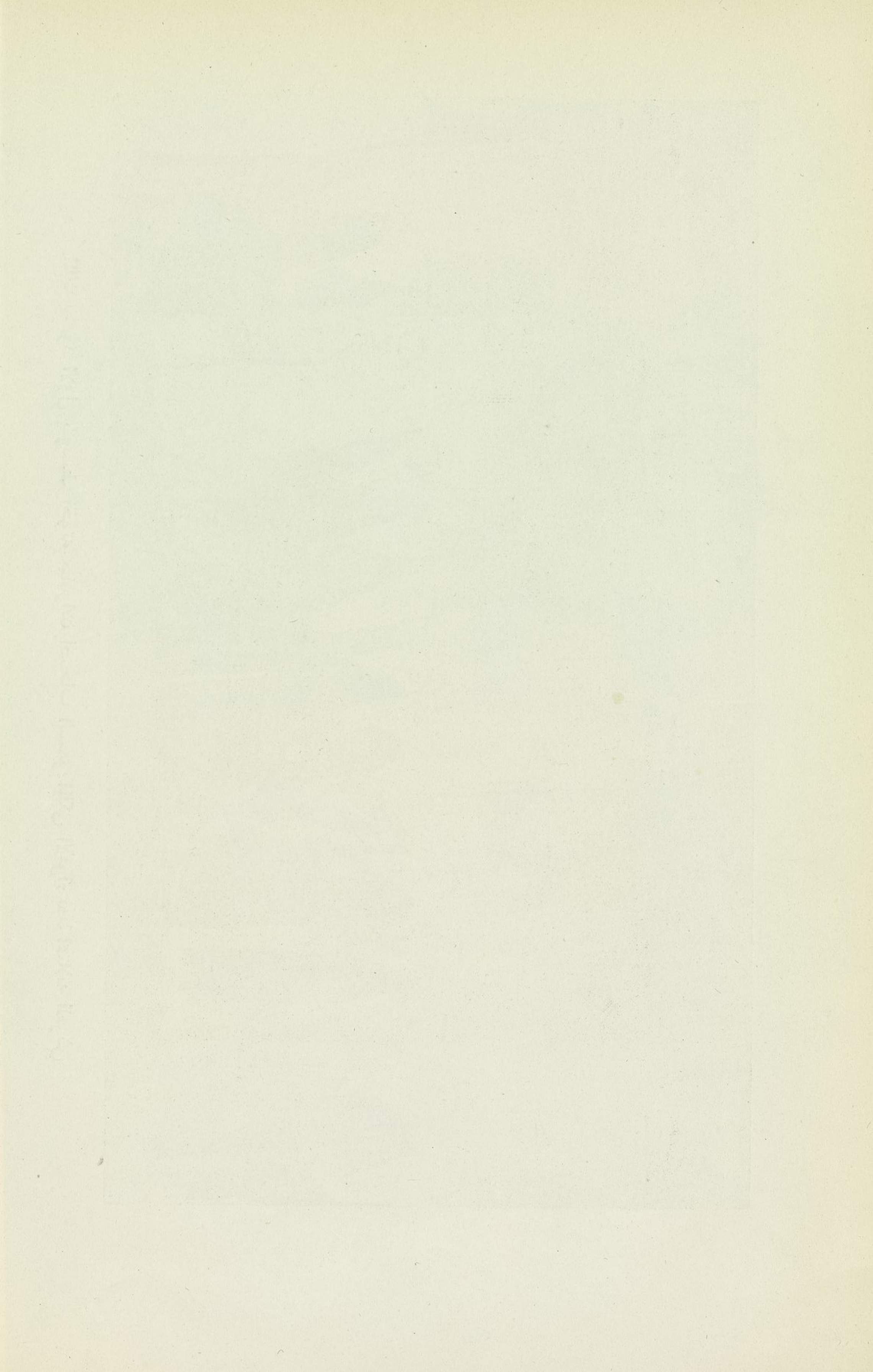


أفواج الشعب تبايع الملك سعود الأول



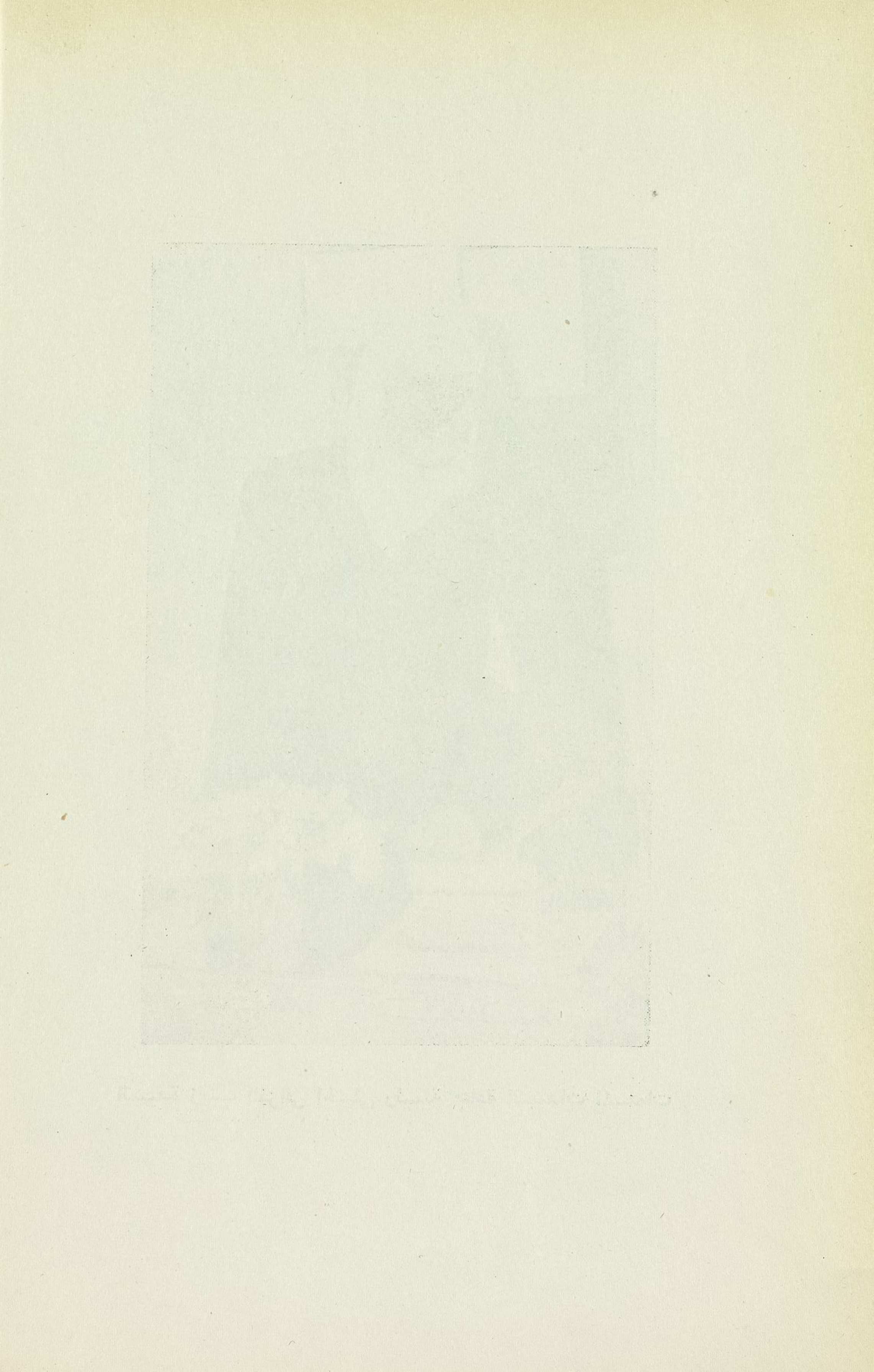


الملك سعود الأول يتوسط أخوته حضرات أصحاب السمو الملكى الأمراء بعد اعتلائه العرش





السيدة زينب الغزالى الجبيلى رئيسة جماعة السيدات المسلمات



شكر وتقدير

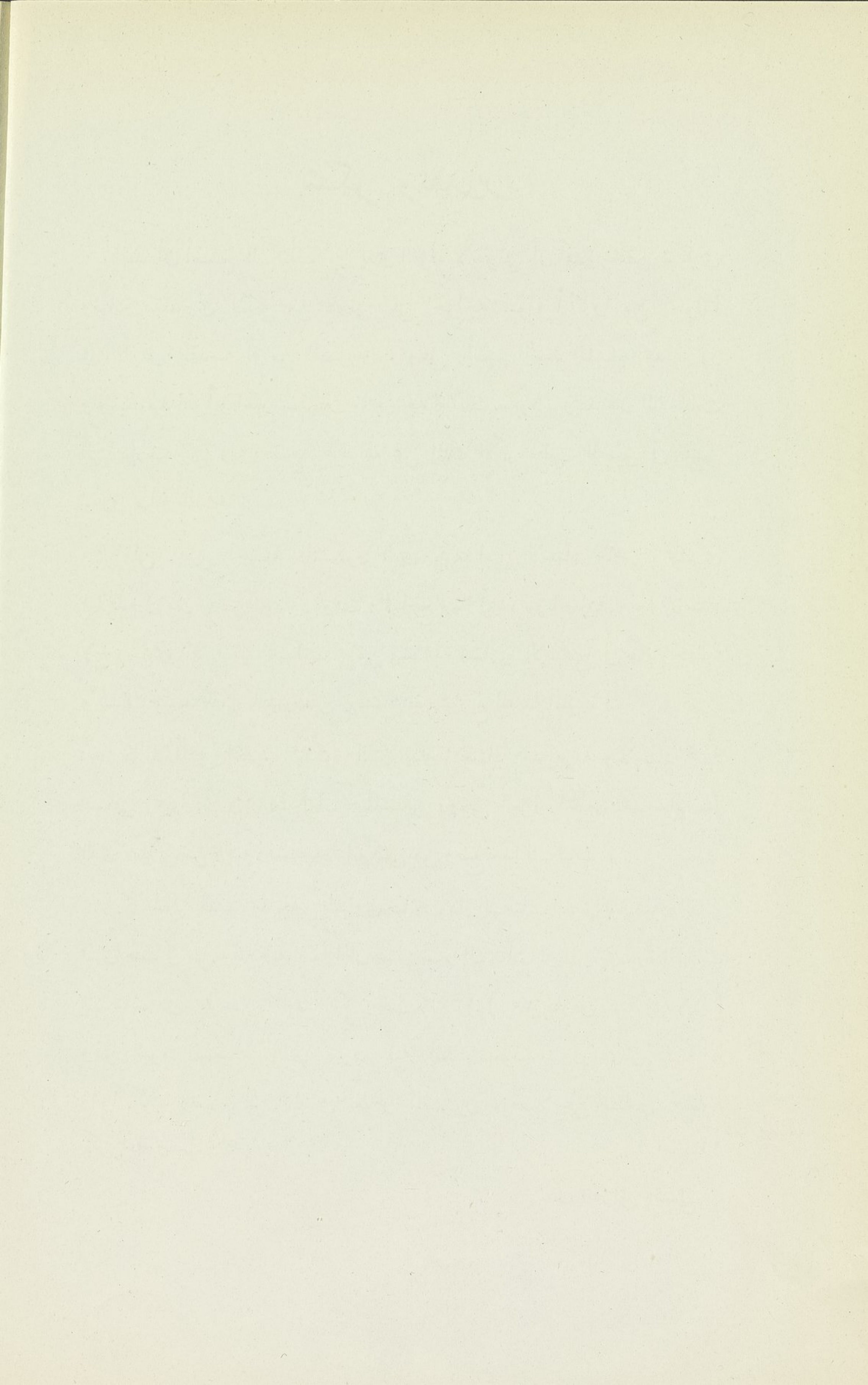
بعد أن أصبح الكتاب بين يدى القراء لايفوتنى أن أقدم خالص شكرى وصادق تقديرى لكل من عاوننى على إخراجه سواء أكانوا من إخواننا فى الأرض المقدسة أو من المصريين ، وعلى رأسهم السيد الشيخ محمد سرور والسيد عبد الله أبو الخير سكرتير خاص جلالة الملك سعود . ولقد كان للأحاديث التى دارت بينى وبين السيد عبد الله عن الملك الأثر الطيب العميق فى نفسى لوثوق صلته بالملك .

ولن أنسى الجهد المشكور الذى بذله ابنى الأستاذ طاهر زمخشرى فيما قدم لى من خالص الجهد والوقت والمراجع ، مما أعده عونا صادقا له ، وللأستاذ الأخ رشدى الملا فضل تمكنت به من مشاهدة مشاريع الإصلاح فى مكة وجدة ، وكذلك للسيد القزاز الذى يسر لى مشاهدة مشاريع المدينة المنورة .

كما لا أنسى الجهد المشكور الذى بذله الأستاذ محمد عرفة والأستاذ محمود صبحى زغلول ، وكذلك أخص بالشكر زوجى العزيز الحاج محمد سالم سالم الذى منحنى من وقته وتشجيعه ما مكننى من وضع هذا الكتاب .

كما أشكر السيد محمد حلمى المنياوى صاحب دار الكتاب العربى للطباعة والنشر الذى جند لى من وقته وعماله ما أعان على طبع الكتاب فى فترة قصيرة أظهرت الكتاب فى موعده المحدد ١٥ رجب ١٣٧٣ (٢٠ مارس سنة ١٩٥٤) وهو اليوم السعيد الذى شرف فيه الملك سعود الأول أرض الكنانة زائراً كريماً وضيفاً كبيراً له فى نفوس المصريين ، فضلا عن المسلمين جميعا ، كل تجلة وحب وإعزاز

زينب الغزالى الجبيلى



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

سيدى القارىء العزيز :

أرجوك عند ما تمسك بهذا الكتاب لتتصفحه ؛ ألاّ تعتقد أنه مجرد كتاب يقدمه كاتب لينال حظوة عند حاكم عظيم أو ملك جليل .

لا والله . .

فالعوامل التى أملت علىّ تأسيس المركز العام لجماعة (السيدات المسلمات) فى تلك الأيام الأولى من ربيع الأول سنة ١٣٥٦ من الهجرة ، هى نفس العوامل التى أملت علىّ تأليف هذا الكتاب — وهى عوامل بعث الفكرة الإسلامية ، وقيام دعائم الدولة الإسلامية الحاكمة فى الأرض . . . والبحث والتنقيب عن مثلها العليا .

نعم يا قارئى العزيز :

إن معارضاتى ومناقشاتى ونقدى لعلماء الأزهر سنة ١٣٥٦ من الهجرة فى دار كلية الشريعة (بشارع البرمونى بعابدين) ، هى التى صنعت منى مؤسسة لدعوة (السيدات المسلمات) ، وأقامت منى داعية للإسلام ، ومكافحة فى سبيل قيام دولته الحاكمة ، وكذلك — يا عزيزى القارىء — معارضاتى وانتقاداتى للحكومة السعودية . وجدلى ونقاشى مع رجال أجلاء ، وشباب نبيل من الشعب

المسلم العربى السعودى العريق فى إسلامه وعُروبته — هى التى جعلتنى أطلب مقابلة الملك سعود .

***

وفى سنة ١٣٧١ هـ حين كان جلالته ولى عهد البلاد المقدسة — قابلته وناقشته — وكان جلالته فى مناقشتى حكيما، يناقشنى فى رضا عن نقدى إن نقدت ، وفى دفاع نبيل كريم إن تغاليت فى النقد والمؤاخذة .

وخرجت من مقابلة الملك سعود وأنا مؤمنة بحدث تنتظره بلاد الله الحرام وجزيرة المجد والغزو والفتوحات والنصر فى سبيل الله .

وأخذت أبحث وأقابل رجالاً من السعوديين من أصحاب الرأى والحكمة ، وأخذت أطيل الحديث والبحث مع الملك الذى ناقشته كما ناقشت أفراد شعبه فكان أوسع صدراً ، وأشد بحثاً وتنقيباً عن الحقيقة ، وبعد اتصالات عديدة تضاعف إعجابى واشتد ولائى للملك المرتقب حينذاك ، وتضخمت آمالى وقويت عقيدتى فى قيام دولة الإسلام موحدة الصف والكلمة ، وبتفسير حلم المسلمين وتحققه بقيام الجامعة الإسلامية والحكومة الإسلامية العالمية الموحدة الرأى والصف . ولا شك فى أن هذا الحلم سيتحقق ما دام فى رجال المسلمين مثل سعود بن عبد العزيز .

***

وصممت على إخراج كتابى بعنوان : (ولى عهد وآمال شعب) وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ١٣٧٢ وكنت حينذاك بمكة المكرمة ، وعدت إلى مصر وشغلتنى أثقال الدعوة ومطالب المركز العام وفروعه عن تحقيق أمنيتى . حتى جاء الموسم وقدر لى أن أؤدى فريضة الحج .

فتشرفت بمقابلة جلالته للمرة الثانية فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٧٢ ﻫ ، وقدمت له عدداً خاصاً من مجلة (السيدات المسلمات) تناول شئون الحج ، وذكرت بين يدى جلالته أننى أرجو أن أخرج كتاباً عن جلالته بعنوان (ولى عهد وآمال شعب) .

وكم كانت دهشتى عندما سألنى جلالته بفطنة الحكيم المجرب : « وماذا ستكتبين فى الكتاب » ؟ .

وقبل أن أجيب قال جلالته حفظه الله : « إن كثرة المديح قد أخرتنا معاشر المسلمين عن ركب الأمم » .

فقلت — : « نعم يا مولاى — ولكنى آمل أن أقدم هذا الكتاب هدية للشعب والملك فى آن ، وإنى لا أريد بإخراجه إلا تسجيلا لتاريخ حافل ، وتصويراً لمستقبل بلاد كريمة عزيزة .

وأذكر يا مولاى أنى فى مقابلتى الأولى لجلالتكم قلت وأنا ماثلة بين يديكم : « أرجو الله أن يجعل تلك الصلة لله وأن تكون إن شاء الله للتعاون والتفانى والكفاح المتواصل فى سبيل قيام دولة الإسلام الحاكمة بما أنزل الله تعالى فى جميع بقاع أرض الإسلام » .

***

وكذلك يامولاى أريد إخراج كتاب «ولى عهد وآمال شعب» وما هو إلا نفثة مشتاق إلى عودة أمجاد دينه ودولته وأهيب فيه بأعرق وأكرم شعب على الله فى أرضه بأن يتيقظ من غفلته التى طالت فأضاعته بين الأمم — وأنادى فيه أعرق مليك عربى لأذكره بما له على شعبه وما عليه لشعبه فتكون الشورى

السليمة ، والرأى الحكيم الذى رضى به القرآن وسار على هديه محمد عليه الصلاة والسلام .

* * *

فلقد جاء يا مولاى أبوك العظيم بعد تلك القرون الطويلة التى مرت على المسلمين ، وكأن الإسلام فيها لم يأت إلا بطقوس وصور ورسوم ، فمحمدٌ لم يشرع ولم يقنن عن ربه إلا لتكون حكومة القرآن ويكون الحاكمون بالقرآن هم ورثة الأرض وهم أصحاب الأمر فيها .

نعم يا مولاى جاء والدك ونادى ؛ وحارب ؛ وأقام الحكم بالشرع وبما أنزل الله ، وآمالنا أن تكون وأنت أمل أبيك وأمل المسلمين فى بقاع الأرض حامل العلم والمنادى إلى قيام الجامعة الموحدة والحكومة الإسلامية العادلة الباعثة لأنوار الحكم المحمدى ومجدد أمجاد الحكم العمرى ، ولن يكون ذلك يا مولاى إلا بإيجاد حاكم يتمثل بعمر الفاروق أمير المؤمنين حين قال على المنبر : « مَنْ رَأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه » — وسيكون كتابى يا مولاى أمواجاً متزاحمة من آمال المسلمين فيك بصفة عامة وآمال شعبك بصفة خاصة مصورة كم أديت لهم من واجبات وكم قصرت فى حقهم ثم نسألهم حقك عليهم كما سألناك حقهم عليك » .

فرد الملك بقوله : « إذن قبلت منك الهدية واعلمى يا أختاه أن المدح المتغالى فيه يعمى الرجال . أما النقد البرىء الخالص والرأى الصريح الحر وشجاعة الكاتب وجرأته كل هذه تربط بين روحه وروح القارئ .

وألقيت على الملك نظرة طويلة وقد أعجزنى بيانه ثم قلت :

بهدى إرشادك يا مولاى وبحكمة رأيك ، سأقدم هذا الكتاب غير محابية فيه الملك وغير هاضمة فيه حق الشعب ، فقال : « حسنا » يا أختاه .

عزيزى القارىء :

لقد شاء القدر ألا أقدم لك هذا الكتاب عن (ولى عهد وآمال شعب) ولكن . . أراد الله أن أقدمه عن (ملك وآمال شعب) .

وأخيراً تمت إرادة الله كذلك فشاءت علىّ أن أتعجل ظهور الكتاب ، فمعذرة إلى القراء إن لم أكن قد وفيت ما للملك سعود ولشعبه المجيد من آثار وأفضال ، وما كان يختلج فى نفسى من آمال واسعة عراض كنت أنوى أن أبسطها مفصلة ولكنها جاءت موجزة مركزة بسبب هذه العجلة .

وماحيلتى . . . وقد حملت الأنباء السعيدة مقدم جلالة الملك سعود أرض مصر ، فصممت بدورى أن يكون الكتاب بين يدى القراء عند تشريفه أرض الكنانة .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الكتاب فعلاً هدية للملك والشعب .

زينب الغزالى الجبيلى

اللقاء الأول

فى مساء يوم من أيام ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ أخذنا نشق الطريق من مكة المكرمة إلى جدة حتى وصلنا بعد ساعة إلى منزل صديقنا رشدى الملا ، واسترحنا قليلاً ثم استأنفنا المسير إلى القصر الملكى العامر بجدة .

وكانت فى صحبتى عضو الجماعة (السيدة ضحى عاصم) ومقرئة بعثة الجماعة للحج ، وابننا طاهر الزمخشرى وشقيق على الغزالى ، وتركنا طاهراً وعلياً خارج القصر ، ودلفنا إلى القصر حيث أرشدنا رجاله إلى جناح الحريم .

وهناك استقبَلتنا صاحبات السمو الملكى بما اعتدن أن يستقبلن به الزائرات من بشر وترحاب ، وفى صالة الاستقبال التقينا بزوجة ولى العهد آنذاك وفى حضرة هذه العائلة الكريمة عشنا فى عالم كله جلال وجمال واحتشام ، وكأننا عدنا إلى ذلك النور الذى كان يغمر العالم فى عهود حكام المسلمين الأُول المحافظين على تقاليدنا العريقة وتربيتنا الدينية .

وطافت بخاطرى زبيدة زوج الرشيد وغيرها من صاحبات التاريخ الناصع بجلال الدين الإسلامى الحنيف ، وحسن التزام المرأة المسلمة بحدود كماله . . نعم كنت أشعر أنى فى بيت عظيم ، ولكننى مع ذلك لا أشك أنى فى بيت حاكم من حكام المسلمين ، وبين أفراد أسرة حاكم مسلم . . فملابس الأميرات وحديثهن كل ذلك كان من نبع التربية الدينية السليمة . ولقد سألتنى صاحبة العظمة زوجة الملك سعود عن رسالة السيدات المسلمات فى مصر ومدى نشاطهن

وتأثيرهن فى نساء الإسلام ؟ فما كدنا نبدأ الحديث حتى قطع فجأة ، إذ أعلنت إحدى وصيفات القصر قدوم سعود المعظم .

ووقفت الزوجة الكريمة يتقدمها الأميرات . وقفن جميعاً صفاً لاستقبال القادم الكريم ، ودخل جلالته يتبعه شابان فارعان ، فى نظراتهما عزيمة وقوة إرادة ، وفى ابتساماتهما المرحبة طلاقة عربية صادقة ، فصافحت جلالته وقدمت له عضو الجماعة فرحب بنا أكرم ترحيب ، ثم نظر إلى الشابين النابهين وقال : بصوت وقور (هذا ولدى فهد وذاك ولدى خالد وهؤلاء بناتى وتلك زوجتى) فأجبته (إن تعرفى بالأسرة الكريمة شرف يتزاحم عليه الأشراف) .

***

وجلس جلالته وجلسنا إليه ، وبدأ يسألنى عن رسالة (السيدات المسلمات) فأوجزت التعريف بها ، ثم أخذ يسألنى عن حالة الأمة المصرية ؛ وتدرج الحديث حتى تطرق إلى شؤون البلاد الإسلامية بأسرها . وأتاح لى — عن طيب خاطر — الفرصة لأنقد كل ما أريد نقده فى المملكة العربية السعودية ، فتكلمت بحرية عن كل شىء يعز علينا نقده وأن يشاع عن البلاد المقدسة ، كما تحدثت عما يجب أن يكون عليه حكام الحرمين وأمراؤهما من مراقبة الله سبحانه مراقبة تتفق وما أسبغ عليهم من شرف وعزة ومجد بأن قلدهم حكم الحرمين وحراستهما ، ثم أتاح لى الفرصة أيضاً لأتكلم عن أمانى المسلمين فى سياسة حكام الحرمين وما يجب عليهم نحو المسلمين ، فهاجمت كثيراً من النظم فى البلاد السعودية وبعض نقاط الضعف التى لاحظتها فى الجهاز الحكومى ؛ وبطء بعض المشاريع العامة التى لها علاقة بالحج والحجاج ، فلم يغضب جلالته ومدحت ما يستحق المدح فلم يطرب ولم يغتبط بقدر ما طرب واغتبط من النقد .

ألا تباً لسماسرة الصحافة وزعمهم أن آل سعود يغضبهم النقد ويثيرهم ، فالحق أن جلالته قدم لى الدليل ، والدليل الصادق على أن النقد لا يغضب أبناء ليث العروبة ، وأن سعود بن عبد العزيز لا تغضبه كلمة الحق ما دامت نزيهة لا يروم بها صاحبها غاية رخيصة .

فو الله لقد آمنت بأن جلالته يؤمن حقاً ويفهم معنى (الحديث الشريف) الوارد عن تميم الدارى رضى الله عنه وما يرمى إليه فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) — قلنا : لمن يا رسول الله : ؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

نعم ماذا أقول ؟ وقد نقدت دقائق . . ليس لى أن أخوض فيها ، ولكنى عند ما قلت له يا مولاى : (إنى أغار على المسلمين وعلى بيتكم الكريم وعلى أهل الحرمين ، ولا شك أن الله ما ولاكم هذا الملك وجعلكم حراس بيته وساسة حرم نبيه — إلا لكرامة لكم عنده . فهل يأذن لى مولاى أن أتكلم عما يؤلمنا نحن المسلمين ، وعما يجب ألا يقع وما ينبغى أن يكون ولو بذلنا فى سبيل ذلك أرواحنا ؟ فأجاب : (بل تكلمى ولك الحرية إننا بشر يخطىء ويصيب . والله سبحانه وتعالى عاصم عباده ؛ ونحن لا نملك إلا أن نلجأ إليه دائماً ، وندعوه أن يتوب علينا ويهدينا صراطاً مستقيماً) ، — وماذا أقول ؟ . . فقد أطلت الحديث وغمرتنى مكارمه ، فنسيت كليةً أننى فى حضرة من سيكون ملك أقدس أرض يفتديها المسلمون ، فقد غدا المجلس مجلس نقد وبحث وعلم وعلاج لإيجاد الحلول . لا يقتصر على ما نراه فى البلاد العربية السعودية فحسب ، بل يشمل جميع ما نحس به من مآسٍ فى جميع أقطار الأمم الإسلامية فى العالم أجمع ، وانتقلنا من نقد دولة عزيزة وملك يفتديه المسلمون إلى حديث عن الأمة

الكبرى ؛ أمة الإسلام التى قسمها أعداء الإسلام ، وجعلوها ممالك ودولاً ، وإمارات مجزأة ضعيفة عزلاء لا حول لها ولا قوة ؛ بعد أن كانت وحدة قوية متماسكة ، رشيدة القيادة صفاً واحداً غير منقسم ولا مشطور .

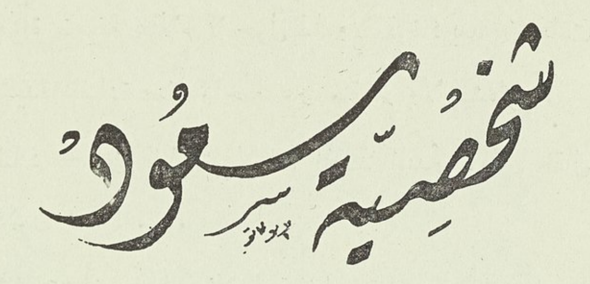
وتساءلنا : — أين الطريق لإعادة المجد المندثر ! ؟ . فقال رعاه الله : « ليتها تكون » ؟ ! . . .

ولقد شعرت أننى أجلس لا إلى رجل خطير الشأن ، بل إلى شاب من الشباب الثائر الغاضب لما وصلت إليه حال العرب الذين بوأهم التاريخ مكان الصدارة أو إلى شيخ من الشيوخ الذين أوقفوا حياتهم لا لاسترجاع مجد الآباء فحسب بل لبناء مجد جديد لا يقل عن مجد الآباء روعة وعظمة ، والحق أن أخص ما يتميز به سعود هو : الجمع بين عزمة شبابه الوثاب وحكمة الشيوخ المجربين الذين ما رسوا الحياة على اختلاف وجوهها ، ولعل ما أضفاه شبابه وحكمته على الحديث من لذة وعذوبة أنسيانى وصحبى أن الوقت قد امتد بنا فقلت : يا مولاى لقد أخذت من وقتك الثمين أكثر مما يجب فوقتك ليس ملكاً لك ولكنه ملك لشعبك الذى تسهر عليه فهل يأذن لى مولاى بالانصراف ، قال جلالته إن الوقت الذى أقضيه فى حديث عما يسعد شعبى ويرفع من شأن بلادى لهو من أحب الأوقات إلى نفسى . .

ثم ختم هذا اللقاء بكلمات لن أنساها حين قال :

(والله لقد تركت قلبى يغلى بتلك الأمانى . . فماذا نفعل . ! إننى أؤمن بأننا يجب أن نعمل ،وإن شاء الله سنعمل . وأعتقد أن ساعة عمل المسلمين قد اقتربت) .

وغادر جلالته القاعة بعد أن صافحنى فتركنا القصر وقد امتلأت نفوسنا أملاً بمستقبل باسم لهذه البقعة المباركة وكيف لا وسعود رجلها وهو الذى ترغبه النفس ولا ترهبه ، وتطيعه لا عن خشية بل عن حب وإعزاز ، وتلتف حوله القلوب .



الملك سعود رجل طويل القامة . قمحى اللون ، جهورى الصوت ، فى نظراته وفى قسمات وجهه وقار وجلال ، يقابلك بابتسامته الوادعة ، ويمد إليك نظراته الهادئة ، فتنقاد إليه قبل أن يتكلم ، فإذا أخذ يحدثك أو يجيبك أصغيت إليه فى مهابة وإيمان بما يقول لأنه حكيم الرأى . بليغ العبارة ، لا ترهبه فتخافه ولكن تحبه فتطيعه ، ويستمع إليك بعطف وتقدير وإن خالفت رأيه ، فيقوى فيك الإيمان به والتفانى فى خدمته فتنصب من نفسك جندياً متطوعاً لخدمته وخدمة كل من يتصل به .

ويبدو مهما بلقائك مهما كان مركزك بل ويشعرك أنك أخوه إن كنت تقارب سنه . وبأنك ابنه إن كنت فى مثل سن أبنائه . وبأنك أبوه إذا كنت أكبر منه سناً .

وهكذا يلقاك إذا كنت شخصاً عادياً أما إذا كان الماثل بين يديه زعيماً أو ملكاً أو أميراً أو حاكماً فيجد فيه الشخصية القوية الجبارة المتواضعة فى عزة ومنعة وفى غير استعلاء ، فهو الهادئ المهاب فى أخوة حلوة أو أبوة رحيمة أو زمالة كريمة .

ولا تكاد تمر بعض الدقائق إلا وتجده شخصية فذة تتجسم فيها مقدرته وعروبته ومكارمه وتواضعه وحكمته وعزمه ورأيه الصائب ، فلست بواجد

شخصية تستطيع أن تطغى على شخصيّة سعود العظيمة ، بل تجده عظيما فى غير كلفة بطبيعة فطرته التى نشأ عليها ونما فى أحضانها .

وتلك الميزة العظيمة هى من خصائص سعود الموروثة عن أبيه العظيم وأجداده الأمجاد .

فقد كان عبد العزيز العظيم يلتقى بملوك العالم وحكامه فلا يستطيع الواحد منهم أن يكون فى حضرته أكثر من مؤمن به ومتبع لرأيه ومرتسم لخطوط مجده وسعود الملك هو الوارث بجدارة كل أمجاد أبيه العظيم .

وعلى الجملة فشخصية سعود شخصية إسلامية بكل ما جمعت هذه الكلمة من معانى الإنسانية والرحمة أو القدرة والبطش والعظمة .

ومن أبرز خصائصه : حبه للعلماء وتوقيره لهم والرجوع إليهم فى كل دقائق حكمه والنزول عند رأيهم ، فهو يزورهم ويجاملهم فى المناسبات العامة والخاصة ولا يخلو أبداً مجلس من مجالسه من أفاضلهم وفقهائهم وهم دائماً رءوس استشاراته وأصول ثقته ومرجع حكمه ، والحاكم إذا كان هذا مركز العلماء من نفسه فهو بخير وأمته بخير فالعلماء ورثة الأنبياء ولن تضل أمة — حكاماً ومحكومين — تهتدى بهدى علمائها .

وأبرز ما فى شخصية سعود إيمانه بدينه عن دراسة وتحقيق وبحث ، فهو مسلم عامل بالإسلام لا ليرضى رعيته ويجمع حوله شعبه ولكن لأنه يعرف الإسلام حق المعرفة ، فالإسلام يجرى منه وجوداً فى نبضات قلبه ويتألق نوراً فى خلجات نفسه ، ويشع إشراقاً فى تقاسيم وجهه ، لذلك فهو يقيم أركان الإسلام بروحه وجوارحه مؤمناً به معتقداً فى عدالته ولا يرى الإسلام أبداً إلا حكماً وسياسة وعبادة ، ولا يعتقد أن الإسلام يكون على حقيقته فى نفوس المسلمين

وأحكامه معطلة بل هو على أتم استعداد لبذل روحه وماله وجاهه وكل ما يملك في سبيل إسعاد رعيته ما دامت مسلمة منفذة لأحكام الإسلام .

وهو فى نفس الوقت لا يتأخر أبداً عن قتال وتأديب أى خارج على الدين أو مفرط فى حد من حدوده .

وكما تجده ملكا عظيما تجده مسلماً عاملا ، وهو أب عطوف وزوج رحيم وأخ كريم .

ورأيت جلالته وهو يجلس بين زوجه وأبنائه وأفراد أسرته . كأنه الرحمة المنسابة من جداولها والمودة الخالصة من منابع الحب والصداقة الصافية والأخوة الكريمة ورأيته يعامل جواريه وعبيده معاملة فيها أخوة وعطف ورحمة وكأنه يعمل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « خدمكم إخوانكم » . . .

ولذلك : فهو مطاع عن حب أكثر من مطاع عن رهبة ، والرعية عندما تستمد ولاءها لراعيها من تجاوب المحبة المتبادلة بينها وبينه يستقر فيها الحكم ويستتب الأمن الذى يمكن الحاكم من التفرغ لمصالح الرعية ويصرف الرعية إلى العمل والاطمئنان والإنتاج المستمر وعلى الجملة فشخصية سعود شخصية فذة أقامتها عروبة أصيلة خالصة فأمه من أصول نجد وأبوه من سويداء أصول سراتها فهو سليل العروبة وفرعها الزكى

ولقد برزت شخصية سعود الحربية منذ نشأته الأولى — فهو مقاتل مبرز ، وقائد محنك ، وعبقرى فى رسم خطة الغزو ، وداهية فى فهم أعدائه ودراسة أطماعهم والوصول إلى سر سياسة غزوهم — كما أنه داهية سياسية فى الوصول إلى ما يثنى به أعداءه عن عزمهم فى القتال والتسليم له والانقياد لإمرته .

والذى يدرس غزواته وحروب والده التى قاد سعود جيوشها وعاد

منها جميعاً منتصراً مظفراً يعلم ذلك عن دراسة ويعلم كيف يدين له بالولاء للمكارم والشجاعة والبطولة والفروسية والمحامد المتألقة فى شخصية سعود الحربية القوية الجذابة .

ومما خلفته تلك الشخصية العسكرية الخطيرة فى طبيعة سعود ، هوايته لركوب الخيل والصيد وليس لسعود هواية فى أى نوع من أنواع اللهو التى يبغضها الشرع أو حتى يضعها الشرع موضع المكروه ، ولكنها هوايات الكريم الذى تأبى عروبته إلا أن يكون كريماً حتى فى لهوه ، قال عليه السلام ما معناه : (إن الرجل يداعب فرسه — فله على ذلك أجر) والصيد هواية عريقة عند العرب وعلى ذلك فسعود لم يسمح أبداً أن تحمل شخصيته فى أية فترة من فترات حياته أو رياضته ونزهاته طابع اللهو وهكذا تكون الشخصيات الكريمة الناجحة المؤمنة بشرفها ، لا تنزل به أبداً عن قمة مجده ، فالجد والحزم والعزم ، من مقومات الشخصية الكريمة المتفرعة من أصل عريق فى الكرم .

ولهذا فهو يتمتع بشخصية عربية حاتمية واضحة المعالم ، والكرم طبع أصيل فى العرب ولو اشتدت بهم الفاقة ، فالكسرة فى أيديهم ليست لهم بغير أن يسألوها ، فإن كانت تلك شيم فقرائهم فما بالك برءوسهم وزعماء عشائرهم ؟ . . وما بالك بسعود الكريم ابن الكريم ، فديار آل سعود وقصور آل سعود لا يستأذن الداخل إليها . . فالموائد دائماً منصوبة والقدور دائماً مكشوفة ، ومن شاء فليأكل بغير دعوة ومن شاء فليحمل بغير إذن — وهؤلاء رواد قصور الملك أو قصاد فضله — تبذل لهم العطايا بغير سؤال ، عطايا تغنيهم وتكفيهم ذل السؤال ولا يستطيع إنسان ما أن يقول إنه قصد سعوداً فى أمر ورجع دون أن يظفر بقصده

فأل حسن

من سنة الله فى خلقه أن كل عظيم . ولد وقد سبقت ميلاده بشائر تدل على عظمته أو صحبت ميلاده تنبؤات بأن هذا المولود له رسالة فى الحياة ، بل تعدى الأمر إلى أن تكون تلك البشائر محددة لنوع الزعامة التى تنتظر ذلك المولود .

وقد كانت الظروف التى سبقت ميلاد سعود مبشرة بأن سعوداً سيكون له شأن خطير ، فقد حملت زوج البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفصيل آل سعود. بالبطل (سعود) . وجده عبد الرحمن فى شدة وضيق . لا يقدر على حمل أعبائهما غير أصحاب القلوب الكبيرة الذين يعيشون ليؤثروا بوجودهم فى الأيام ويأبى كبرياء الرجولة فيهم أن تغلبهم أو تؤثر فيهم الكوارث والأيام .

***

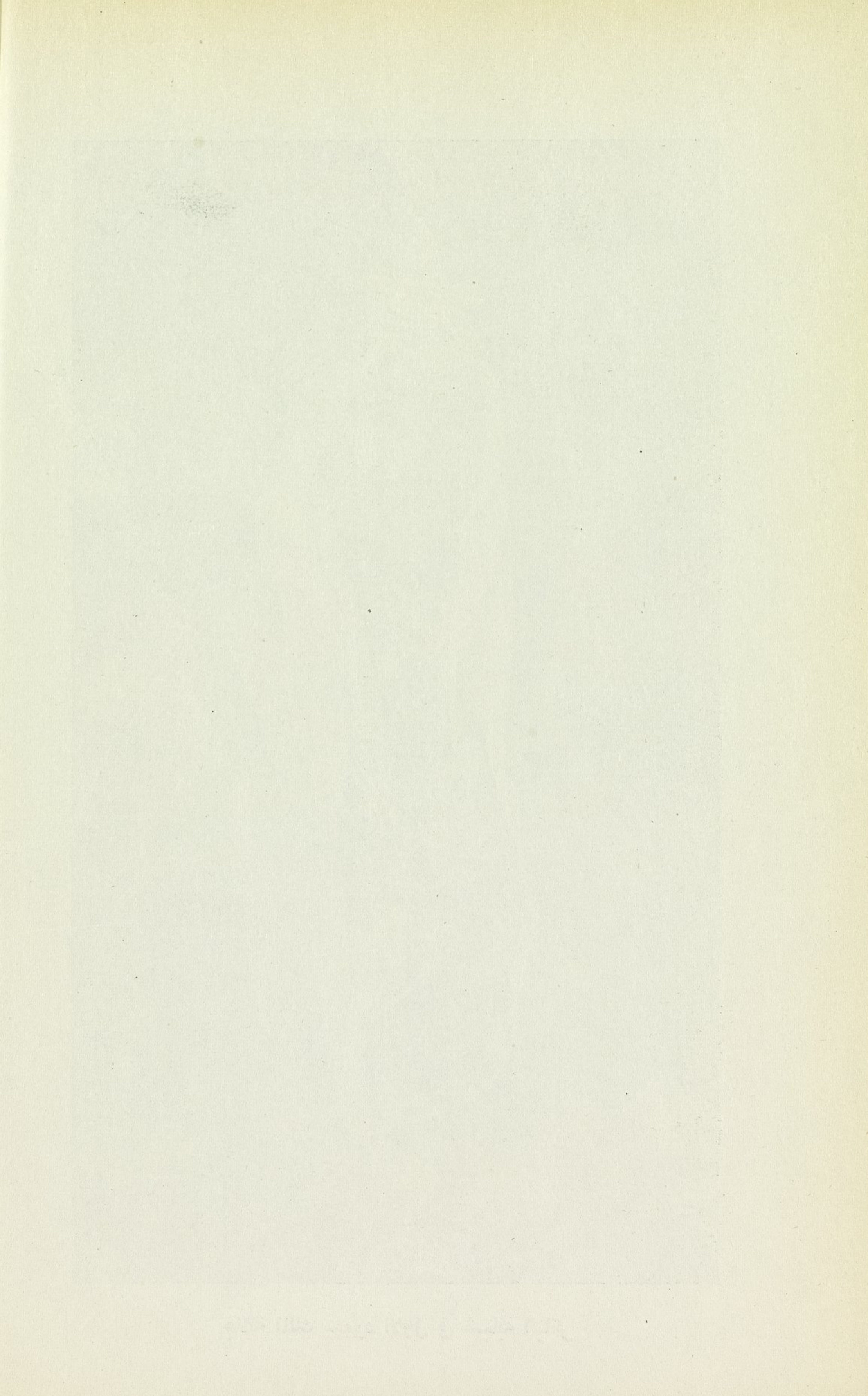
كان عبد الرحمن الفصيل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها ، نزيل الكويت ، بطلاً مغلوباً على أمره وأقسى ما فى حياة الرجل أن يغلب على أمره بعد عزة ومنعة وحكم وسلطان .

وكان عبد العزيز يرنو إلى تقاسيم وجه أبيه ، فيرى عبرة الذكرى بعز الماضى حديثاً بليغاً فى نظراته وفى كل تقاسيم الوجه الوقور الذى اعتاد أن يطل على الناس فى صولجان الحاكم ، فأصبح نزيل بلاد غير بلاده .

وأفذاذ الرجال إذا تعثرت بهم الأقدار وهزمتهم أحقاد الأعداء وحروب المناوئين لا تستطيع الهزيمة أن تفت من عزيمتهم أو تحول دون وصولهم إلى مراقى



جلالة الملك سعود الأول فى شبابه الباكر



المجد ، فهم يستمدون من الهزيمة درساً يدركون به أسباب النصر — ووسائل الكفاح من جديد ليتمموا فى الحياة رسالاتهم الخطيرة .

***

وبدأ عبد العزيز يفكر فى خطة غزوه لآل الرشيد فى عاصمة حكم آبائه وأجداده (الرياض) وأمامه الزوجة التى تحمل فى أحشائها إنساناً طالما فكر فيه عبد العزيز . وكم قال من أجله مناجياً نفسه : (ماذا حملت زوجى ؟ . . الله يعلم أأنثى ياترى أم ذكراً وإن كان ذكراً . هل سيفتح عينيه على تاريخ جديد وفتح جديد لآل سعود ؟ . . . أم سيأتى هذا المولود إلى العالم ، وآل سعود صرعى الهزيمة ؟

ولا يكاد عبد العزيز يتخلص من هذا الخاطر حتى يسبح فى تلك التخيلات التى تجند فيه روح الغزو والعمل لاسترداد ملك آبائه عند ما يطالع تلك التجهمات المتموجة فى وجه أبيه الذى نزل بالكويت ضيفاً مغلوباً على أمره ، وكان عبد العزيز فى مستهل صباه ولا زالت تلك التجهمات تجرى بقسوة الأسى فى وجه عبد الرحمن غيرأنها كانت تزداد قوة وشدة عند ما يشاهد ولده عبد العزيز ولكنها سرعان ما كانت تبددها ابتسامة هادئة تصحبها قشعريرة حلوة يضم بعدها البطل عبد الرحمن رجله عبد العزيز إلى صدره ثم يبسط ذراعيه ليتركه بعدها وقد مد إليه نظرة طويلة قوية مستفسرة .

هل تفكر ياعبد العزيز فى استرداد ما سُلب من آبائك وأجدادك ؟ فيجيب عبد العزيز أباه : « نعم وقبل أن تضع زوجى حملها ، — فأذن لى بالرحيل ، وإن شاء الله تعالى لن أعود إليك بل سأرسل إليك لتعود إلى الرياض ولتكون الآمر فيها ! . . ولى دعواتك ورضاك يا أبت العزيز ، — أستودعك الله وزوجى وما فى أحشائها . . » .

وخرج عبد العزيز ومعه من رفاقه ثلاثون رجلاً ، ليس فى جعبتهم أغلى من الإيمان ، فهم رهبان ليل ، وفرسان نهار ، عبد العزيز مرشدهم وقائدهم . .

واجتازوا الفيافى ، وخاضوا غمار الصحارى ، وغزوا وغلبوا وانتصروا وهم فى طريقهم لنجد ، للرياض عاصمة المُلك التى وعد عبد العزيز أباه بأن يبوأه فيها بإذن الله ، مقعد عز ومجد وفخار .

***

وفى ليلة الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ . وقف — عبد الرحمن الفيصل ، يرقب خبر ميلاد مولود جديد ، وسرعان ما أقبل البشير يهتف بلهجة بدوية حلوة :

مولاى : (وضعت سيدتى غلاماً) ...

فأسرع عبد الرحمن على غير عادته وحمل المولود وقال : (فأل حسن) مولود ولد ...؟ سموه (سعوداً . .) — لعل معه يأتى السعود والصعود . . (إلى نجد إلى الرياض) — ويعود السعود — ملك آل سعود .

***

قال الشيخ ذلك وهو يضم الوليد إلى ذراعى أمه ويجفف تلك العبرات التى انحدرت من عينيه ثم انصرف وهو يناجى ربه : « رب أين — الساعة — عبد العزيز من وليده ، هل سأحمل الوليد إليه كما وعدنى ؟ بحولك يارب حقق آماله . . يارب أعز (. . . سعود) .

وقضى عبد الرحمن أكثر من ليلة ، يبتهل ويدعو : للوليد وللابن المغترب فى سبيل المجد ، وكانت ليلة الثالث من شوال سنة ١٣١٩ من الهجرة .

***

ودخل عبد العزيز الرياض ، وتبوأ مقعد الحكم فيها فى ليلة الرابع من شوال سنة ١٣١٩هـ — وجاءت وفود ، تحمل البشرى بميلاد سعود وامتزجت تهانى النصر بتهانى الميلاد ، وقال عبد العزيز للمبشرين بالميلاد : سموا ابنى (سعوداً) فهتف البشير : مولاى : سماه أبوك سعوداً ، ونادى عبد العزيز وهو جالس على عرش آبائه : « آتونى بأبى » .

وقام الركب الكريم من الكويت وعلى رأسه عبد الرحمن الفيصل آل سعود وفى رعايته الكريمة أم عظيمة تحمل المولود العظيم ، فأل النصر وعنوان المجد ووصل الركب العزيز المهاب .

وأقبل عبد العزيز يلثم يدى أبيه ، ثم بوأه المقعد الذى وعده ، مقعد الفوز بعد الغلبة ، والنصر بعد الهزيمة . . والمجد القائم والمجد المرتقب ، ثم حمل الطفل (سعوداً) وقبله بين عينيه ، ثم قال والبشر يملأ وجهه وسعود على صدره : مرحى مرحى . سعود النصر والغزو والفتح المرتقب ، ميلاد ملكى ونبوءة مجدى . . .

***

وتزاحمت الأفراح مزدهرة ، فى بشاشة قوية ، غمرت وجه عبد الرحمن لفرحة ولده البطل بوليده ، وقال : أليس سعود صورة منك يا عبد العزيز ، فى الخلق ؟ . .

فقال عبد العزيز : (نعم يا أبى وإن شاء الله يكون كذلك فى عبوديته لربه — نخير مايدخر العبد صدق العبودية ، أرجو الله أن يكون مثالاً فى رجولته وفى غزواته وفى فتوحاته وانتصاراته إن شاء الله ، سيكون سعود يا أبى رجلاً لا تزيده الشدة إلا قوة ، ولا يزيده النصر إلا تواضعاً وشكراً لله ، وسهراً على مصالح الخلق) .

تلك هى الروح التى تلقى بهـا عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، بطلُ الجزيرة وليث العروبة رحمه الله ، وليده سعود الملك . يرجوه وهو فى طفولته رجلاً ورجلاً غازياً ، وفاتحاً ومنتصراً ، ورجلاً لا تزيده الشدة إلا قوة ، ولا يزيده النصر إلا تواضعاً لله وسهراً على راحة خلقه .

***

ونشأ سعود فى رعاية ذلك البطل عبد العزيز آل سعود ، وتفتحت عيناه أول ماتفتحت على السيف فى يد أبيه ، واستمعت أذناه أول ما استمعت إلى أخبـار البطولة وقصص المروءة — يحكيها الرجال عن عبد العزيز ، فى ذلك الجو الملىء بالمـكرمات — نشأ سعود فى بيت المجد ، يحبو والسيف وقرى الضيف أمام ناظريه .

فتربى بين المـكارم ودرج على صروح العظائم ، فتلك القوافل تغزو وأبوه قائدها ، وتلك الأفواج تدخل البيت لتأكل وأبوه مطعمها .

***

وهو فى التاسعة من عمره ، يأتيه المربى والمؤدب والمعلم والموجه ، وكل يحمل فى يمينه كتباً تفتح ، ليلقن منها سعود دروساً ، فإن سئل سعود ، الصبى صورة الرجل تفكيراً وتدبيراً وعقلاً ؟ : ماذا يلقن ؟ أجاب فى اطمئنان وتؤدة : قرآن كريم ، وسنة حميدة ، وتاريخٌ للخلفاء ، وعرض للعالم الحاضر فى الغرب المتقدم ، وعرضٌ للشرق المسلم وذل الحاضر فيه .



وفى تلك المدارج من عالم الجد والعلم والمعرفة أخذ سعود علمه ومعارفه ، ومن بين سطور النور ومن معارف السنة المحكمة ، كان الغذاء .. الذى تربى عليه وبه ضميره الحاكم المسلم — فكان المثل الحى لرجولة عبد العزيز وأخلاق عبدالعزيز ومروءة عبد العزيز وبطولته .. فما مرت فترة فى حياته شعرفيها بأنه طفل أو صبي غير مسئول ، فهو لم يرب تربية أولاد الملوك المدللين ، ولم يخرج من الخصام غير مبين لأنه لم ينشأ فى الحلية رهين التدليل والمداهنة ، والمراءاة لمن يتولى رعايته من خدم بيت الملك ، كالمعتاد والمعروف فى قصور الملوك . . لا . . لم يمس سعود بشىء من ذلك .

فها هو يحمّله والده المسئولية وهو فى الثالثة عشرة من عمره وأية مسئولية فى هذه السن تُحمَّل لسعود ؟ . .

نعم . إنها مسئولية دبلوماسية خطيرة ! ! ! . . فكيف يحملها فتًى فى الثالثة عشرة من عمره .

ولكن : هل كل فتى تحصن بالعلم ، ودرج فى معارج الأمجاد التى درج عليها سعود ؟ .

إنه وقد تربى فى رياض العلم الذى تربى فى رياض نوره — عبد الله بن عمر — وخالد بن الوليد ، وأفذاذ جند الله الخالدين — لا نستكثر عليه فى تلك السن المبكرة ، أن يهتف به أبوه (يا سعود) — فتتفجر الرجولة من بين عينيه

ويجيب : (لبيك أبى : هل من تكليف ؟) . . فيجيب الأسد شبله : نعم اجلس يا سعود . . ، ويكلف الملك ابنه الفتى — بالمهمة الدبلوماسية الخطيره . . حين يأمره :

(اذهب يا سعود إلى بلاد قطر وتسلم من أميرها ، عبد الله بن ثانى سلمان بن محمد الذى فر إلى تلك البلاد — عقب حرب العجمان فقد تشفع فيه لدينا أميرها ، كن حكيماً يا ولدى ، وأد واجبك فى تواضع وحكمة ، وعزم وجرأة ، فيشير سعود بالطاعة ويقبل يدى والده العظيم ويطلب منه الدعاء وينصرف إلى مهمته ، فيؤديها على خير ما يؤدى به الرجال واجبهم .

ولقد برهن سعود باجتهاده فى التحصيل والمعرفة ، وحسن أدائه لما يلقى عليه من التبعات الجسام وما يتبعها من تصرفات حكيمة ، أنه سبق سنه . . إذ وقف بجانب أبيه منذ سنى حياته الأولى ، لا ليشعره بأنه صبى له آمال الصبية وأحلام الصغار ؛ بل وقف ليقول له : (إنى رجل يا أبى) — (فلك أن تحملنى من رسالتك ما تأتمن عليه الرجال ، وأنا أولى الناس بحمل الأعباء وكتمان الأسرار ، وخوض بحار المسئولية حتى أرفع عنك بعض أثقال الحكم يا أبى) ، وكأنها سعود للملك . . فحمل رسالة الرجولة ومسؤولية البطولة من الثالثة عشرة وهكذا لا ينجب العظيم إلا عظيما ، ولا تأتى الأسود إلا بالأسود ، ولا يخلف الرجال إلا رجال .

وبعد أن عاد سعود بعد عودته من قطر ناجحاً موفقاً ، هل ركن إلى الراحة ، وسكن إلى ما يسكن إليه أمثاله من أبناء الملوك والعظماء . . . . ؟

كلا : — بل وقف بجانب أبيه يحمل عنه كثيراً من مسئوليات الحكم وقضايا الدولة — حتى كانت الحرب التى اشتعلت نيرانها فى (تربة) . . . فقاد

الشاب وهو فى السابعة عشرة من عمره جيشاً ، وسار به بحكمة القائد المحنك ، فأدب القبائل الموالية لأعداء أبيه وجعل منها أنصاراً وموالين لوالده الملك العظيم .

فماذا ترى أيها القارئ فى سيرة هذا البطل الذى تدفقت منه الحيوية ، منذ نشأته الأولى ، فبرهن على أنه القائد العظيم وهو لما يزل فى ريعان الشباب وميعة الصبا .

أتراه ملكا سبق إليه ملك موروث ؟ . أم ترى فيه ملكاً غازياً ، اعتلى بجدارة أقدس ملك فى العالم . . . لا عن طريق الوراثة فحسب ، ولكن عن طريق الاستحقاق والجدارة بما قدم من خدمات وما عانى من كفاح ونضال

إن عرش الجزيرة بالنسبة إليه حق مكتسب وليس ملكاً موروثاً .

ولم تنته حياته الحربية عند هذا الحد بل تعدت تأديب الخصوم العصاة بتربة حروبٌ عدة تولى فيها قيادة الجيوش ولم يعد منها جميعاً إلا منتصراً مظفراً .

نعم لقد عز على قبائل نجد وعشائر الجزيرة ، وفى مقدمتهم آل الرشيد أن يُهزموا فى كل بقعة من بقاع الجزيرة ، فجهزوا جيوشاً وتحصنوا فى البلاد الشمالية من الجزيرة ، وأعدوا العدة لحرب عبد العزيز الذى لا يكاد ينتهى من نصر إلا إلى نصر . . .

***

ولما بلغ الفتى سعود التاسعة عشرة من عمره فى سنة ١٣٣٩ هـ ولاه أبوه القيادة ليهاجم تلك الجيوش التى تكتلت فى بلاد الشمال لإقلاق سلطان آل سعود والحد من نشاطهم مرة أخرى .

***

وخاض البطل سعود غمار تلك الحروب مرفوع الهامة يقود جيشاً لم يهزم فى غزوة واحدة منها ، وكان آخر تلك الغزوات التى طهر بها سعود العظيم بلاد الشمال من شبح آل الرشيد والتى فيها أسلم عبد الله المتعب آل الرشيد نفسه للبطل سعود ، وبذلك استتب الحكم لآل سعود فى جميع بلاد نجد ، ولم يعد هناك من يناوئهم ، غير أن البطولات لا تنتهى أمجادها أبداً عند الرجال ، والأبطال لا تستريح ضمائرهم إلا تحت ظلال السيوف ، بل إن أجل وأجمل ما يبهر الرجل ويسعده فى الحياة ، أن يرى نفسه فى ميدان الوغى ودعاء الحق يُناديه للاستشهاد فى سبيل ما آمن به وقاتل من أجله .

***

وهكذا كان عبد العزيز وسعود فى ركابه لا يفرح لأنه انتهى من حرب ولا يطرب ويزهو لأنه انتهى إلى نصر يعود بعده إلى الأهل والعشيرة يأنس بزوجه وولده وذويه ، لا يفرح لهذا بقدر ما يفرح بحرب جديدة تناديه ، وواجب جديد يهتف به ليفتدى به دينه وبلاده من عدو معتد أو جاهل غشوم .

وهكذا لم يسترح سعود من حرب آل الرشيد إلا ونفث الشيطان فى جماعة من أهل نجد تغالوا فى دينهم بغير درس وبحث ، وعرفوا الدين فى صور محدودة وإطارات محدودة الزوايا ، وأراد عبد العزيز أن يفهم هؤلاء القوم أن الدين شريعة وقانون ، ودرس وبحث وعلم ، واختراعات وفنون وحروب وصناعة وأن الإسلام يتسع لكل علم فى كل زمان ومكان ، لأنه الدين الجامع لعلم المادة والروح . ولكن تلك الجماعة المتغالية من الوهابيين المتطرفين حكمت على عبد العزيز الإمام التقى بالكفر . . وأباحت دمه بعد أن كانت بالأمس تحارب تحت إمرته .

ماذا فعل هذا التقى الصالح المجاهد فى سبيل الله يا ترى حتى أبيح دمه ! ؟

لقد أراد بالدين خيراً وبالوطن عزاً ، فاتصل بالعالم وأخذ يرتقى ببلاده يقيم فى ربوعها دولة فتية ، لتتبوأ مكانها اللائق بها بين الأمم . فى الشرق والغرب ، بل أراد أغلى من ذلك ، أراد أن يقول للعالم كله : (الإسلام دين وعلم ، وتشريع وتقنين ، وحرب وسياسة ، وحكم وعدالة ، ومساواة وإنسانية) .

ألسنا للاسلكى صناعاً ، وللكيمياء أربابا وللحرب قواداً وللعلم رجالا ، وللديمقراطية دعاة ، وللحكم ولاة ؟ .

نعم . أراد عبد العزيز أن يقول ذلك للعالم ، وكان بجانبه سعود الابن الأكبر ولم يكن فى استطاعة عبد العزيز أن يقول ذلك للعالم ويصدقه إلا إذا اختلط بالعالم وعامل الأمم شرقاً وغرباً ، وكان له ذلك ، أدخل فى بلاده الآلات الحديثة ومد اللاسلكى بين أنحاء مملكته ودعا الخبراء من علماء العالم لدراسة تربة أرضه الغنية فقامت لذلك ثورة المتطرفين من الوهابيين فى سنة ١٣٤٧ هـ — فى منطقة (السبلة) لمهاجمة الملك عبد العزيز أثناء عودته من الحجاز بعد تأديته فريضة الحج ولكن الله لم يمكن لهؤلاء الخوارج من العبد الصالح ، (أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره) .

وقامت المعركة الفاصلة بين الجيوش السعودية (والإخوان) العصاة بالسبلة وهى تقع بين الحجاز ونجد وكان سعود فيها قائداً لأهل العارض .

وما لبث أن أصبح قائداً عاماً للجناح الأيمن وخاض بنفسه ساحات القتال فى تلك الحرب حتى ركز بيمينه أعلام النصر فوق قمة المجد السعودى .

ولم يكد البطل سعود يستريح من تلك الحرب الطاحنة حتى علم أن جماعة من العصاة لم يفيئوا لرشدهم بعد تلك الهزائم الجسام ، فأخذوا يرابطون فى الأحساء فقام فى سنة ١٣٤٨ إلى الأحساء لمنع العصاة من اتخاذ تلك المنطقة حصناً لقوتهم أو قاعدة لغزوهم واعتداءاتهم .

ولم تقف مهمته عند ذلك العمل الحربى بل تعدته إلى عمل الحكيم الدبلوماسى ، فقد أخذ يبين للخلق الحق الذى قام عليه حكم آل سعود وأنه بداية لحكم إسلامى عادل ، يعمل له كل مسلم متغاضياً عن أى خلاف بين المسلمين فى الرأى أو المذهب .

وبحكمته ورشاده استتب الأمن فى تلك المنطقة فقد أقام فيها الملك سعود عدة شهور ، كم تأزمت فيها الأمور بما يحاك من فتن الخوارج ، ولكن النفس الكبيرة لا تجدها إلا دائبة ومصممة على الوصول إلى ما تجاهد من أجله مهما كلفها ذلك الجهاد .

كذلك نجد سير عظماء التاريخ ، لم تنته أيام النضال والجهاد والإصلاح من حياتهم ، وإن بلغوا غاية المجد الذى يدعون إليه — بل هم كلما انتهوا من فوز ، قاموا ينادون لفوز جديد ومجد جديد وهكذا تتعاقب الأمجاد ويتصل الفوز مدى حياتهم .

أقام سعود الأمن فى الأحساء وقضى على الخوارج فهل قنع بذلك ؟ كلا بل أقام فيها حتى جعل منها لحكم آل سعود رعية منتصرة لراعيها ، وكم تأزمت الأمور حين كان فى الأحساء ، وكم تراكمت عليه المسؤليات ، ولكنه الرجل الذى لا يبالى بالأزمات ، ولا تفت من عزيمته الشدائد

هو الإنسان الفاهم العالم المحنك المجرب ، الذى يتخذ من تلك الأحداث دروساً يتخذ منها علاج الحاضر وتحصين المستقبل .

وهكذا تمر الأيام والقائد البطل يعمل على تأديب العشائر ، وفتح الأمصار حتى استيقظ ذات صباح على صوت والده يناديه : يا سعود اتجه برجالك إلى اليمن ، فقد تأزمت بين اليمن وبلادنا الأمور ، ولبى سعود نداء الملك ، فولى وجهه ، والفيصل أخوه فى يمينه ، شطر اليمن ، وفى ركابه جيش يؤمن برجولته وشرفه العسكرى ، فهو المغوار الذى يتقدم الصف الأول دائماً ، وهو الذى يبسط صدره دائماً وذراعيه كجناحى النسر ترميان بالسهم وتضربان بالقوس ، وليس من وقاء على ذلك الصور المنبسط فى ساحات الجهاد ، إلا إيمان يشتعل نوره فى قلب متوكل على ربه مستعين به .

والجند عندما تؤمن بولاء القائد ، وحسن إيمانه ويقينه فى النصر ، تتخذ من ولائه هذا للقتال ولاءها فى القتال .

وليس بدعاً أن ولاء الجند للقائد يصنع من جيشه وحدة متماسكة فيقاتل الجيش كله بيد واحدة وقلب واحد ، لينال بذلك النصر المرتقب .

ولقد كان الجيش السعودى حول سعود رجلاً واحداً ، يشق به سعود فيافى الصحارى ويصعد به حتى ارتقى إلى (صعده) — ولم يرده عن التقدم فى داخل الأراضى اليمنية إلا والده الملك العادل الذى قال له :

قف يا سعود ، إنما قاتلنا اليمن لتكون الأخوة وتكون الصداقة ويكون العفو — عفو الأخ عن الأخ — ولن تكون ثمة فتنة بيننا وبين اليمن وإنما هى إخوة وصداقة وتعاون .

يا سعود ليست رسالتنا غزواً للمسلمين ولا تحكماً فيهم — ولكنا إذا اعتدوا علينا فقط أثبتنا لهم أن القوة لله جميعاً ، وإن رسالتنا واحدة ، وفى قدرتنا أن نقاتل — ولكن فى طبعنا أن نعفو وأن نصافح كل مسلم وننصفى معه الحساب حتى بعد عدوانه علينا وانتصارنا بالله عليه ، فعرج يا سعود عن اليمن واترك اليمن لأهله فنحن إخوة بتلك الروح العالية كانت حروب سعود تحت لواء والده العظيم وارشاده لتدعيم الأخوة ولتأديب الخارجين على توحيد الصفوف فى الجزيرة العربية والوحدة الإسلامية التى رأى عبد العزيز بثاقب فكره أن عودة مجدها لا تكون إلا بتوحيد صفوفها وتدعيم بنائها تحت راية واحدة وبتلك الحكمة التى أنهى بها عبد العزيز غزو اليمن تم التسامح وتوثقت عرى المحبة والصداقة بين الشعبين الإسلاميين ، وأصبح عفو عبد العزيز رمزاً عملياً لحسن نواياه بالنسبة لجميع بلاد المسلمين .

***

وإن فى موقعة المحمل فى السنوات الأولى لضم الحجاز إلى المملكة العربية السعودية لأكبر دليل على حسن نية الملك العظيم عبد العزيز ، الذى كان يعمل للمسلمين جميعاً وللجزيرة على وجه الخصوص وسيرى القارئ حين أسرد عليه هذه السطور القليلة عن موقعة المحمل أن عبد العزيز كان رجلاً عظيماً ، جديراً بأن يكون إماماً عاماً للمسلمين ، فقد اعترفت جميع حكومات الشرق الإسلامى بالحكم السعودى فى الجزيرة ولم تعترف به ، مصر فى ذلك الحين ، وأصر الملك فؤاد على عدم الاعتراف وأخيراً اعترف به على أن يحج المحمل بدون إقامة مراسيمه التقليدية فى الحج ، ولكن

المتطرفين من الوهابيين هاجموا المحمل فى الطريق إلى عرفات فكانت موقعة خطيرة كادت تسبب حرباً بين مصر والحكومة السعودية ، لولا حكمة عبد العزيز وبطولة أشباله ، إذ أرسل ولديه العظيمين سعودا وفيصلاً إلى مكان المعركة .

وكان وابل المدافع الرشاشة التابعة للجيش المصرى ، يرد على سيل بارود الوهابيين المتطرفين وكاد أوار المعركة يشتد لولا اقتحام الشبلين العظيمين لها تحت ذلك الوابل من النار بثياب الإحرام ، فناديا الفريقين بالسلام وبأنهما رسل عبد العزيز إليهما ؛ وبأن الجمعين يسعيان فى هذه اللحظة إلى غاية واحدة إلى كعبة الله ، وأن الكل الآن يقف فى صعيد واحد منادياً لبيك يا الله ؛ لبيك اللهم لبيك .

وبذلك وحده وقفت عصبية الوهابيين العنيدة وأغلقت فوهات مدافع الجيش المصرى وصافح الفريقان سعوداً وفيصلاً وتنادى الجميع بالسلام ، فكان ذلك دليلاً على أن عبد العزيز ينشد للعالم كله السلام وللإسلام خاصة أخوة ووحدة ولو افتداها بأعز ما يملك (سعود وفيصل) ومن خلفهما آل سعود وجيوشها التى أعدت للقتال فى سبيل الله .

بتلك العبقرية العربية العريقة كان عبد العزيز وكان قائده الأول سعود ومن حوله رجال يعملون جهد طاقتهم ليستتب الأمن فى الجزيرة وخارج الجزيرة وليكون أمناً عاماً بينهم وبين جميع المسلمين .

ولاية العهد

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » .

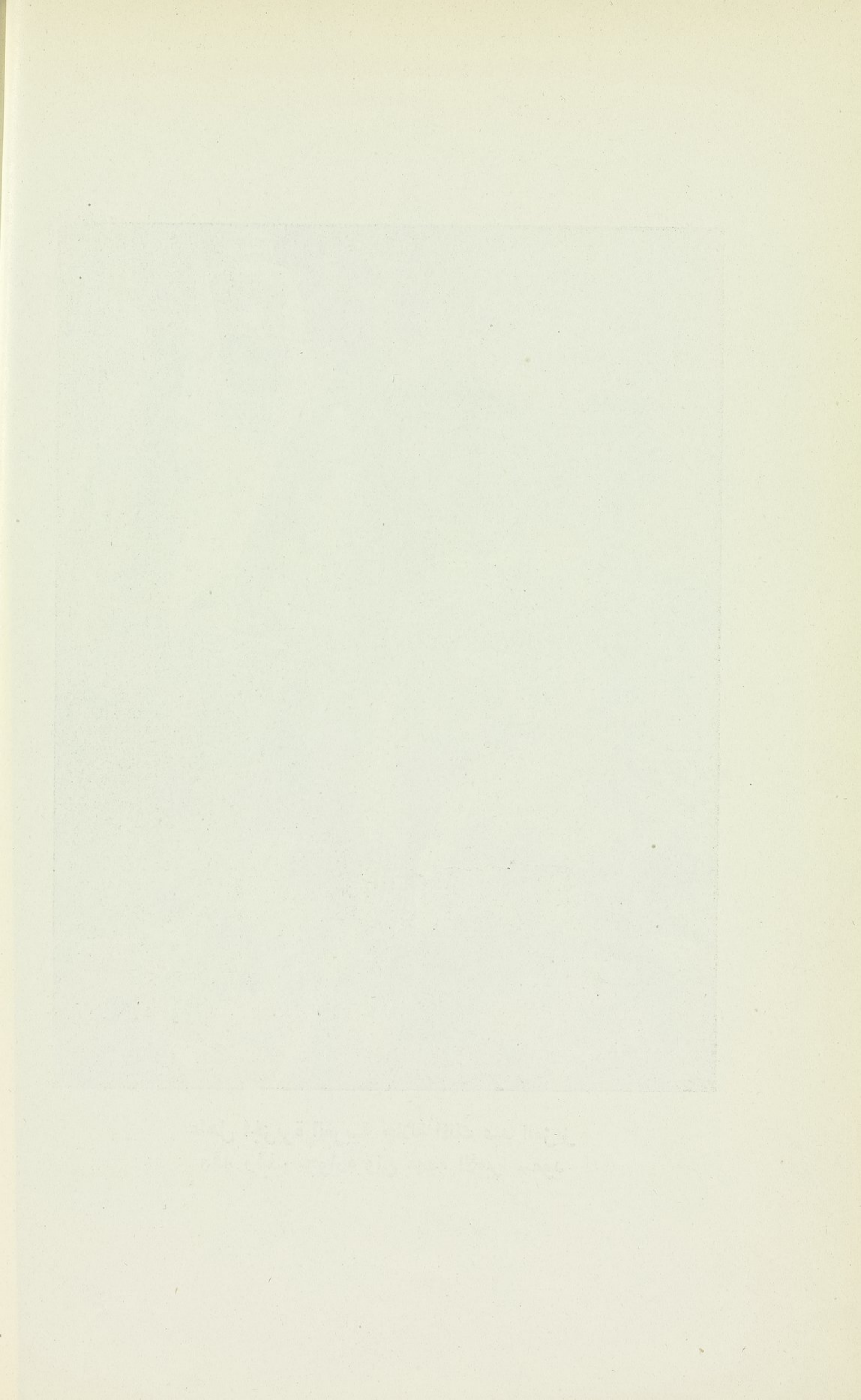
وقد ورد فى الحديث القدسى : « إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلانا فأحببه ، فينادى جبريل فى أهل السموات : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فتكتب له المحبة فى أهل السماء ، ويوضع له القبول فى أهل الأرض .

والملك سعود — حفظه الله — ولد والقلوب مجتمعة على حبه ، وآمال الأمة العربية معقودة عليه ، فالكل يضرع إلى الله فى حدب وحب وولاء هاتفاً : « يارب أبق سعوداً أملاً باسماً وفألاً حسناً للمسلمين » واستمرت تلك الأكف مرفوعة ضارعة وتلك القلوب محبة وداعية له ، حتى كان السعود الذى تحققت به الآمال وسعدت به الآفاق ، فعمت الجزيرة الخيرات وقامت به الغزوات والفتوحات ، وكان النصر معقوداً بلوائه دائماً فى كل حرب أمره أبوه العظيم أن يخوض غمارها .

وما كاد سعود ينتهى من الغزو والنصر والفتح إلا واتجهت همته الشماء إلى وضع الأسس لمشاريع الإصلاح الوطنى التى تدفع بالبلاد المقدسة إلى عالم الحضارة التى يجب أن تتربع على مقعدها بين الأمم . ولاعجب فهى أمة غرست بيديها فى القرن الأول من الهجرة بذور الحضارة للعالم ، ووضعت بشريعتها أسس العدالة الاجتماعية وأسس الحكم الدستورى الديمقراطى بكتاب منزل من السماء لاينفذ الباطل من بين يديه ولامن خلفه .



عاهل الجزيرة العربية جلالة الملك عبد العزيز
وقد وقف بجواره ولى عهده الأمير سعود



نعم أخذ سعود يفكر مع رجال مسؤولين ومع شباب من الشعب فى صالح الشعب ، ويعرض ذلك على والده العظيم ، والشعب السعودى عن بكرة أبيه يهتف من الأعماق محيياً سعوداً وبأى أمر كان يحي سعود ؟ هل بنثر الزهور ورش الرمال وتزين الطرق فى غدواته وروحاته ؟

إن هذه أعمال يعتبرها تافهة إذا قيست بما ينبغى أن يقدم إلى قادة الأمم وأصحاب المواقف الفريدة المشرفة .

فإن أجل وأقدس مايحيا به الرجل أن تقلده أمته أخطر وأجل مسؤولياتها ، وأية مسؤولية تحمل خطراً وشرفاً ومجداً من مسؤولية تنصيب أمة لمن تحبه ولياً لعهدها لأنه قدم من معانى الولاء للشعب ... وما أعظم الولاء ، وماأقدس الوفاء ، إذا كان مصدره للوالى حب الشعب واقتناعه واطمئنانه لإخلاص من يوليه أمره ويركن إليه .

وكانت ولاية العهد هى التحية العظيمة التى نادى الشعب بها الملك العظيم (عبد العزيز) فاستجاب الملك للشعب المؤمن بإبنه الأكبر فكانت بيعة شرعية من الأمة لسعود الذى استحقها بجدارة .

وكانت وصية الملك بالولاية استجابة للمنادين بالبيعة لمن توفرت فيه الشروط الشرعية فى مبايعة ولاة المسلمين .

وإننى لأقدم صورة ناطقة بالحقيقة التى قامت عليها تلك البيعة لسعود وهى صورة صادقة لما يختلج به قلبه المؤمن دائماً من خوف من الله وخوف على الرعية وحب لله وحب للرعية ، ويتضح ذلك جلياً فيما تبودل من الكتب بين الملك الصالح والابن البار عندما أجمعت الأمة على ولاية العهد يؤيدها مجلس الشورى الذى يمثل أهل الحل والعقد فيها .

وإليك أيها القارئ العزيز تلك الوثائق التاريخية التى تصلح لأن تكون علماً يدرس فى المراقبة الربانية .

قرار مجلس الشورى

الحمد لله الذى لا إله إلا هو مصرف الأمور فلا معقب لحكمه ومدبر الكائنات فلا راد لقضائه ، نحمده على ما أنعم به علينا من نعمة الإسلام الذى جعله دين صفوته من بريته ، وخص به من استخلصه من أهل طاعته ، وأقامه نبراساً نهتدى به ، ونستنير بنوره سبحانه هو القائل فى محكم كتابه (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) نحمده أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم .

أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة مليكنا العادل الموفق ناصر السنة ، قامع البدعة (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) ملك المملكة العربية السعودية أيد الله ملكه وأمد فى عمره وأدام تأييده ونصره ووفقه إلى طاعته ومرضاته لما رأى بعين حكمته الساهرة على راحة رعاياه والعاملة على تثبيت دعائم هذا الملك العربى الوطيد وتشييد أركانه وإدامة تسلسله أن يجيب طلب رعاياه ويوافق على تعيين شكل واضح ثابت لولاية العهد كما ورد فى أمره الملكى الكريم الصادر فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ وأن يسير فى ذلك على المنهاج الشرعى الذى سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم وأن يعقد البيعة بولاية العهد على من كان مستجمعاً للشروط الشرعية المرعية .

هذا ولما كان حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن

يخلف ولى الأمر أمد الله فى عمره ، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية ؛ نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله ونسأل الله له الهداية والتوفيق ونضرع إليه تعالى أن يمد فى عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه .

وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا ونشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين وما هو الواقع فى يوم الخميس المبارك الموافق ١٦ محرم الحرام من العام الثانى والخمسين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين (الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣) .

برقية جـــلالة الملك

الرياض . الابن سعود :

لقد أحطت علماً بما ذكرت ، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير . نفهم أننا نحن الناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نذل أحداً ، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ومن اغتر بغيره — عياذاً بالله — وقع وهلك . موقفك اليوم غير موقفك بالأمس . ينبغى أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور .

أولا : نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله . وينبغى أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه فى أوقات فراغك تعبد الله فى الرخاء تجده فى الشدة وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان

وبصيرة فى الأمر وصدق فى العزيمة ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق والعمل الخفى اللذين بين المرء وربه .

ثانياً : عليك أن تجد وتجتهد فى النظر فى شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل فى المحب والمبغض وتحكيم هذه الشريعة فى الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً وينبغى أن لا تأخذك فى الله لومة لائم .

ثالثاً : عليك أن تنظر فى أمر المسلمين عامة وفى أمر أسرتك خاصة . اجعل كبيرهم والداً ومتوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم وانصح لهم واقض لوازمهم بقدر إمكانك فإذا فهمت وصيتى هذه ولازمت الصدق والإخلاص فى العمل فابشر بالخير .

أوصيك بعلماء المسلمين خيراً . احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم . واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشىء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة . احفظ الله يحفظك .

هذه مقدمة نصيحتى إليك والباقى يصلك إن شاء الله فى غير هذا . سيبايعك الناس فى الحجاز يوم الإثنين وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز وليبايعوك عن أنفسهم وأرجو من الله أن يوفقك للخير » .

عبد العزيز

جواب سمو الأمير

جلالة مولاى الملك المعظم أيده الله :

جواباً على برقية مولاى فإن جميع ما ذكره مولاى لخادمه هو عين الصواب وأنه لا قوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به . من اتبعه نجا بنفسه ونجا من ولاه الله عليه . وإنى إن شاء الله سأجتهد وأعتمد على ما ذكره مولاى من النصائح الدينية والدنيوية . وأرجو إن كان الله يعلم منى ذلك أن يوفقنى لرضاه ثم لرضا جلالتكم وأن يوفقنى لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وولايتهم وإن كان يعلم منى ضد ذلك فأسأله تعالى أن يكفى المسلمين شرى وأن يرد كيدى وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره . وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله فى سبيل كلمة التوحيد . وتقويم الشريعة المحمدية . والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً والنصح لولايتهم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة ذلك على كل كائن من كان . أرجو الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد . إن النية التى ينطوى عليها خادمكم إن شاء الله هى :

أولا : إعلاء شأن كلمة التوحيد وتأييد الشريعة الإسلامية والنصح لولاية المسلمين وإنزال الناس منازلهم خصوصاً أسرتنا كبيرهم وصغيرهم كما تفضل به مولاى . كبيرهم أب وأوسطهم أخ وصغيرهم ولد والعدل بين الرعية ، وإنى أعاهدك بالله على ذلك وإنى ما ألبس ثوب عافية دونها وسأكون إن شاء الله مقيلا لعثرتهم ، حليما على جاهلهم . وهذا إن شاء الله هو العمدة فى الدين والدنيا .

ثانياً : سأتخذ الصدق إن شاء الله والإخلاص والجد فى العمل ، وسأوقر

علماء المسلمين وأجالسهم وآخذ بنصائحهم وسأحضهم على تعلم العلم والتعليم وهذه العقيدة والتوفيق بيد الله .

ثالثاً : إن ما ذكره مولاى عن موقفى أمس وموقفى اليوم ، وأن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح والخالص لوجه الله ، وعبادة الله وحده والتضرع إليه فى الخلوات ، والالتجاء إليه وحده ، فهذا الذى فيه النجاة ، وهذا الذى يرجى به التوفيق إن شاء الله ، لأنه كما ذكر مولاى من التجأ إليه نجا ومن اغتر بغيره وقع وهلك . نرجو أن يمن الله علينا بالهداية ، وأن يأخذ بناصيتنا ويستعملنا فيما يرضيه وبما يكون فيه صلاح للدين ولولاية المسلمين ، وإنى لأعلم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التى بين الإنسان وربه ، وأرجو أن يوفقنا الله لذلك . وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا ، وإن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمنا . والأمور التى أوصيتنى بها أضعها نصب عينى ، وسأبذل جهدى إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا ودنيانا والتوفيق بيد الله ، وأرجو من الله أن يديم لنا ولكافة المسلمين بقاءكم ولا يرينا فيكم ما نكره . والله يا طويل العمر إنى يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتى وضيق صدرى ، والله أسأل أن يطيل عمركم ويجازيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك فى قلبى راسخة إن شاء الله ما حييت . وأرجو أن يمد الله لنا فى حياتك . . ذكر مولاى أن البيعة تكون يوم الاثنين فى الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدمون إلينا بالبيعة حياهم الله والذى يراه مولاى هو المبارك إن شاء الله وإنى أنتظر ما سيتفضل به على مولاى بعد هذا ، وأرجو من الله أن لا يخلينا منك وأن يمتعنا وجميع المسلمين بحياتك .

سعود

***

هاتان هما الرسالتان المتبادلتان بين ملك دانت له الدنيا فى أقدس مملكة فى الشرق وبين خليفة الملك المرتقب ، لذلك الملك المهاب المستقر بولاء الحاكمين لله وللرعية وبولاء الرعية لله وللحاكمين .

إن تلك الوثائق التاريخية اعتراف من الشعب على لسان أمنائه المفكرين أعضاء مجلس الوكلاء والشورى بأن سعوداً رجلٌ عرف كيف يستجيب لنداء الله ونداء أبيه العظيم الساهر على مصالح المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها كما أننا نلمح فى وصية الملك لولى عهده تلك الروح الإسلامية العميقة التى تربى سعود فى أحضانها والتى كانت تملى على والده العظيم كيف يحكم بلاده . وربه بين عينيه كما نأخذ من رسالة الابن لأبيه ما يقيم الدليل القاطع على أن ضمير سعود تربى ليكون محكوماً بالله وحاكماً لخلق الله بما يحب الله ويرضى ، وذلك هو السنن الحكيم الذى أمر به محمد عليه الصلاة والسلام (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والحكم وسياسة أمور الرعية من أقدس أبواب العبادة فى الإسلام . فليس أغلى على الله من رجل يقول كلمة حق فى حضرة حاكم ظالم — فما بالك بحاكم إن ظلم بكى واعتذر عن ظلمه وإن عدل وأنصف تواضع وبكى وقال إن الله وفقنى . إن الضمير المؤمن بحساب الله ولقائه قد تخلل حواس سعود ومشاعره . فأيقظ فيه غريزة الخوف من المراقب الأكبر الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ساعة عرف سعود وتأكد أن أمر ولايته لهذه الأمة أصبح أمراً مجمعاً عليه . يبدو ذلك واضحاً فى قوله فى آخر رسالته لأبيه (والله يا طويل العمر إنى يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبراتى وضيق صدرى والله أسأل أن يطيل عمركم

ويجازيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي إن شاء الله ما حييت) .

وواضح إيمان سعود بوصية أبيه تلك الوصية التي أبان فيها عبد العزيز لولده أن الفعّال الأول في تصريف شؤون الخلق هو الله ، وأن للخالق — سبحانه — خلقاً أحبهم فنصبهم ولاة على خلقه يحكمون فيهم بما أنزل ويحكمون أنفسهم بما قنن نبيه في شريعته ، ومن خلقه خلق ، ولاهم أمور الناس ليختبرهم فهان الله في نفوسهم وخانوا أماناته وعطلوا شريعته فصرف الله عنهم قلوب الرعايا وسلط عليهم شهوة النفس وشهوة الحكم فضاعوا وضاع الحكم من أيديهم .

نعم إن من يتعمق في وصايا عبد العزيز ليجد تلك المعاني تحملها عبارة واحدة من وصيته عندما يقول لولده (نحن الناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نذل أحداً وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه ومن التجأ إليه نجا ومن اعتز بغيره — عياذ بالله — وقع وهلك) .

وارجع يا سيدي إلى بقية وصية الملك لولده تجدها قانوناً للمراقبة الربانية .

وكأني بالوالد الحكيم يقول لولده في تلك الوصية الخالدة :

« يا سعود : راقب ربك في كل شيء تجده معك في كل شيء إياك أن تنساه في الشدة وإياك أن يهون عليك أمره في الرخاء الملك له وأنت من عبيده فيه والخلق له وأنت من المسخرين لخدمته بأمره وتحت عينه فأحسن العبودية تجده رباً رحيماً وأحسن الأمانة فيما سخرك له تجد العون منه وأحسن الجزاء .

وقد فهم سعود ما أوصاه به أبوه فهماً عميقاً ، وفقه حكمة تلك الوصايا ومرماها بروحه المشرقة المتألقة ، ليعيش بضميره في معانيها ثم يسكنها قلبه لتكون الحاكم لمشاعره وأحاسيسه والموجهة لرأيه والمرشدة له في عمله .

مسئولياته وهو ولى للعهد

الحاكم العظيم عندما يحمل مسئولية أمة منحته ثقتها يعيش طوال ليله ونهاره ساهراً على مصالح هذه الأمة ، وهذا ما فعله سعود بعد ما أصبح مسئولاً عن رعاية حق الذين بايعوه بالأمس لا كوارث لعرش الجزيرة العربية فحسب بل لجميع المسلمين ولا عجب فالجزيرة هى المنارة التى ينبعث منها الإشعاع الروحانى الأقدس فعرشها هو عرش ولاية المسلمين قاطبة .

ولم يشأ أبوه العظيم أن يستجيب لرغبات الشعب ويحمله شرف ولاية العهد إلا ويحمله عملياً مسئوليات الملك الفعلية يسوسها تحت عين عبد العزيز اليقظة وضميره المسلم وروحه المؤمنة وقلبه المتوكل على الله الساهر على مصالح المسلمين عامة . ومصالح شعبه خاصة . وأراد عبد العزيز بذلك أن يطمئن بنفسه على ما سيكون عليه خليفته من بعده فى الأمة التى قدم روحه على كفه فى سبيل مجدها يوم خرج إلى الرياض ليفتحها بثلاثين رجلاً ويوم خرج ليصافح أهل الحجاز ليقيم فيه حكم القرآن المنزل فى ربوعه وليناضل تآمر الغرب الكافر والشرق المنحل فى دينه .

فماذا فعل سعود بعد أن حمله أبوه مسئولية الملك ليدربه عليها تدريباً عملياً حتى إذا كان القدر وحم القضاء . وانتقل عبد العزيز عبداً صالحاً إلى الدار الآخرة ليجد هناك جزاء ما قدمت يداه زرابى مبثوثة ونعيماً لا مقطوعاً ولا ممنوعاً .

لقد نهض سعود بالرسالة التى أخذ نفسه بها ، وعقد عزمه على تحقيقها ، وعاهد الله وأباه وأمته على أن يسهر عليها .



لم يكن أمام سعود بعد أن غزا القلوب والأمصار وانتهى منها إلى مواقف مشرفة يشهد بها التاريخ ، لم يكن أمامه بعد ذلك إلا أن يجوب الممالك ويتفقد أحوالها وشئونها ويقف على مدى تقدمها ورقيها فأخذ يقوم برحلاته فى بلاد الشرق والغرب وكان فى صنيعه هذا استجابة لرغبة أبيه وعاهله الملك عبد العزيز .

قال له عبد العزيز يا سعود ، اخرج إلى العالم وصافح الشرق بيمينك والغرب بشمالك ، وبيِّن للناس مَن هم العرب واتجه بأنظارهم إلى الجزيرة ، وانظر ماذا فى عالمهم وأتنى به واعلم أن رسالة (محمد) لم يُحدد مكانها ، بل أرسله الله بها للعالم كافة ، ونحن ورثة محمد والدعاة لله عنه يا سعود .

فصافح برسالة السلام العالمين ، وحقق رسالة الإسلام فيها بأن توحد صفه وترتق فتقه وتلم شعثه .

وجلس سعود يتساءل : ترى ، ماذا أصنع فى الغرب والشرق ، إننى لم أخرج عن الجزيرة قبل اليوم ، اللهم إلا فى تلك المرة التى زرت فيها مصر بدعوة من حكومتها ، وكانت رحلة دبلوماسية خطيرة ، ومع ذلك نجحت فيها وعدت مظفراً بالنصر إلى بلادى .

لقد طافت بمخيلة سعود تلك المجالس التى اجتمع فيها بالملك فؤاد وتلك الدبلوماسية التى ناقش بها الحكام ومرت بذهنه زياراته الجامعة المصرية ودور العلم والصناعة إذ شاهد سعود فى مصر صورة مصغرة للحضارة وآمن بنهضة بدأت

فى بلد من بلاد الإسلام وناقش فيها رجال دين ورجال دنيا وعاد منها وقد انتهى كل خلاف كان بين البلدين ، فكانت رحلة موفقة ظفر فيها بصداقة مملكتين وارتباط حكومتين وحب شعبين .

لقد فكر سعود وأطال التفكير وراح يحدث نفسه : إذاً على بركة الله . . . سأخرج من الجزيرة لأعود إليها بصداقة الحكومات ومحبة الشعوب ، ولكنى لا بد من أن أعود لأدرس فى يقظة وألم أسباب ذل الشرق وسر استعماره وكيف تخلف عن مواكب النصر التى بوَّأها له محمد عليه الصلاة والسلام ، وكافح فى سبيل قوتها أبو بكر وعمر .

إن الملك لم يهدأ ولم يسترح . فقد رأى نهضة فى الغرب ، وشاهد علماً وصناعة وقوة ، وشاهد فى مصر كذلك استعماراً يصارعه كفاح ونضال ، وشاهد إلى جانب ذلك بداية خير فى الجامعة المصرية ، ومع ذلك رأى الأزهر المتعثر فى تأدية رسالته ، ورأى التآمر على تقسيم وحدة الأزهر وإنهاء رسالته .

— ولم يكد يعود سعود من الغرب حتى يمم وجهه نحو الشرق المسلم المصاب .

— فزار فلسطين واستمع لأنين الجراح التى أجرتها بها بريطانيا المستعمرة ، ورأى الجريمة يرتكبها خونة آثمون فى غير حياء ولا استخذاء وهم يبرمون عقود البيع — بيع أرض فلسطين المسلمة — لليهود النازحين إليها تحت ستار المؤامرات البريطانية الخبيثة ، بل ورأى كذلك الخيانة التى أودت بنا إلى تلك الكارثة الأليمة الفاجعة التى ما زلنا نلتمس منها مخرجاً ألا وهى : ضياع فلسطين ، وفلسطين الشقيقة .

وزار جلالته الأردن بدعوة من حكومتها وكذلك زار العراق وشاهد فى بلاد الإسلام ذل التفرقة والانقسام وفرق بين ما فى الغرب من نهضة وتآمر على الشرق

ليغنيه ويتحكم فيه ، وبين ما فى الشرق من تفرقة وتخاذل وأنانية شخصية مكنت الغرب المستأسد من الشرق المنقسم المفتت .

كما زار جلالته فى معية أبيه العظيم بلاد البحرين ، وكانت تلك الزيارات لبلاد الشرق الجريح سنة ١٣٥٦ من الهجرة ، وفى نفس السنة التى توجه فيها جلالته إلى لندن لحضور حفلات التتويج .

وفى سنة ١٣٥٩ قام جلالتـه بزيارة الـكويت بدعوة من حاكمها وفى نفس السنة أيضاً زار الهند واستقبل فى (كراتشى وبومباى) استقبال أئمة المسلمين .

وفى سنة ١٣٦٦ قام جلالته برحلة جوية لزيارة أمريكا بدعوة من الحـكومة الأمريكية وقام فى تلك الرحلة بمفاوضات هامة مع ممثلى وزارة الخارجية الأمريكية وقابل رئيس الجمهورية الأمريكية واجتمع به فى البيت الأبيض اجتماعاً طويلا وبحث معه علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالعرب وقضايا البلاد العربية وتآمر الغرب على ذبح فلسطين وعلى رأس المتآمرين بريطانيا وأمريكا .

وبعد عودته من أمريكا زار لندن ونزل ضيفاً على حكومتها وأقام بها سبعة أيام زار فيها وزير خارجيتها وبحث معه مخازى بريطانيا فى الشرق المسلم .

وقد زار جلالته مصر للمرة الثانية حيث حضر مؤتمر ملوك ورؤساء حكومات العرب فى أنشاص فى قصر الزهراء ، وقد كانت الدعوة موجهة لهذا المؤتمر من ملك مصر السابق حينذاك (فاروق) إلى جلالة العاهل العربى عبد العزيز الذى أناب سعوداً العظيم عنه فى هذا المؤتمر .

ولقد كان المقصود من هذا المؤتمر بحث حالة العرب ثم العمل على توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم فى كل ما يتعلق بقضاياهم السياسية وغيرها .

ولقد كانت تلك الأسفار درساً مفيداً للملك سعود حفظه الله .

وقد عاش الملك العظيم بين عالمين حاضر الغرب وحاضر المسلمين عرف منهما أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، فدرس أسباب النصر فى الغرب كما بحث أسباب الهزيمة فى الشرق ثم خرج بأن العالم كله يتآمر ضد الإسلام .

وقد نجحت خطة التآمر إلى حد كبير حيث قسم الغرب بسياسته الخبيثة الوحدة الإسلامية وفرق شملها وشتت جمعها وصير وطنها الموحد أوطاناً مجزأة محددة وقسم جيشها الواحد جيوشاً عدة فصار المسلمون بعد أن كانوا يعيشون للإسلام فى العالم كله ليوحدوا صفه وفى وطنهم الإسلامى الواحد ليقوموا ضعفه ويمدوا فى قوته ، أصبحوا يعيشون لمساحات محدودة من أرض مقسمة يقتل أهلها الجوع ويهدد من كرامتهم الجهل .

ثم عندما تيقظ المسلمون وانتبهوا وقاموا يحاربون المستعمر الذى فرقهم إرباً وجزأ أراضيهم وسلب أقواتهم ، وجد هؤلاء المسلمون أنفسهم بدلاً من أن يعملوا للأمة الموحدة والوطن الواحد والجيش الموحد والدين الواحد ، يعملون لعدة أوطان ولعدة جيوش ووجدوا أغراضهم مشتتة ورأيهم منقسماً وقد كانوا من قبل أمة واحدة مجتمعة على الله ولدين الله ولوطن الله .

وعرف الملك سعود أصل الداء ثم عرف أن المسلمين جميعاً معترفون بما ارتكبوا ولكن ماذا فعلوا . ؟ . ألم يزالوا يرتكبون نفس الأخطاء وهل فكر سعود فى علاج الأمر ؟

نعم إنه يعيش للإسلام ويفكر فى العلاج دائماً ولكن هل من مستمع له فى أرض الإسلام وهو يفكر ليل نهار فى وسائل جمع كلمة المسلمين تحت علم واحد ورأى واحد وجهاد واحد . ؟

فلقد كنت ماثلة بين يدى جلالته فى ذى الحجة سنة ١٣٧١ من الهجرة فى لقائى الأول ودار الحديث بيننا فيما وصلت إليه حال المسلمين فى العالم وكيف العلاج وقال الملك لى حينذاك : يا أختاه ، شىء واحد يصلح به أمر المسلمين جميعاً هو جمع قلوبهم على الله والتمسك بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتناسى الأحقاد والتغاضى عن التعصب المذهبى والطائفى وأن نعيش مرة أخرى متمثلين بالأوائل من أئمة المسلمين الذين سبقونا بالإيمان وبالجهاد الصادق فى سبيل الله . وربما اعتقد كثير من الناس أن الإسلام يدعونا أو يكلفنا أن نزهد فى الدنيا فنتركها ولكن ياأختاه إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم علينا التمتع بالدنيا ، ولكن حرم علينا أن ننسى الآخرة كما كلفنا أن نجمع الدنيا لنجعلها له سبحانه لا لنعبدها حتى تنسينا لقاءه قال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولكن ضيع المسلمون الدين بين دعاة التنسك بغير بصيرة ، وجهل الذين لم يدرسوه على وجهه الصحيح فقد درسوا كل شىء عن الغرب فأيدوه ولم يدرسوا أمراً واحداً من أمور الإسلام ومع ذلك أقاموا من أنفسهم حكاماً له وعليه فظلموه .

وعلى كل حال أبشرى ياأختاه ولاتتشاءمى ، فشعور المسلمين اليوم بخطأ الماضى وذل الحاضر فاتحة خير للمسلمين ، إن شعور المريض بالألم يدفعه إلى البحث عن العلاج والأخذ فى وسائله .

فقلت : جميل ولكن أين وسائله ؟

قال جلالته : (العمل قبل كل شىء لتوحيد جماعات المسلمين على رأى واحد ولغاية واحدة) .

وثبات

إن تلك المشروعات التي نقدمها ، والتي قام معظمها بمراسيم من جلالة الملك الراحل وبتنفيذ سعود وجهده وسهره المتواصل لأكبر وثيقة تنطق فى وضوح بأن سعوداً عاش ليحمل الأمانة ويؤديها على أكمل وجه يرضى طموحه ، ويحقق آماله العراض التي يتلاقى عندها إسعاد شعبه وتعمير بلاده والصعود بها إلى معارج الرقى حتى تساير ركب الحضارة وتمشى نخورة مزهوة فى مصاف الأمم التي أخذت طريقها مسرعة فى التطور الحديث .

فلقد قامت المملكة العربية السعودية كدولة قوية ، دستورها القرآن الكريم ، والشريعة السمحاء التي جاء بها سيد ولد آدم ، ذلك الدستور الذى حكم به مؤسس المملكة وبانيها ، صقر الجزيرة الغلاب ، وبمبادئه السمحة القويمة سار سيرته الحميدة ، فضرب به أعناق الطغاة ، وقضى على الفساد والمفسدين ، وقطع دابر قطاع الطرق الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية فساداً وذلك بالقسوة عليهم إذا لزم الأمر ، وباللين والمهادنة إذا قضت الظروف حتى دانت له الجزيرة قلباً وقالباً ، وأحبه أهلها وتفانوا فى ذلك حتى أصبحوا اليد القوية التي يضرب بها وينشر فى أكناف ربوعها ظلال الأمن والسلام ، ذلك الأمن الذى ذهب مضرب الأمثال فى العالم المتحضر .

وبعد توحيد أطراف الجزيرة تحت راية (لا إله إلا الله) الخفاقة وفى ظل الملك العادل والمملكة الفتية التي عرفت الطريق المستقيم إلى النور ، وسارت خطواتها التقدمية مطردة سريعة جبارة عنيفة تشهد الملأ على أن فى البيداء

رجالاً ، وأن الصحراء التى أنجبت سيد الأنام وصحبه وأتباعه لا تزال المنبت الخصب للرجال الأفذاد والعباقرة الأساوس .

فهذه الحرب العالمية الثانية يندلع لهيبها فيأتى على الأخضر واليابس وتعانى الإنسانية من ويلاتها الأمرين .

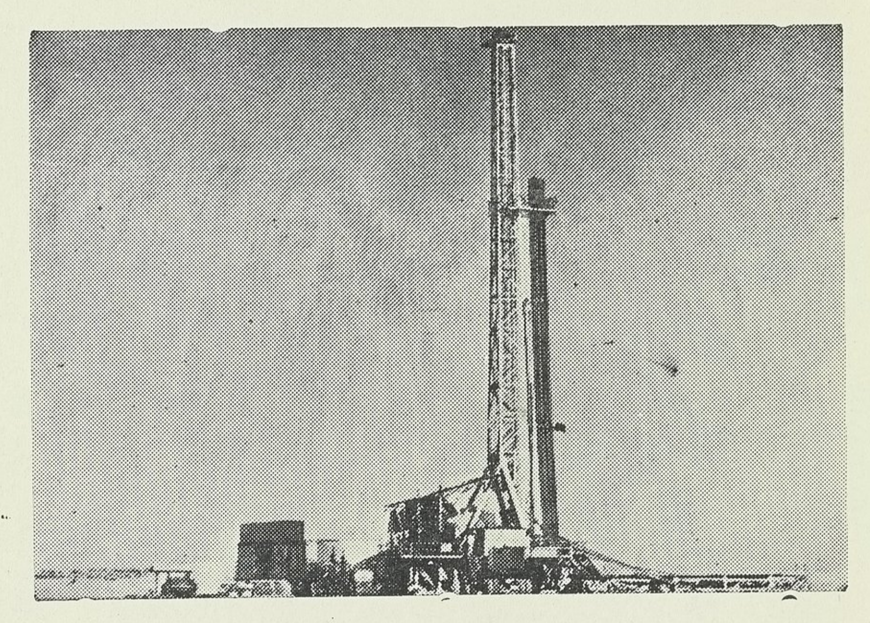
اللهم إلا هذه الصحراء ومن فيها ، فإنها فى عزلتها ترامق المعركة عن كثب وتتحفز للدفاع إذا ديست كرامتها أو اعتدى على حدودها أو دعاها الداعى ...

ولكن الحرب شر وفتنة تفتك بالأبرياء ، فلماذا يُلقى بهذا الشعب البرىء فى أتون هذه الحرب الطاحنة ؟ ومن يستطيع أن يزج به ووراءه العقلية الجبارة التى صقلتها الحوادث حتى كونت منها رجل الساعة ، وعبقرى القرن العشرين ، إذن فليلعب بصولجانه فى وجه الساسة وليُدِر رءوسهم شرقاً وغرباً لكيلا يزج بشعبه فى المآزق ...

ولهذا وضعت الحرب أوزارها وحمامة السلام ترفرف مغردة فى الأماكن المقدسة ووديان الجزيرة الدفاقة بالحيوية ؛ لأن صانع التاريخ فيها يدعو دائماً إلى السلام . . . ويؤيد دعوته بما يدعو إليه الدين القويم . . من مبادئ كلها تهدف إلى الخير والسلام .

ولكن هل مرت سنوات الحرب . والمملكة العربية السعودية قابعة راكنة إلى السكينة والدعة ؟

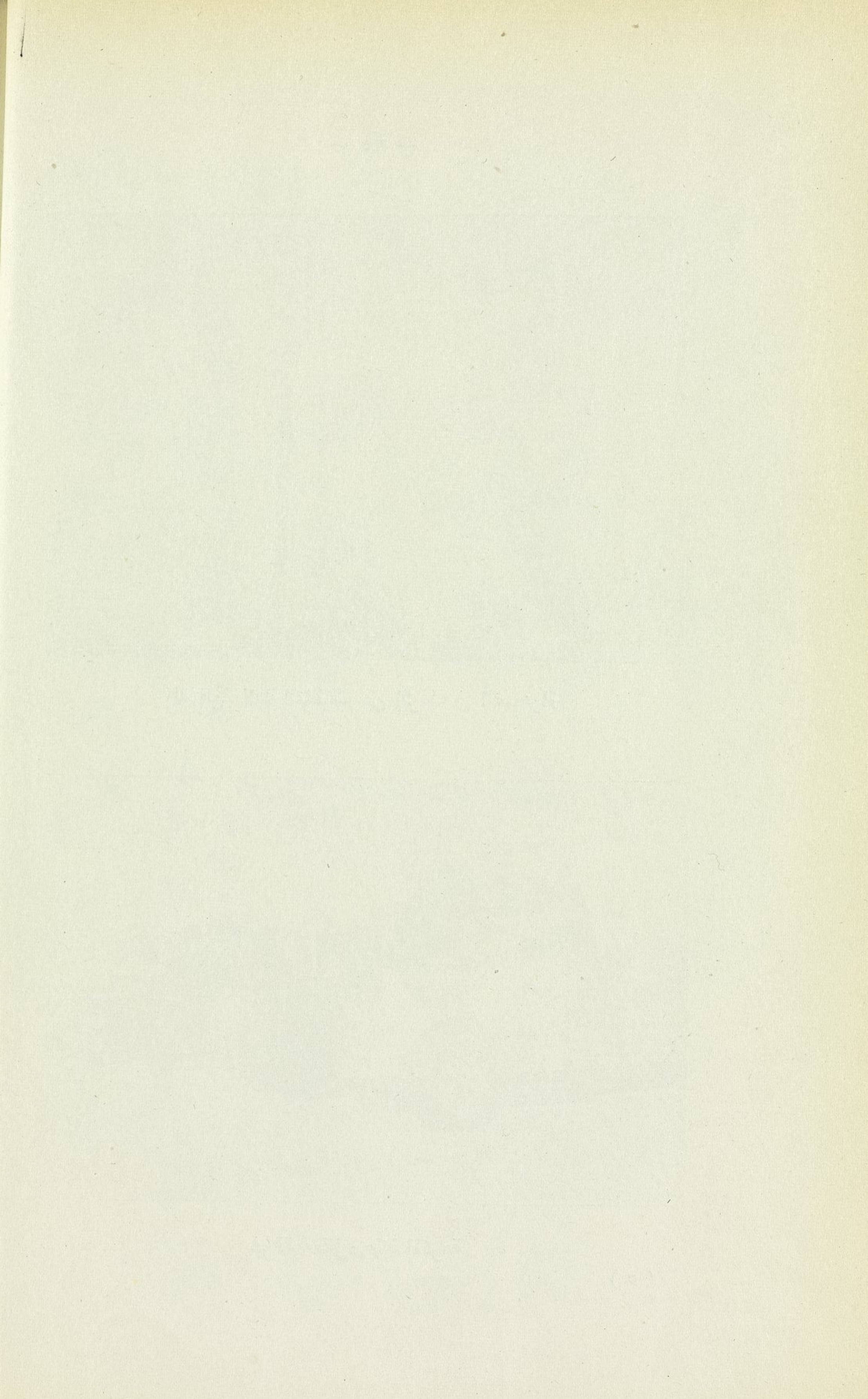
كلا ، فلقد آلى مؤسسها على نفسه أن يجعل فيها مملكة لها كيان مشرف ولا يتم له ذلك ولا تكون المعجزة ، إلا إذا تمكن من مقومات الحياة ، وهيأ الوسائل التى تضمن لهذه المملكة السعادة والرفاهة ، سعادة يعيش فى ظلالها المجتمع ، ورفاهة ينعم بها سكان هذه المملكة .



آلة من آلات التنقيب عن الزيت فى الصحراء



فرقة مطافىء مكة المكرمة



فما هى المقومات ، وأين يجد وسائلها ؟

إن الصحراء قاحلة مترامية يصفر فيها الريح ، والعقول بدائية لا تكاد تعى شيئاً ، والأجسام عارية هزيلة البنيان ، ومن كل هؤلاء يتكون هذا المجتمع الذى تمنى له عاهله السعادة ، إذا تألب عليه أعداء كل مجتمع كان يرزح تحت كابوس الفوضى . ومن هم أعداء المجتمع غير الفقر والجهل والمرض ؟ الأعداء الذين تصدت لهم فى الجزيرة ، العزيمة الصادقة والنفس المؤمنة المتوكلة على الله ، التى ما تنفك تذكر الله فى الأصائل والبكور والليل والنهار ، وبذكر الله تطمئن القلوب وتجد من كل ضيق مخرجاً .

أصبحت المملكة العربية السعودية محط أنظار العالم ، وفى ربوعها ومجاليها مهوى أفئدة ومحجة قاصدين . فلا يليق إذن أن تصافح العيون والقلوب بغير مظهر القوة . ولا قوة إلا بالخلاص من هذا الطاعون الثالوثى ، والله المستعان .. والعمل خير وسيلة لإدراك الغاية والوصول إلى الهدف .

ولذلك دعا الملك الراحل الخبراء من مشارق الأرض ومغاربها للاستعانة بهم فى وضع الخطوط الرئيسية التى تضمن القضاء على أعداء المجتمع .

فمن مصر وسوريا خبراء من رجال التعليم لوضع مناهج على أحدث الطرق ، وتعميم التدريس الابتدائى فى سائر أنحاء المملكة بأسلوب تدرجى يضمن اطراد السير ، وكذلك أطباء ومتخصصون يضعون اللبنات الأولى للمستشفيات العامة التى تعالج وتقدم العلاج لكل مريض بالمجان .

ومن الغرب خبراء يدرسون طبيعة الأرض ، ويضعون تقاريرهم عن المياه ، والمناطق الزراعية والمناجم والمنابع ؛ ومفاتيح كنوز الأرض .

ولقد كانت النية خالصة والغرض نبيلاً ، والعمل صادقا لوجهه الكريم

ولذلك أخذ الله بيده فى جميع هذه النواحى العمرانية ، فاستحالت تقارير الخبراء إلى اتفاقات عالمية ، آتت أكلها ضعفين فازدهرت المناطق الزراعية . وتفتحت الأرض عن كنوزها فسالت نضاراً هنا وهناك .

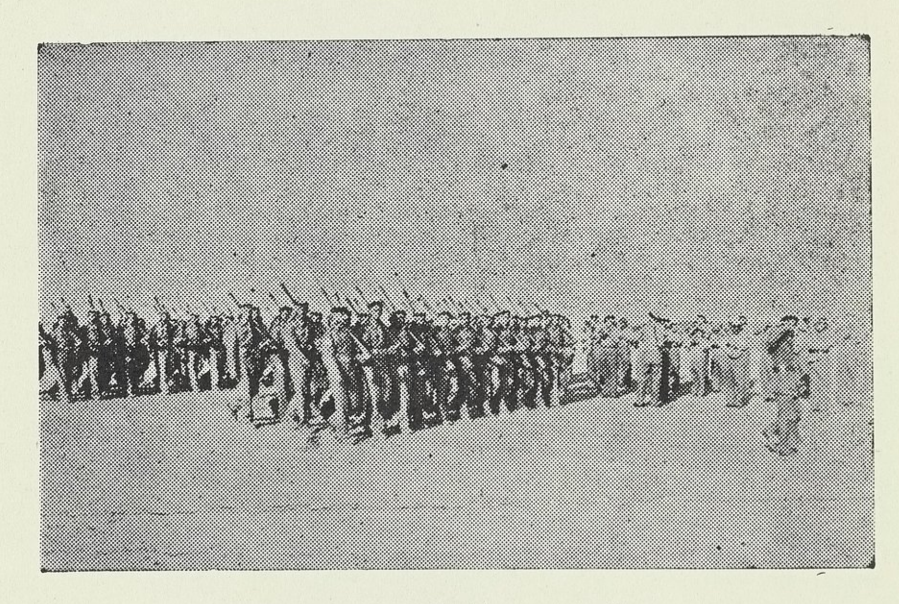
واعترف العالم العربى والإسلامى بوجود نهضة علمية مباركة وتحدثت المؤتمرات عن الجهود المبذولة فى مرافق الحيـاة ، ولسنا بصدد سردها أو التعرض لها إجمالاً أو تفصيلاً ؛ ولـكننا نريد أن نستعرض فى أمانة الجهود الموفقة التى بذلها جلالة الملك سعود أيام كان ولياً للعهد يسير فى ركاب موجهه ؛ ويتوجه إلى الخير وفعل الخير بإرشاده .

ولأنه المطلب الأول لهذه النهضة الفتية ، تبنى جلالته مشروع إنشاء جيش نظامى تباهى به المملـكة ويضاهى فى تنظيمه الجيوش العربية المجاورة .

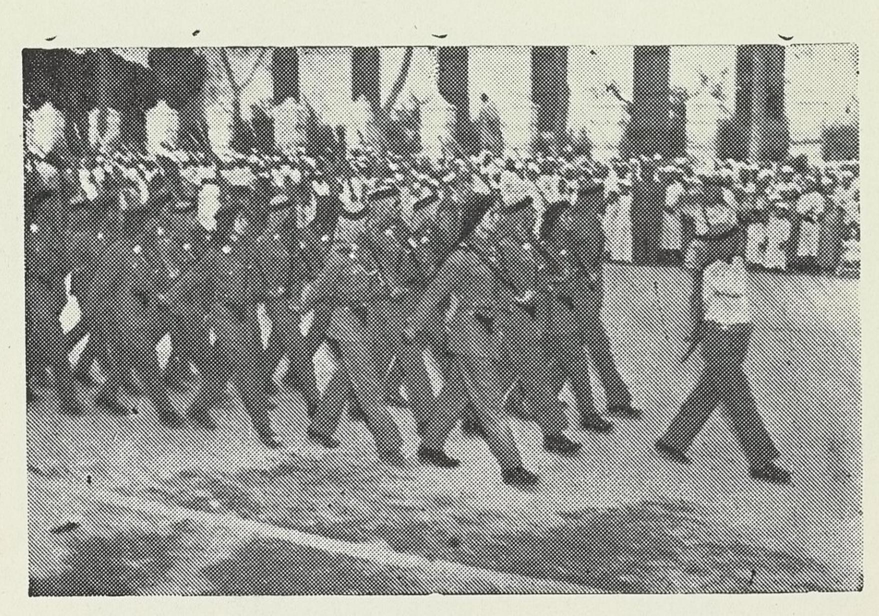
إن العالم بأسره ينظر إلى الصقر نظرة إكبار وإعجاب إذ عرف فى شخصه الحـكيم المحنك ، والمحارب الذى لا يهزم حتى فى ميدان السياسة ، والمحارب الذى نادى بالحق وشهر سيفه فى وجه الباطل فأخاف بقوة حجته المحافل ، وبهر الساسة وعرف قبل ذلك ببعد نظره ودهائه ويعرف هو مع هذا أن جيشه المحارب ، لا يقيده نظام ولـكنه لا يعرف الهزيمة . فإذا ما سئل عن الجيش قال : فى صدق وإيمان ما معناه إننا نحارب فى سبيل الله . وإعلاء كلمة الله ، بقوة الإيمان وإيماننا بأن الحق بجانبنا خير سلاح . .

وهو بجانب هذا يؤمن فى قرارة نفسه بضرورة مسايرة ركب الحضارة والأخذ بأسبابها ، ويكرر دائماً قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولذلك أمر بتشكيل جيش نظامى ، ووزارة للدفاع أسندت إلى شبل من



طابور من سلاح المشاة السعودى



طابور من جنود البوليس بمكة المكرمة

أشباله هو المغفور له الأمير منصور ، وتبنى جلالة الملك سعود آنذاك هذا المشروع فوهبه القسط الأوفى من عنايته وسهر على تقوية وحداته ، وإنشاء ثكناته ومعسكراته فى كل أنحاء المملكة .

ورصد لإنشائه مبالغ سخية تنفق على شراء الذخائر والمؤن وبعث البعثات إلى مختلف أصقاع المعمورة ؛ وليس هذا وحده بل انتدب البعثات العسكرية لتدريب الجيش على مختلف فنون الحرب ، وزوده بكل المعدات العسكرية حتى أصبح جيشاً له قيمته ومعناه بين الجيوش العربية .

وليس بغريب أن يكون المحارب فى الصف الأول الفاتح الغازى راعى الجيش وحاميه ؛ ولذلك أسندت إليه القيادة العليا للجيش الذى يساهم فى الدفاع بالتعاون مع الجيوش العربية وتعترف الجامعة العربية بعضويته كجيش له خطره وقيمته .

وإذا سئل سعود القائد الأعلى للجيش عن آماله وأمانيه فى جيشه الظافر الذى تزداد وحداته قوة « وتكتيكا » وتسير صفوفه قدماً فى ظلال راية التوحيد .

إذا سئل أجاب : إننا لا نعد جيشاً للحرب والعدوان ولكننا نعده للذود عن الحياض والدفاع عن حوزة الوطن والكفاح فى سبيل نصرة دين الله وإعلاء كلمته لأننا لا نريد علواً فى الأرض ولا فساداً ، ولكننا بحول الله نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونرد كيد الكائدين إلى نحورهم .

***

والبلاد السعودية واسعة الحدود مترامية الأطراف إذ تمتد من الخليج الفارسى شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر غرباً ومن اليمن جنوباً إلى حدود العراق وسوريا شمالاً فى مساحة لا تقل عن قرابة نصف مليون من الأميال المربعة وتفصل بين

حاضرتها وباديتها إما جبال شاهقة ، أو صحارى مترامية وتتكون فى مجموعها من مناطق متباعدة الحدود ، ولهذا كان من المحتم أن تلعب المواصلات الحديثة دوراً هاماً فى ربط أجزائها فالمغفور له جلالة الملك الراحل عمم اللاسلكى فى المدن والقرى على السواء ، ليطلع على كل صغيرة وكبيرة فى أطراف مملكته الشاسعة .

وقد يستغرب القارئ إذا علم أن الشبكة اللاسلكية فى المملكة العربية السعودية من أقوى الشبكات إذ عليها الاعتماد الأول لمعرفة ماجريات الأحوال فى سائر أنحاء المملكة . . . فحتى الحوادث التافهة يجب أن يبعث بها تقرير تلغرافى للبلاط الملكى .

***

ويلى ذلك فى الأهمية (السيارات) — فهى على رغم وعورة الطرق الصخرية والصحراوية تجوب القفار ذاهبة آيبة ليل نهار حاملة الركاب والبريد بين المدن السعودية بصورة دائمة .

ولكن هل يمكن الاكتفاء باللاسلكى والسيارات ؟ .

***

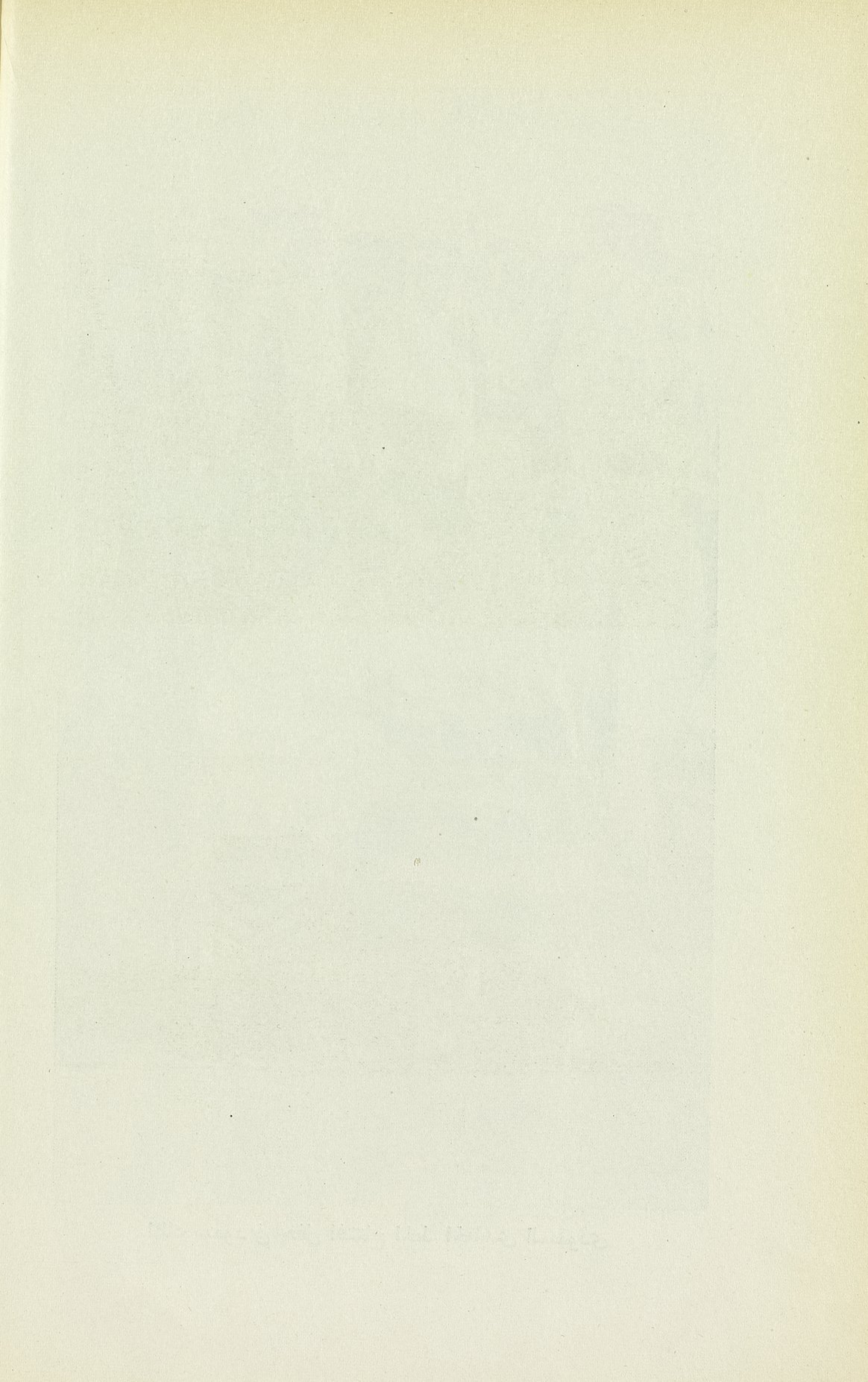
هناك مواصلة يجب أن تربط المدن والحدود بعضها ببعض ؛ تلك هى السكك الحديدية ، وما دام أن الخزينة خزينة الدولة تستطيع القيام بإنشائها دون إسنادها إلى أية شركة أجنبية فما عليها إلا أن تعمل والله المستعان .

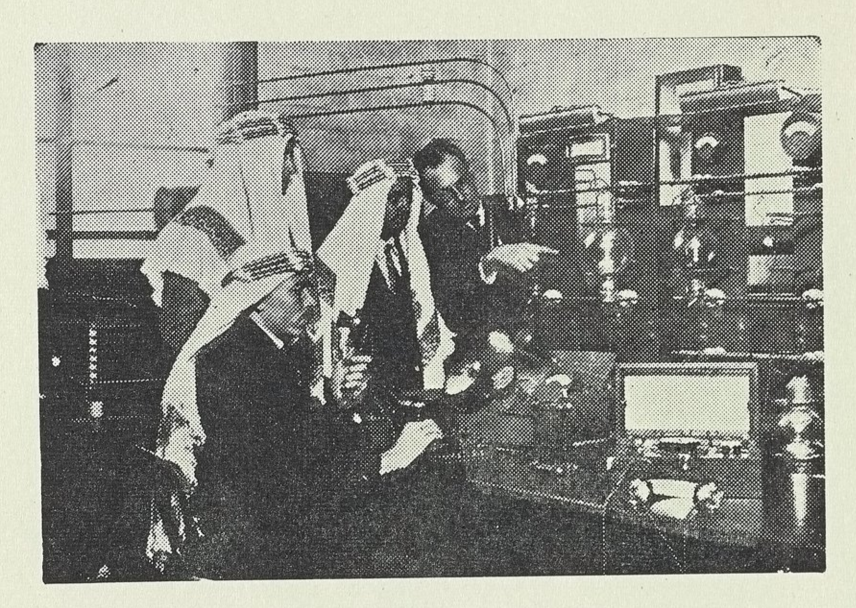
وفعلاً صدر أمر المغفور له الملك عبد العزيز بمد الخط بين مقاطعة الظهران ونجد ، ودرس المشروع ونفذ أمر جلالته عضده وساعده جلالة الملك سعود .

وما هى إلا سنوات قلائل حتى سار الخط عبر الرمال من الدمام إلى الرياض على مسافة سبعمائة كيلو متر تقريباً ، واحتفل بافتتاحه .

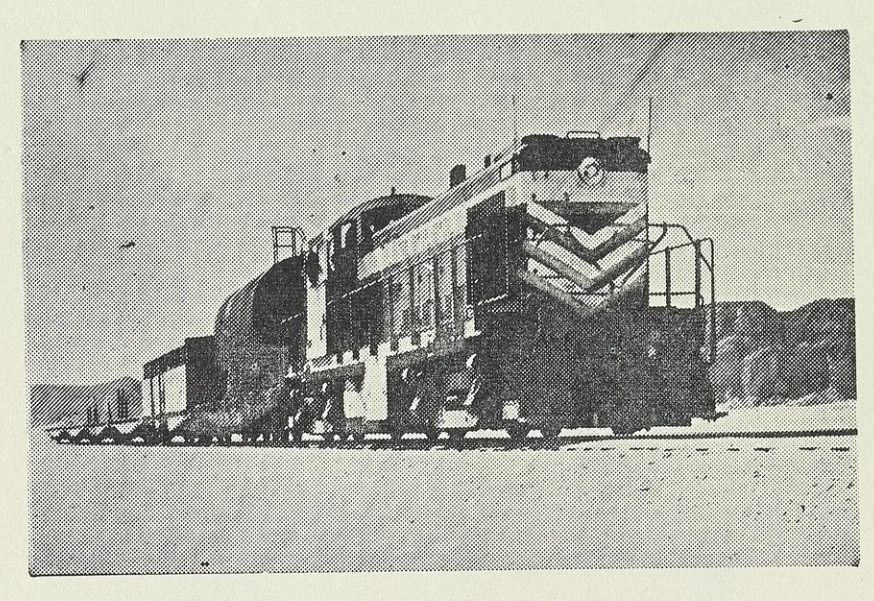


الملك سعود فى حفل افتتاح الخط الحديدى السعودى

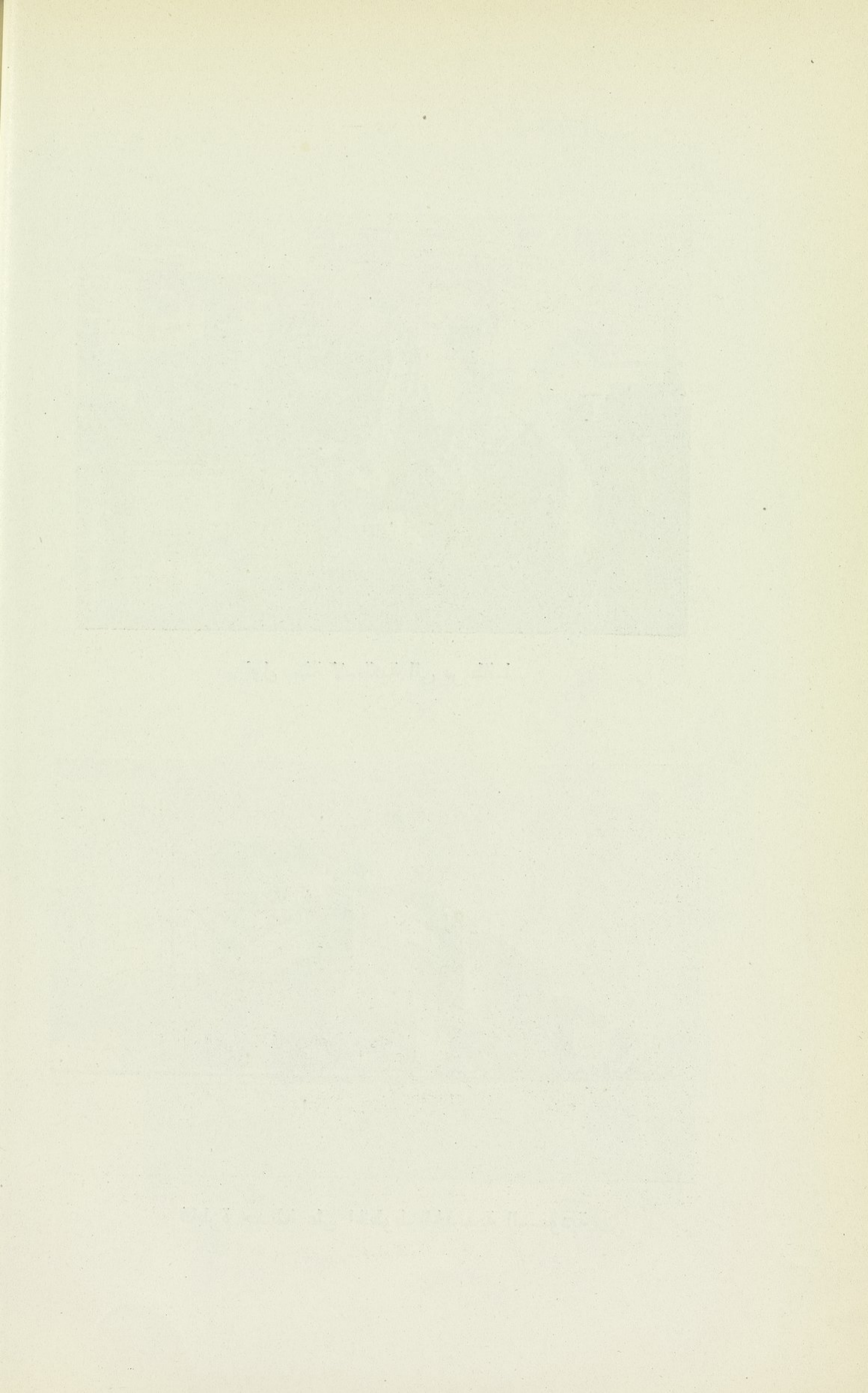




أول بعثة لاسلكية الى بريطانيا



قاطرة حديثة على الخطوط الحديدية السعودية



ولكن سعود فأل الخير ، ورجل المشاريع كما يسميه الشعب السعودى أبى إلا أن يصدر أمره يوم الاحتفال بضرورة الاستمرار فى مد الخط من الرياض . . إلى المدينة المنورة . . فجدة . . فمكة . . ليرتبط الحجاز ونجد بخط حديدى واحد . .

وهكذا راح منذ أن وضعت الحرب أوزارها وصدرت إرادة جلالة الملك العظيم بأن أوامر ابننا سعود كأوامرنا تماماً يحتفل بافتتاح المشاريع الخطيرة ، ولم نتعرض لذكر الجيش والسكك الحديدية إلا كدليل على أنه يريد أن يعمل ونرجو الله له التوفيق .

***

ومن المشاريع التى تبناها جلالته منذ نشأتها الأولى الإذاعة السعودية ، فصوت مكة بلد القرآن ، بلد النور خليق بأن يدوى مجلجلاً فى أصقاع المعمورة ناشراً تعاليم الدين الحنيف ومبادئه الكريمة القويمة .

هذا الصوت الذى تخضع له القلوب وتخشع له الأبصار وترهف الأسماع عند الاستماع إليه ، فالقرآن الكريم يرتل ويردد من مهابطه ومنازله الشريفة التى ولد فيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعث ودعا إلى البر والتقوى والتآخى فى الله .

ولهذا يحرص جلالته أن يوليها الشىء الكثير من عنايته سيما بعد أن عرف العالم أجمع عن طريقها ماكان يجهل الكثيرون عن المملكة العربية السعودية وما وصلت إليها خطواتها التقدمية فى سائر النواحى العمرانية والعلمية والصحية والزراعية والاقتصادية وغيرها .

ولقد تحدثت منها كثيراً عن شئون المرأة المسلمة . . فى ركن المرأة كما تحدثت عن الجيش السعودى . والدولة الإسلامية وكيف يمكن إنشاؤها عن طريقة

تربية الأسرة تربية دينية ، فأتاحت لى هذه الأحاديث معرفة ما عليه هذه الإذاعة من القوة .

وإنى أسأل الله من أعماقى أن تحمل فى المستقبل صوت الأمة الإسلامية الموحدة تحت راية الإسلام إن شاء الله .

أما التعليم فكانت خطواته أكثر اطراداً . إذ بدأت بتعميم المدارس الابتدائية فى المدن الكبيرة أولاً ثم توسعت وانتشرت فى أغلب المدن ولا نقول إنها وصلت إلى حد الكفاية .

واستعين فى وضع المناهج الدراسية فى البداية بخبراء من خيرة رجال التعليم من مصر وسوريا ، وكان الإقبال ولا يزال من الشعب على التعليم يتزايد يوماً عن يوم حتى أصبحت المدارس الموجودة لا تفى بالحاجة وتتطلب المزيد .

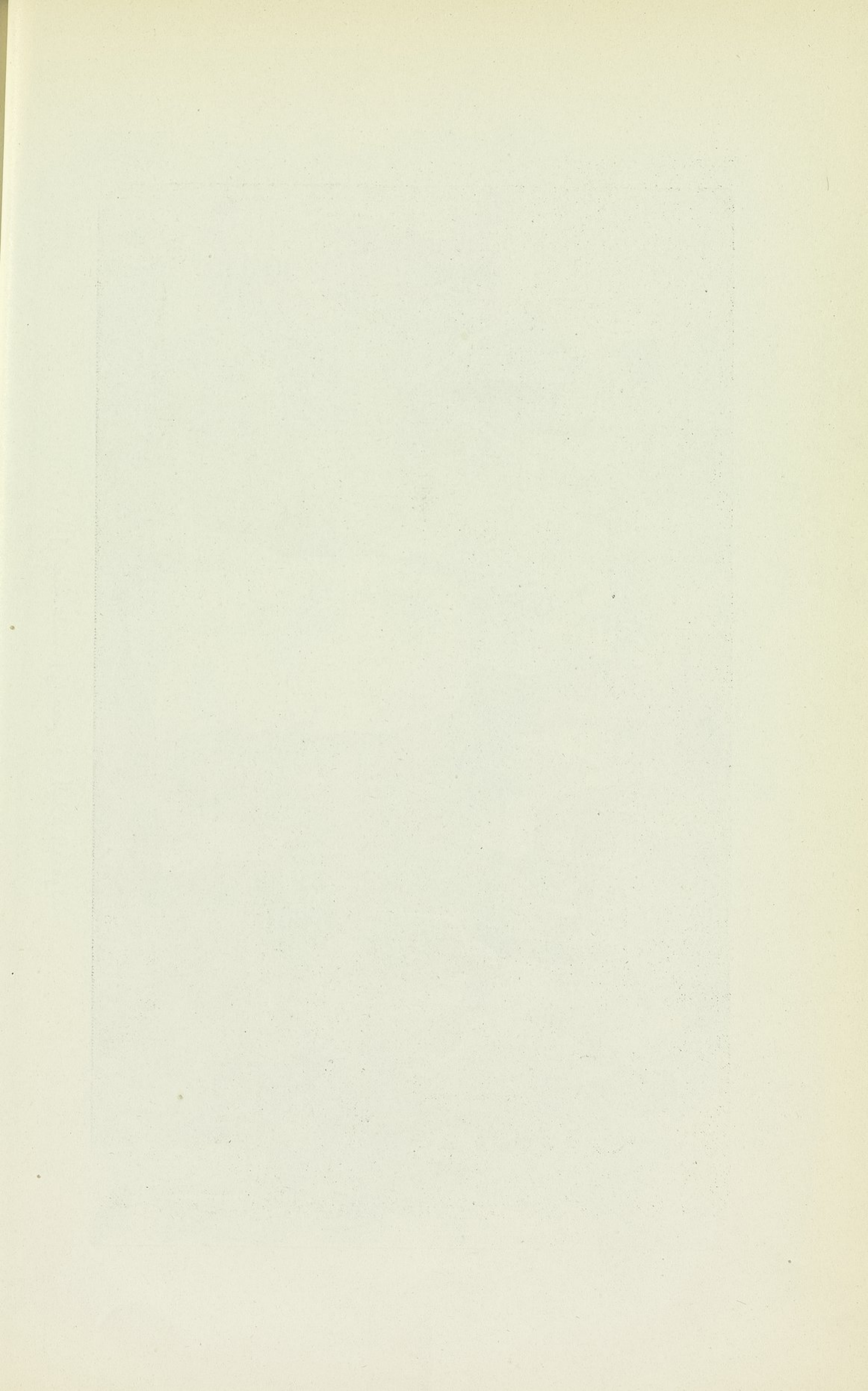
ولا يفهم القارىء مما ذكر أن التعليم المنتشر الآن فى المملكة العربية السعودية : هو الابتدائى فحسب بل تعداه إلى الثانوى ، فالعالى . إذ هناك ثمانى مدارس ثانوية فى (مكة) و (جده) والمدينة وأبها والأحساء . وفى مكة أيضاً معهد يسمى المعهد السعودى وهو فى درجة الثانوى وكلية للغة العربية وكلية للشريعة ، وبالطائف مدرسة للتوحيد يتلقى فيها الطلبة علوم أصول الدين والتوحيد ؛ وكذلك يوجد بالرياض عدا المدارس الابتدائية المعهد السعودى وكل هذه المعاهد والمدارس الثانوية والعالية تخرج طلاباً متفوقين ممتازين فى دراستهم لعلوم الدين واللغة العربية .

بقى أن نعرف كيف زودت هذه المدارس بالأكفاء الذين يوجهون سياسة التعليم ويعلمون فى المدارس حتى أثمرت الحركة التعليمية وآتت أكلها ضعفين .

***



أول بعثة علمية الى مصر من البلاد السعودية



منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها وأخذت الحكومة وعلى رأسها مؤسس الدولة السعودية الراحل الكريم المغفور له عبد العزيز ، أخذت على عاتقها العمل على ما من شأنه رفع مستوى الشعب . وكان التعليم فى مقدمة الأشياء التى عملت لها ولذلك انتدبت أساتذة من مصر للتدريس فى مدارسها الثانوية .

وكان طبيعياً أن يتحد المنهجان الدراسيان السعودى والمصرى ، لأن الحكومة أول ما وصل التعليم إلى المرحلة الثانوية أنشأت مدرسة بمكة سمتها مدرسة تحضير البعثات ، الغرض منها بعث متخرجيها إلى الخارج لجامعتى مصر والاسكندرية .

وكان هذا قبل عشر سنوات تقريباً وفعلا التحقت أفواج متخرجيها بالجامعات التى أخرجت بدورها عدداً لا يستهان به من الشباب الجامعى المثقف الذى أخذ يشق طريقه فى مختلف حقول الحياة حتى وصل فريق منه إلى مراتب من الأهمية بمكان فبعضهم يشغل مناصب كبيرة فى السلك الدبلوماسى السياسى والوزارات الأخرى كالزراعة والصناعة والمواصلات والمالية .

ونظرة عاجلة على دار البعثات السعودية بمصر ، سواء بالقاهرة أو بالاسكندرية تعطينا الدليل القاطع على أن التعليم يسير بخطى مطمئنة . فقد تخرج حتى الآن ما لا يقل عن مائتى شاب كلهم يحمل شهادة عالية إما فى الطب أو الحقوق أو الأدب أو الزراعة أو التجارة ، أو دار العلوم والأزهر الشريف .

وليس التخرج فى مصر وجامعاتها فحسب إذ هناك من تخرج فى الجامعات الأمريكية فى بيروت ومصر ، أو درس دراسة عالية بانجلترا أو فرنسا أو تركيا أو ألمانيا ، وبالأخص الأطباء منهم ؛ وإن يكن غالبيتهم حتى الآن من متخرجى كلية الطب بالقاهرة .

وهناك حقل من حقول التعليم له أهميته وخطره وهو حقل المدارس

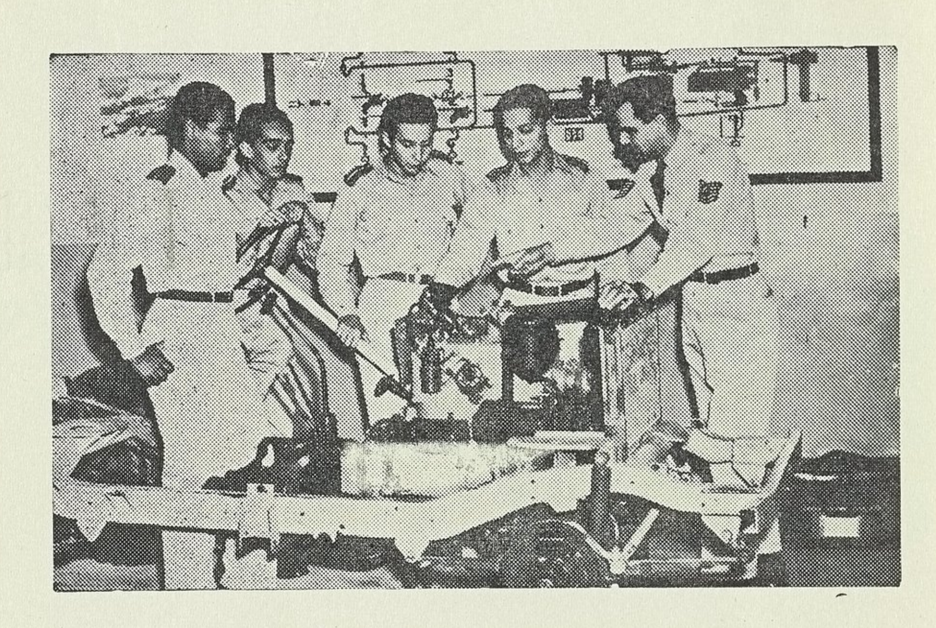
الأهلية بالأخص بمكة والمدينة وجدة فقد كانت هى المنتجة وحدها للشباب المثقف الذى ساهم مساهمة فعالة فى إدارة دفة الحكم وتنظيم الجهاز الحكومى ، ولعب دوراً كبيراً فى توجيه سياسة التعليم واستفاد الجهاز الحكومى من جهوده المشكورة وإخلاصه ولذلك لا نكاد نسأل عن رجل من رجال المملكة حتى نعلم بأنه تخرج فى مدرسة أهلية من هذه المدارس التى فى مقدمتها مدارس الفلاح بمكة وجدة ومدرسة الصولتية بمكة أيضاً ومدرسة دار العلوم بالمدينة .

وهناك مدارس أهلية أخرى ولكنها ليست من الأهمية بمكان تلك التى أشرنا إليها آنفاً . .

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة المالكة السعودية كانت أول من شعر بحاجة إلى التعليم ولذلك أسس الراحل الكريم مدرسة بالرياض خاصة بأمراء البيت المالك ، أختيرت لها نخبة من الشباب المستنير المثقف الذى عرف مدى خطورة الرسالة الملقاة على عاتقه فأداها أحسن الأداء وأخلص لرسالته كل الإخلاص فكان التوفيق حليفه إذ تخرج فى هذه المدرسة أغلب أمراء البيت المالك أنجال الملك عبد العزيز وأبناء عمومته وأقاربه ولذلك لا تستغرب إذا وجدنا فى صف هؤلاء طبقة مثقفة تفهم معنى الحياة ومطالب الحياة ، وتحترف الأدب وتقرض الشعر وتدرس دراسة عالية خاصة ، وتتمنى أن ترى الشعب السعودى أحسن حالاً مما هو عليه الآن .

وأما الأمير فيصل نائب جلالة الملك المعظم فى الحجاز فقد تلقى ابنه الأكبر عبد الله دروسه فى مدارس الشعب بمكة ، وعاش بين صفوف الشعب زمناً ليس بالقصير اكتسب الكثيرون منها صداقتهم للأمير الشاب ، وراحوا يستغلون هذه الصداقة فى تحقيق آمالهم وأمانيهم .

ولكن الأمير فيصل وفق إلى تأسيس مدرسة بالطائف لأمراء البيت



طلبة يتدربون على أعمال المطارات



يتناولون الطعام بدار أيتام مكة المكرمة

المالك المقيمين بالحجاز وهى بلا مراء مدرسة أنموذجية كما تسمى ، إذ توفر لها كل مايجب أن يتوفر للمدارس الحديثة من ملاعب رياضية ومتنزه وقاعة للمحاضرات ومسرح للتمثيل وما إلى ذلك .

علاوة على أنها مدرسة داخلية . . يقوم بشئون الطلاب فيها مربيات ممتازات ولم تقتصر على أمراء البيت المالك ، بل عليهم وعلى أبناء الحاشية والخاصة لها ، فكانت مدرسة رغم أنها ارستقراطية مطبوعة بطابع ديمقراطى محبب فالأمير وتابعه يعاملان فيها على السواء .

ولكن سعوداً العظيم الذى يمثل أباه فى الحكم وتصريف الأمور راح يغدق على مدارس الأمراء جميعها ويوليها القسط الأكبر من عنايته ويتفقدها ويسهر على تحسين حالها لتأكده من خطورة إهمال الأمراء وعدم تنشئتهم التنشئة الصالحة . ولذلك احتضن هذه المدارس وتبناها وأغدق عليها العطاء ليحارب الجهل فى الصفوف الأولى من الشعب .

وعنى قبل هذا بتوجيه أولاده وتخصيص مربين ومربيات لهم وأخيراً افتتح مدرسة خاصة بهم فى نفس داره بالرياض كان هو بنفسه المرشد والقائم على توجيه سياستها التعليمية حتى أصبح أبناؤه فى طليعة الأمراء الذين فى مثل سنهم ثقافة وعلماً .

وهناك زاوية أخرى لا يمكن إغفالها دون الإشارة إليها ، تلك هى مدارس دار الأيتام أو على الأصح الملاجىء بمكة ، والمدينة ، والرياض ، لأنها تلعب دوراً هاماً فى الحركة التعليمية فهى على الرغم من أنها ابتدائية ولكنها أخرجت شباباً صالحاً ، التحق بمدارس الشرطة واللاسلكى ، والعسكرية ثم تخرج من هذه المدارس وأخذ نصيبه فى الحياة ، فكان من أولئك الأيتام

الذين وجدوا السبيل إلى نور العلم نخبة من خيرة الضباط البواسل ، سواء فى وزارة الدفاع أو مديرية الأمن العام . وكان منهم أيضاً الشباب النير الذى ملأ أغلب المراكز فى الشبكة اللاسلكية ، ولم يقتصر متخرجو الملاجىء الأيتام على هذه الحقول بل أخذوا بنصيبهم فى المراكز الإدارية الحساسة فى مختلف حقول الجهاز الحكومى والنواحى العامة فى الحياة فمنهم رؤساء مكاتب ، ومنهم أصحاب محال تجارية ومنهم مقاولون ورجال أعمال .

وأما أولئك الذين واصلوا السير منهم فى مراحل الدراسة ، فهم الآن يتخطون المرحلة الأخيرة الجامعية بتفوق يدعو إلى الاغتباط ، ولابدع فلهم القدوة الصالحة والمثل الذى يجب أن يقتدى . . اليتيم الأول النبى الأمى . الذى نسير على هديه ونترسم خطاه .

وهناك مدرسة فى الصحراء تلعب دوراً له أهميته فقد تخصص متخرجوها للابتعاث إلى محطة السكك الحديدية حيث يتلقون فنون إدارة الخطوط الحديدية الأولية ثم يبعثون إلى أمريكا . وفعلاً بعث الفوج الأول منذ سنوات وعاد بعد أن اطلع على طرق تسيير الخطوط هناك وشغل فى مصلحة القطارات مراكز حساسة .

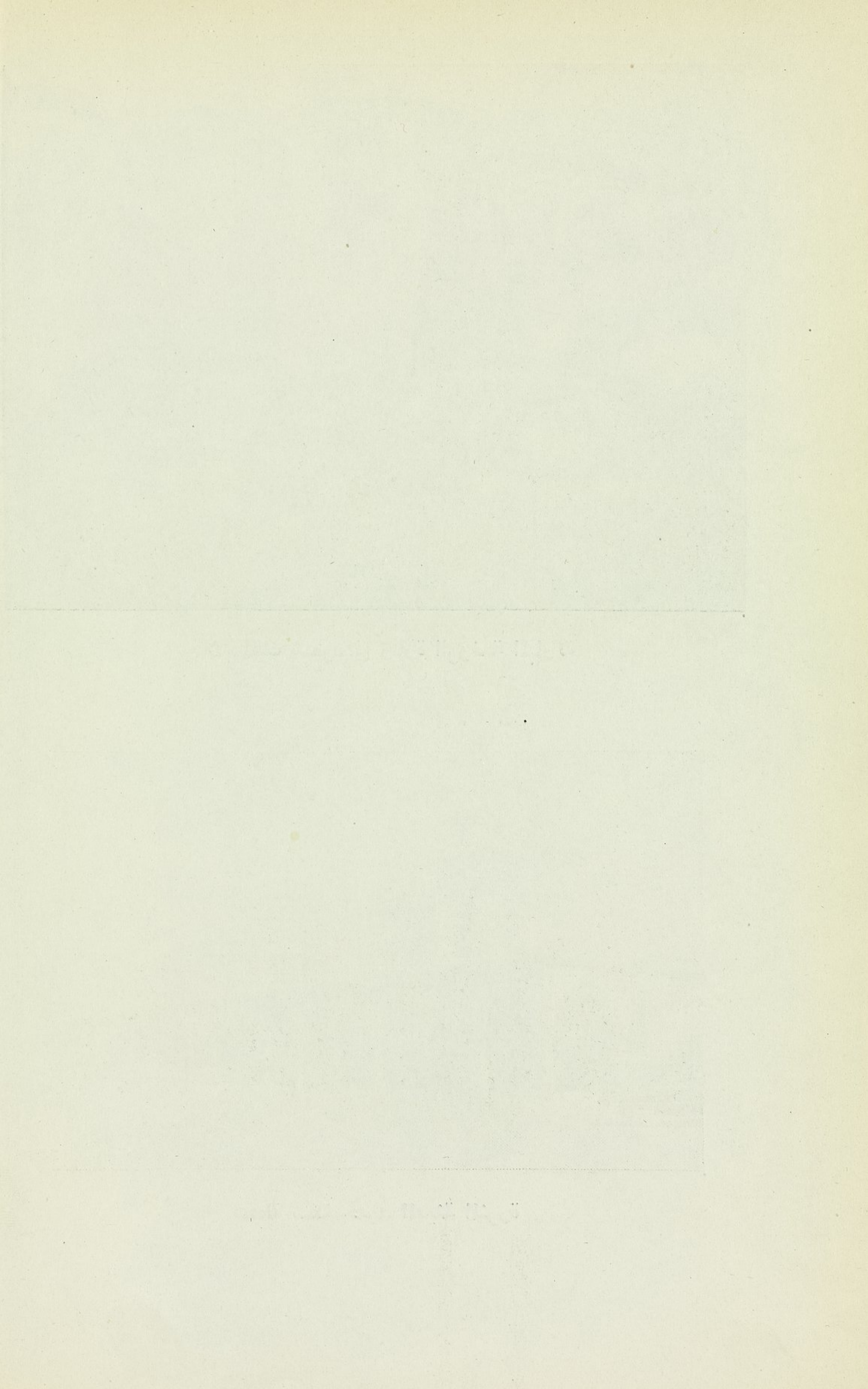
هذا عدا المدارس العسكرية التى تنفق عليها وزارة الدفاع . وكل هذه المدارس تسير فى رعاية جلالة الملك سعود الذى ساهم مساهمة فعلية فى إيجادها وتعضيدها حتى برزت إلى حيز الظهور وكونت الخطوة الأولى التى سيتبعها خطوات وخطوات .

وإذا عرفنا أن مجموع المبعوثين إلى مصر وحدها لتلقى العلوم يتجاوز الألف عدا المبعوثين إلى بيروت وأمريكا لأدركنا أن خطوتها تسير قدماً إلى الأمام .

جلالة الملك سعود فى زيارة الروضة المباركة



محطة سكة حديد المدينة المنورة



وإذا عرف الداء سهل العلاج ، ولا يعرف الداء إلا إذا وجد الوعى وأحس المريض بما يعانيه وما ينخر فى عظامه ويعبث فى جسمه من داء فقد كانت الحاضرة فى البلاد السعودية تتطبب بالعقاقير ، والبادية تعالج بالكى كلّ الأمراض ولا شىء غير هذا . . .

اللهم إلا مستشفى لم يكن فى وجوده أكثر من مستوصف عادى خال حتى من العلاج .

فما أن توحدت المملكة السعودية التى تمثل أجزاء قلب الجزيرة حتى استعان جلالة الملك الراحل ، بأطباء سوريين لعبوا دوراً كبيراً فى وضع الخطوط الأولى للمستشفيات السعودية والمستوصفات فى بعض عواصم المملكة .

وكان طبيعياً أن يستيقظ الوعى فى مختلف طبقات الشعب نتيجة لازدحام المدن بالمهاجرين إلى المملكة من سائر البلدان العربية المجاورة الذين استوطنوها طلباً للعمل والقوت . . وتمشياً مع سنة التطور والتقدم .

فقد بدأ الجميع يحسون ويدركون أن العقل الصحيح فى الجسم الصحيح ، والصحة تاج على رؤس الأصحاء ، والحياة المعاصرة التى أخذوا سبيلهم المستقيم لاقتحامها والخوض فى غمارها بدأت تغزوهم بالعلم الحديث وأساليبه القوية الأخاذة ، فالصحف والمجلات أو المؤلفات الحديثة كلها تحمل فى تضاعيفها الإرشادات الصحية والبحوث المستفيضة عن الأمراض ومنشئها وطرق الوقاية منها ومكافحتها ، ومحطات الراديو من كل موجة تدعو إلى مقاومة الداء ومكافحة المرض ، وتوضح كيف تغزو جراثيمه الجسم وتفتك به .

وكانت النظرة إلى المملكة العربية لا سيما الجانب الذى تقع فيه الأماكن المقدسة من العالم أجمع نظرة مشوبة بشىء من الاشمئزاز . باعتبارها فى نظره

منطقة موبوءة يجب أن يضيق الخناق على القاصد إليها والخارج منها ، بل يجب أن تحاط بالمحاجر الصحية العنيفة فى أساليبها ، ولكنه الشعب الذى بدأ يعى ويفهم أساليب الخلاص من المرض . . ولذلك يسافر الموسرون منهم للمعالجة والتداوى خارج القطر . ويتكبد رقيقو الحال الأمرين ويعانون ما يعانون فى سبيل الاغتراب للخلاص من العلة . .

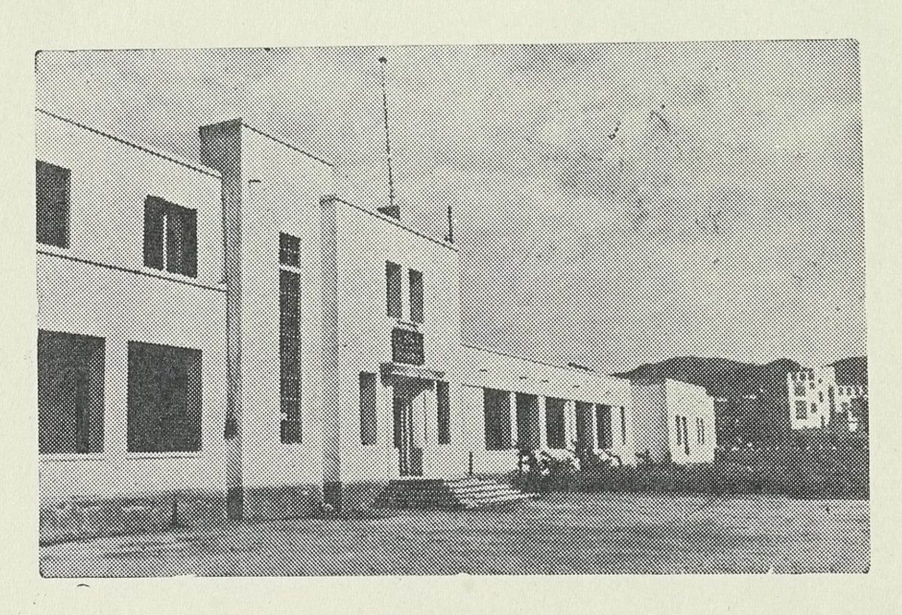
ولكن الحكومة التى أخذت على عاتقها السهر على راحة الشعب هل فعلت شيئاً فى سبيل تلافى ذلك ومكافحة المرض كما يجب أن يكافح ؟

لقد أخذت تحسن حالة المستشفيات تدريجاً وتمونها بالأسرة وأحدث أنواع العلاج الذى تقدمه بالمجان حتى عممت مستشفيات الحكومة ومستوصفاتها فى سائر مدن المملكة العربية ولكنها تتطلب المزيد تمشياً مع الوعى الذى يزداد تيقظاً وانتباهاً . . ولذلك أسندت وزارة الصحة إلى شاب من شباب الأسرة المالكة هو نجل الأمير فيصل وحفيد الراحل الأمير عبد الله الفيصل ذلك الشاب الذى ما كاد يتلقى الأمر بإسناد هذه الوزارة إليه حتى أثبت أنه الفاهم لمدى المسئولية الملقاة على عاتقه فماذا عمل ؟

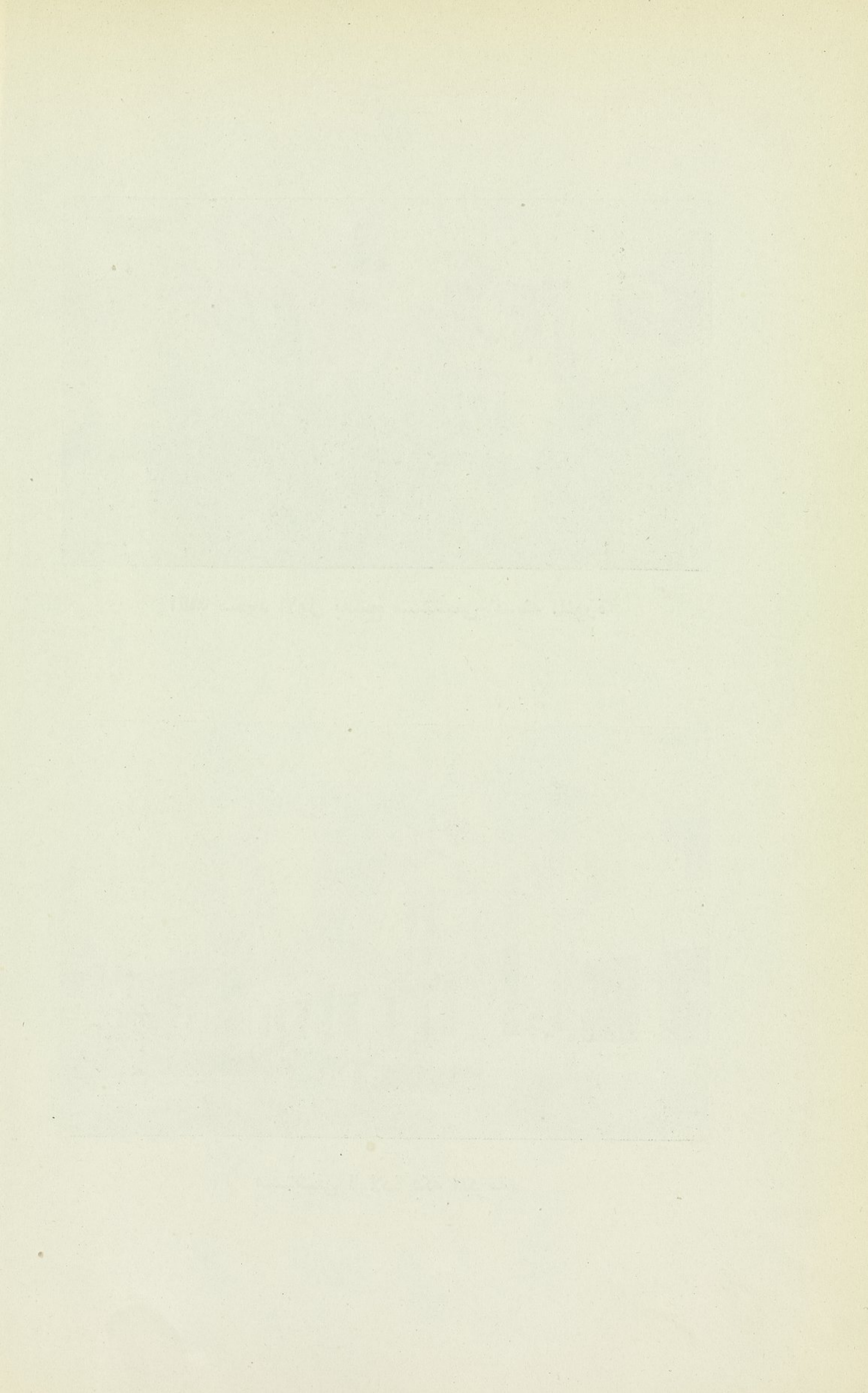
لقد عرض على القائم بتوجيه المشروعات ورجلها الملك سعود ، ولى العهد آنذاك : مشروع وزارته الجديدة وكان مشروعاً ضخماً يتطلب رصيداً لا يستهان به ، مشروعاً واسع النطاق يشتمل على إنشاء المستشفيات الجديدة هنا وهناك ، لمعالجة مختلف الأمراض ، للعيون والصدر والولادة والأمراض السرية والوبائية والباطنية وما إلى ذلك ، ويشتمل على انتداب مئات ومئات من الأطباء لتوزيعهم على مناطق المملكة ، وخبراء يستعان بهم فى توجيه سياسة هذه الوزارة توجيهاً يضمن لخطواتها اطراد السير ، ولحركتها الازدهار ولعملها التوفيق .



الملك سعود الأول يفتتح مستشفى المدينة المنورة



مستشفى الولادة بمكة المكرمة



وليس هذا وحده بل عليها أن تساهم فى إقامة المستشفيات الأهلية لمن أراد من الشركات . . . والأطباء ؛ وتفتح صدرها للهيئات الطبية العالمية وبعوثها لتقوم بوضع قراراتها بعد دراسة وضعها الحالى من الناحية الصحية .

فكانت خطوات هذه الوزارة عملية وسرعان ماغيرت الوضع وأكسبت المملكة العربية ثقة المؤتمرات العالمية حتى نالت عضويتها ، كعضو له جهاز صحى مشرف وأخذ جلالة الملك سعود على عاتقه الاهتمام بهذه الناحية حتى وصل بها إلى ما وصلت إليه من وضع يدعو إلى التفاؤل .

إذ وجدت المستشفيات الأهلية التى تلعب دوراً هاماً فى هذه الناحية ، ومستشفيات الولادة والأمراض النسائية ومستشفى الرمد ومستشفى الأمراض الصدرية والمستشفيات العامة وهيئات مكافحة الأمراض السرية . وتضاعف عدد الأطباء المنتدبين للعمل من مصر وسوريا والباكستان ، ولا يزال العدد يتزايد يوماً بعد يوم .

وليس هذا وحده بل بعثت عدة بعوث إلى مختلف الأقطار العربية المجاورة والغرب لدراسة طرق مكافحة الأمراض والوقاية . ولأن تثبت للعالم أجمع أن أهدافها نبيلة فى سبيل القضاء على المرض من جهة ، والاحتفاظ لنفسها بسمعة مشرفة ، قامت أخيراً بعمل محجر صحى بجدة يتسع لأكثر من ثمانى آلاف نسمة استعداداً للطوارئ فى حالة ظهور مرض وبائى فى صفوف الحجاج مستقبلاً لا قدر الله وهو فى الواقع من أبرز وأكبر المشروعات الصحية التى قامت حتى الآن .

هذا عدا المستشفى الأنموذجى التى وضعت تصميماتها وتم بناؤها بمدينة الطائف ولم تفتح أبوابها لاستقبال المرضى حتى الآن . لأنها إذا تمت فستكون

خطوة انتقال بالنسبة لسكان المملكة لأن الطائف كما يسمونها لبنان المملكة العربية السعودية لجودة مناخها . . .

فالانتقال إليها وحده يعتبره الناس هناك استشفاء فكيف بمستشفى تتوافر فيها كل المستلزمات . . .

وكل هذه المشروعات يعود الفضل فيها إلى الله أولاً ، ثم إلى الجهود الجبارة التى يبذلها الملك سعود منذ ولايته العهد بتوجيهات والده البانى والمشيد لهذه النهضة الفتية .

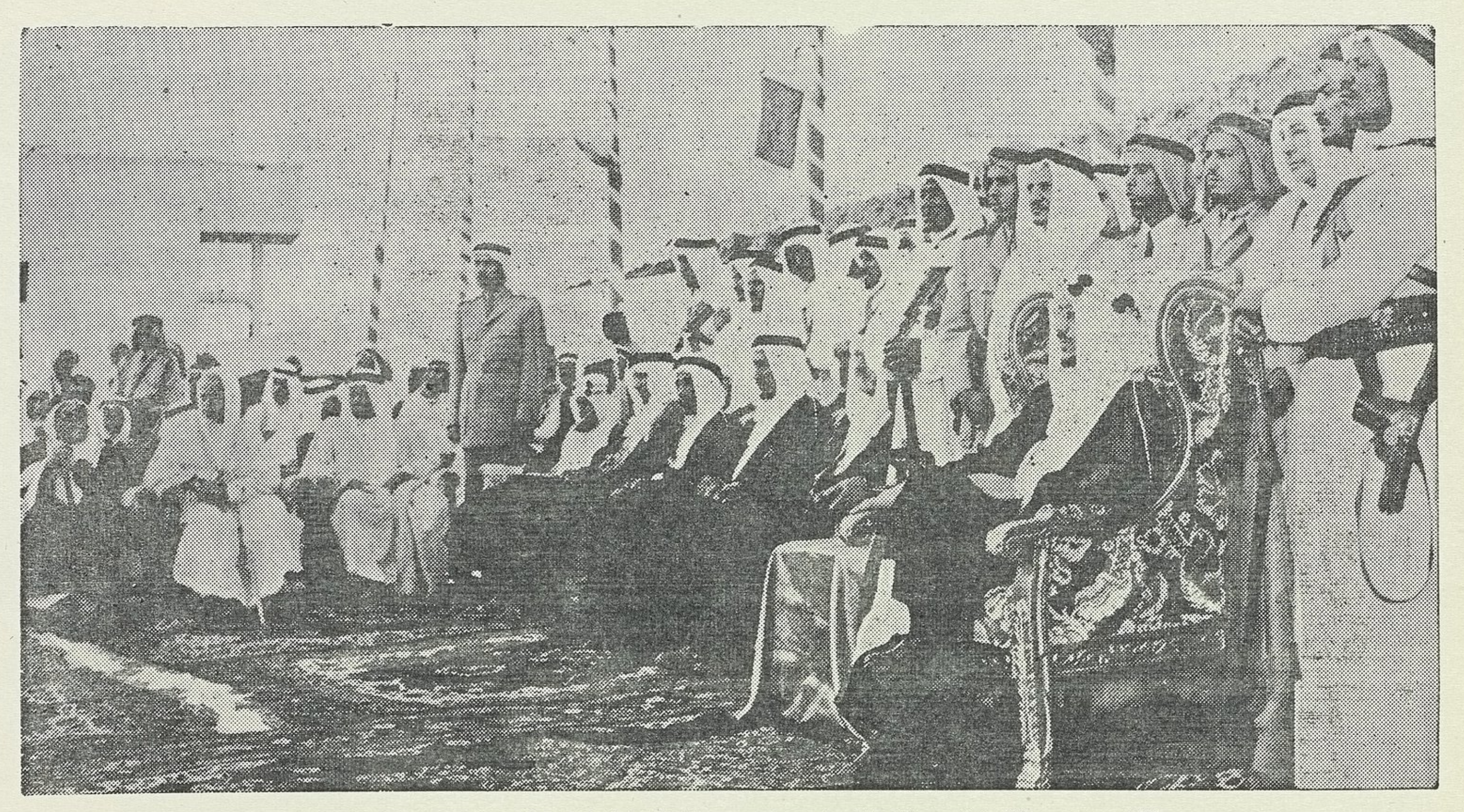
***

ولقد قامت الحكومة السعودية على أساس الدعوة لله .

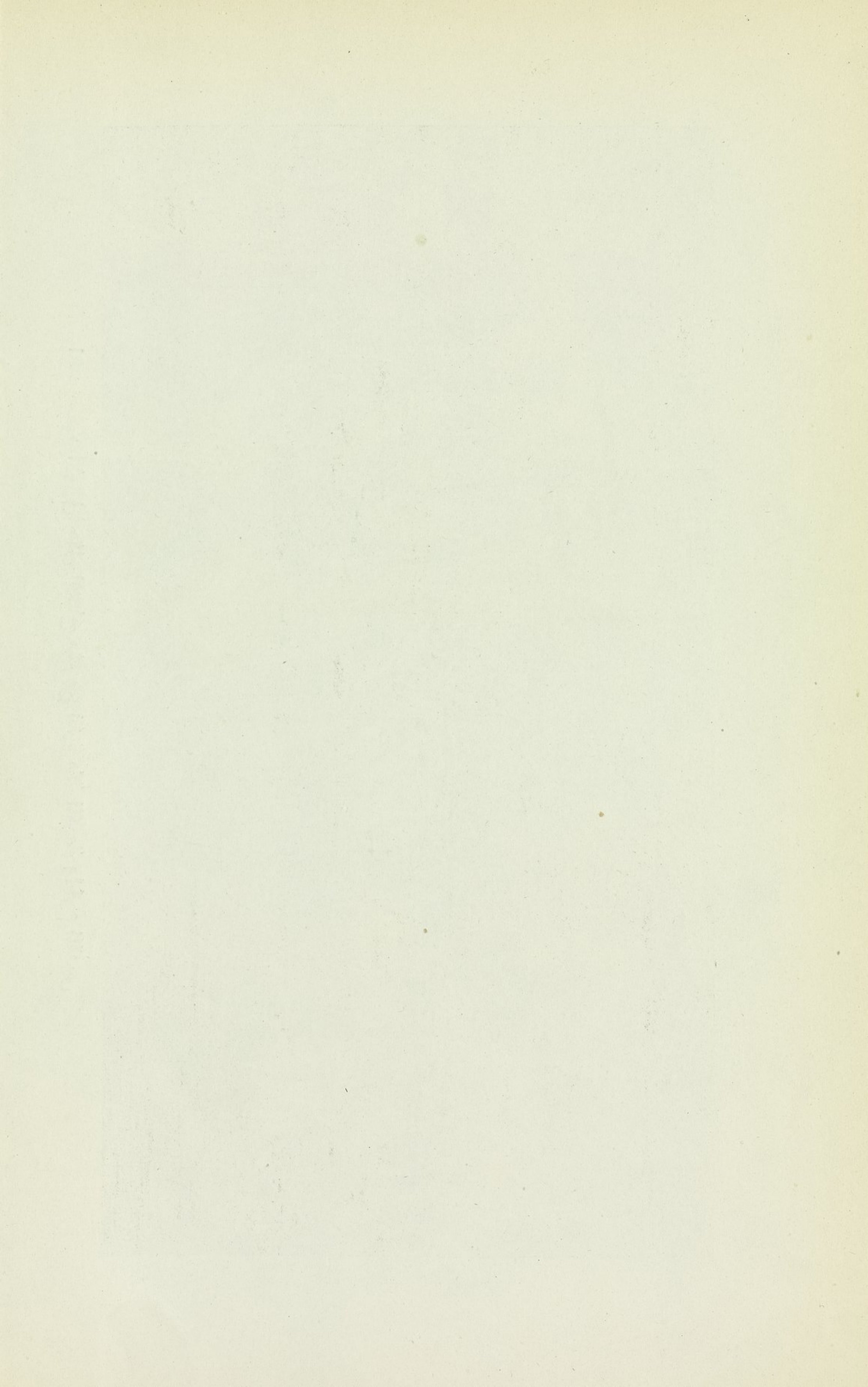
ولذلك شيدت المساجد وعمرتها لذكر الله فى كل مكان . فلا يلفت نظرك فى مكة أو المدينة أو جدة أو أى بلد من بلدان المملكة العربية السعودية إلا كثرة المساجد المشيدة على أحدث طراز . . .

***

وعرف الناس الطريق إلى النور وأساليب الحياة الحديثة فبحثوا عن الأضواء وقامت لذلك شركات النور فى كل مكان تطالب بامتياز إضاءة المدن فصافحها جلالته مقدماً لها المعاونات الكريمة والمساعدات القيمة التى تضمن لها الربح وتحقق الغاية المرجوة للذين لمسوا حاجتهم إلى التيار الكهربائى الذى يقدم لهم فى منازلهم ومكاتبهم ومتاجرهم ومعاملهم خير المنافع ، فقامت الإضاءة على أحدث طراز فى أغلب مدن المملكة على أيدى شركات أهلية ، فى مكة ، وجدة والمدينة والطائف والرياض والخبر والدمام وغيرها . ولا تزال طلبات الامتياز تقدم من مختلف الجهات ويوليها جلالته العناية الفائقة والرعاية الكريمة . . .



الملك سعود الأول فى حفل افتتاح مشروع انارة مكة المكرمة والحرم المقدس



فى سبيل الحج

لقد تغيرت أساليب الحياة ، وتطورت وسائل العيش فأصبحت للحاج القاصد لأداء الفريضة مطالب ضرورية لا يمكنه الاستغناء عنها بحال من الأحوال .

كما أن وفود القاصدين إلى الأماكن المقدسة لأداء الفريضة لم يعودوا يطيقون الاستغناء عن الوسائل التى تضمن لهم الراحة مدة إقامتهم مهما طالت أو قصرت ومن ثم راحت الصحف الإسلامية تناقش الحكومة السعودية فى كل نقص تلمسه فى مظاهر الحياة القائمة ، وتنقدها نقداً لاذعاً مريراً فكانت تستجيب إلى دعوة الإصلاح إذا لمست أن هذه الدعوة خالصة لوجه الحق .

وكانت ولا تزال العناية بشئون الحجاج من أهم المسئوليات الملقاة على كاهلها إزاء حجاج البيت الحرام . . فما عليها إلا أن تعمل وتكرس كل جهودها للاضطلاع بهذه المسئوليات .

والحج فى حد ذاته مظهر من المظاهر التى تبين مدى إمكانياتها وقدرتها على ما حملها الله من أمانة ، وهل أمانة أغلى وأثمن من حماية الأماكن الطاهرة المقدسة ورعايتها ؟ فعليها مهما فعلت ومهما أدت من خدمات أن تضاعف الجهد لإبراز الحج فى صورة تليق وتتفق بما له من قيمة معنوية لدى العالم الإسلامى أجمع .

وصحيح أن الأمن فى المملكة العربية السعودية مضرب المثل ، وصحيح أن الحاج يستطيع أن يقطع الصحارى المترامية بين مكة والمدينة ويجوب مختلف الطرقات المؤدية إلى المشاعر المقدسة دون أن يخاف على نفسه من عدوان معتدٍ ، أو قاطع طريق .

ولـكن الأمن ليس كل شىء ، فهو واحد وهناك عشرات المطالب فى مقدمتها السكن المريح ، فهل يجده الحاج وهل يتوافر له ؟ . .

إن فى البلاد نهضة عمرانية أخذت الحـكومة تعمل على رعايتها والسهر لانتعاشها بشـكل يدعو إلى التفاؤل ؛ مما جعلها تعفى مستلزمات البناء من الرسوم والضرائب وتصرح للشركات والأفراد بإنشاء منازل وفنادق لا تزال ابتدائية فى مظهرها ولم تنتشر إلى الحد الذى يفى بالغرض المطلوب وإن تـكن قد سدت بعض الفراغ .

والمدن السعودية عامة . وما يقع منها فى طريق الحاج خاصة كمـكة والمدينة وجدة تنهل من مياه الآبار والعيون القديمة التى لا تسد حاجة السكان وحدهم فهم يعانون فى الموسم الأمرين عندما تزدحم هذه المدن وما جاورها بضـيوف بيت الله .

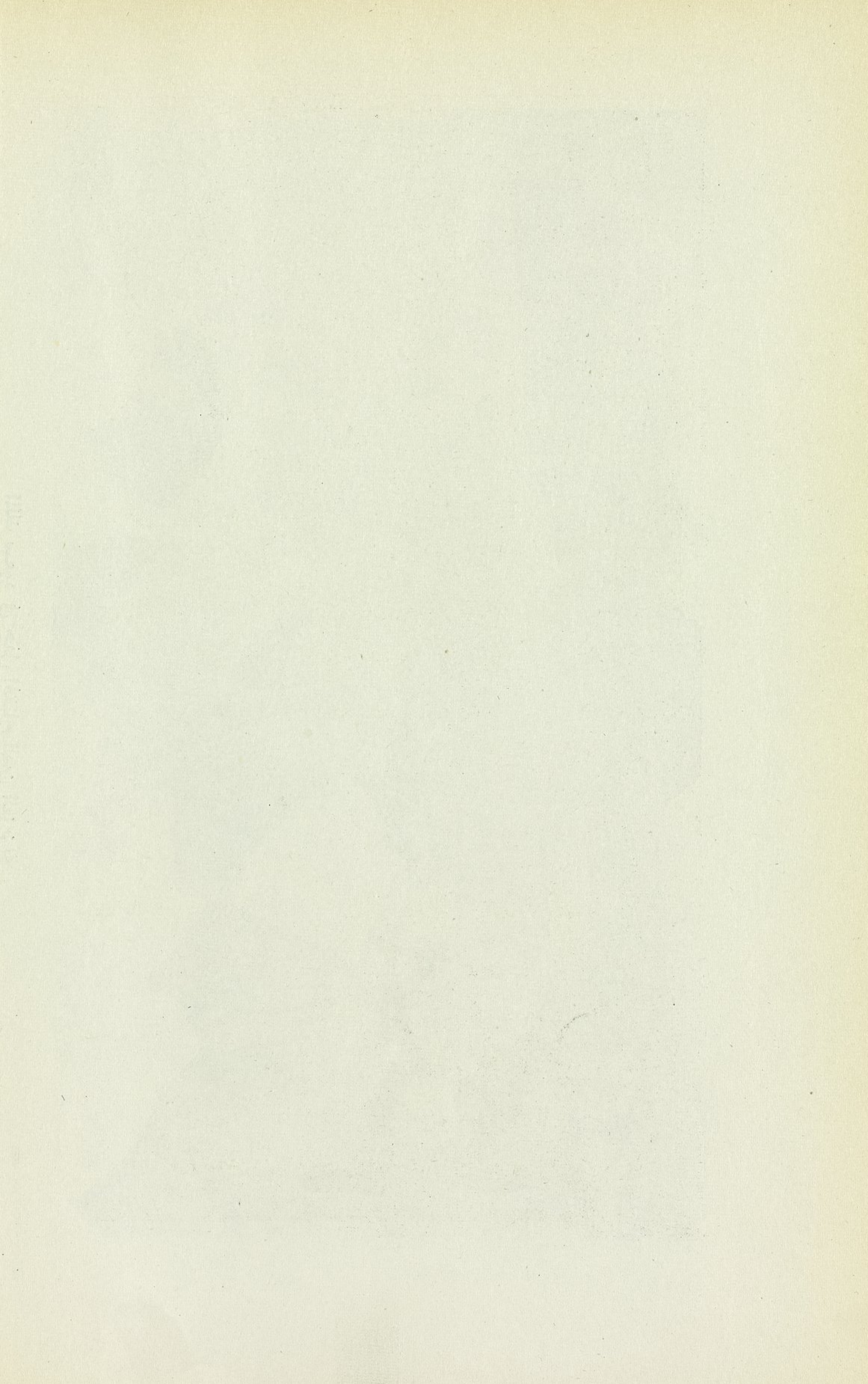
ففى مكة مثلاً عين زبيدة التى تمتد من مسافة بعيدة عنها تلك العين التاريخية التى أجرتها إلى مكة السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وفى المدينة عين الزرقاء التى لا تسد الحاجة ولا تفى بالغرض .

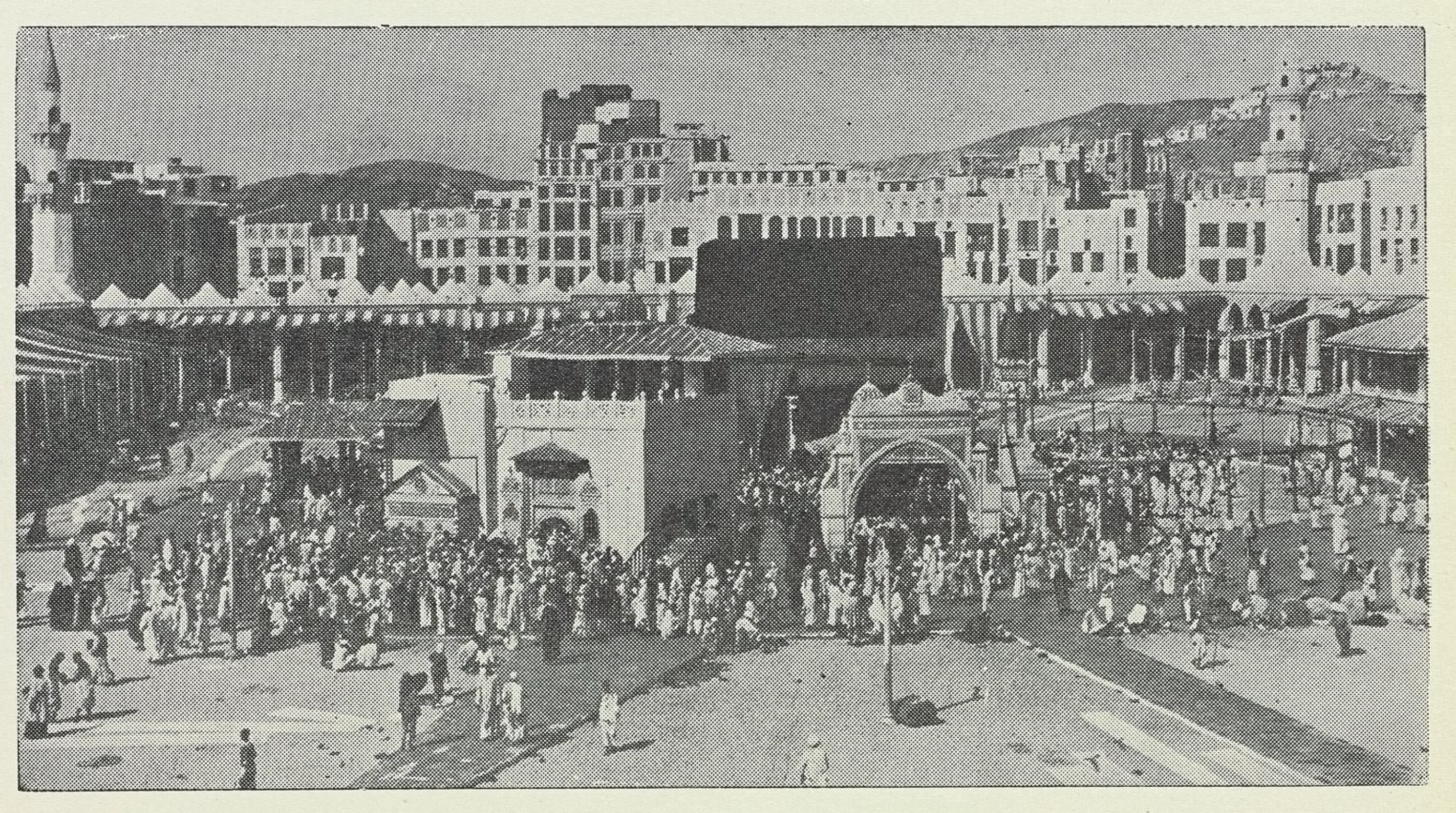
وجدة التى تمثل الساحل الرئيسى الذى ترسو عليه سائر بواخر الحجاج تعيش على ماء المطر والسيول وماء الآبار . وكذلك النور وطريقة الإنارة فى المنازل بدائية عقيمة فهى فى حاجة إلى تحسين يتفق وطرق الإضاءة الحديثة .

كل هذه أشياء يجب أن تولى حقها من العناية ويبذل فى سبيل تحسين أساليبها قدر الطاقة لضمان الجو المريح الذى يمكن الحجاج من أداء النسك فى هدوء واطمئنان . وكذلك الطرق تحتاج إلى تعبيد وإصلاح يساعد على

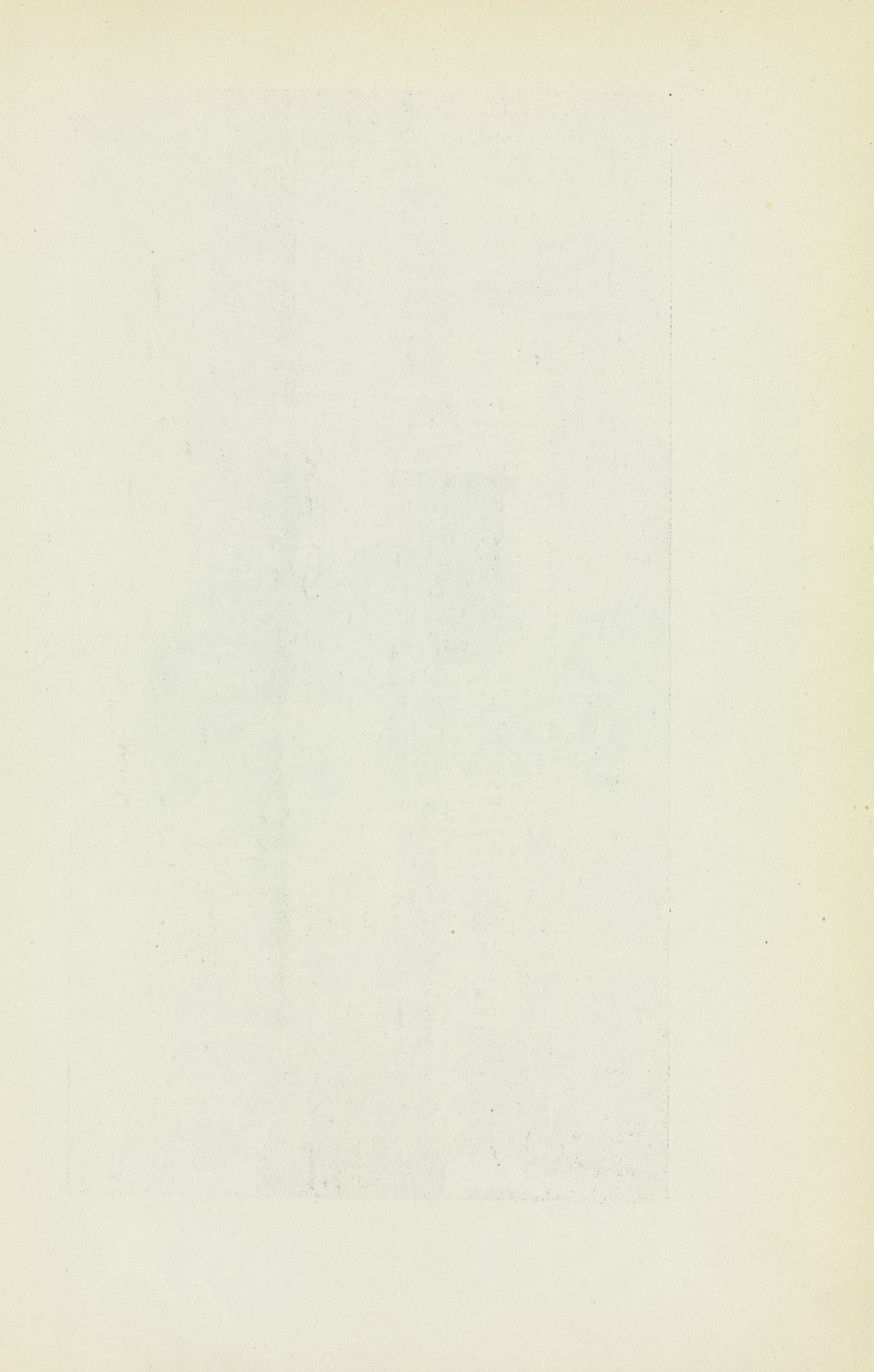


الملك سعود فى حفل افتتاح العين العزيزية





الحرم المكى الشريف



التنقلات السريعة بين المناسك والحرمين الشريفين ، فماذا فعلت الحكومة السعودية وماذا حققت من مشاريع ؟ .

لقد كان من أبرز المشاريع التى ظهرت لحيز الوجود تعبيد الطريق بين المدينة وجدة ، وبين مكة وعرفات بحيث أصبحت منطقة الحج جميعها معبدة عدا الطريق بين مكة والمدينة فهو فى طريقه إلى التمام والكمال .

كما وزعت عرفات إلى مناطق . . جعلت فى كل منطقة منها مواسير مياه كافية تتدفق إليها هذه المياه من عدة خزانات أقيمت خاصة لهذا الغرض فى عرفات والمزدلفة ومنى . .

وأضافت الحكومة على عين زبيدة عينين هما عين الجديدة وعين الزعفران . كونت من جميعها عيناً واحدة تتدفق مياهها إلى مكة المكرمة كما ضاعفت عدد (البازانات) المنتشرة فى الحوارى والمحلات ووصلت بمواسير المياه إلى النواحى البعيدة والضواحى المختلفة . وسفوح الجبال ، ولكن هذا جميعه لا يكفى إذا لم تمتد المواسير إلى داخل البيوت ، وهذا غير ممكن على ما أعتقد إذا لم تتضاعف كمية المياه المتدفقة إلى مكة وتزداد عما هى عليه الآن ، وإن تكن الحالة قد تحسنت تحسناً ملموساً يدعو إلى الغبطة .

***

ولكن جدة كانت فى الواقع أكثر نصيباً من أية مدينة سعودية أخرى . إذ كان مشروع عين العزيزية التى امتدت مواسيرها حاملة إليها الماء العذب من مسافة اثنين وتسعين كيلو متراً من وادى فاطمة ، كان هذا المشروع من أبرز المشاريع التى وفقت الحكومة السعودية للقيام بها .

وهذه العين عبارة عن مجموعة عيون تسقى أراضى زراعية بوادى فاطمة للملاك

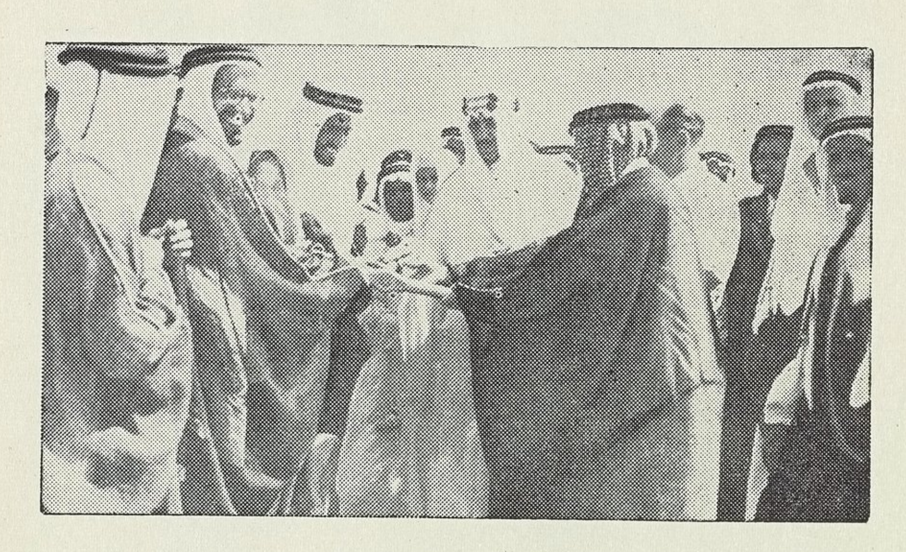
من الأشراف اتفقت معهم الحكومة على سحب الماء منها إلى جده ، على نفقة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، وفعلا تم ذلك . وترأس جلالة الملك سعود حفلة افتتاح العين ووصول الماء إلى جده ، ودبت الحياة فى هذه المدينة الساحلية وازدهرت حتى أصبحت فى موقعها مدينة أنموذجية بالنسبة لبلدان المملكة العربية السعودية .

وأعقب هذا المشروع مشروع الميناء الجديد التى تم انشاؤها بجدة أيضاً . إذ كانت البواخر فى الماضى لا تستطيع الرسو على ساحل البحر ، فكان الحجاج يلقون مشقة عظمى عند هبوطهم من البواخر . وصحبه مشروع مطار جدة الحديث الذى يعد فى مقدمة مطارات البلدان العربية ، إذ زود بكل المستلزمات والتجهيزات وامتدت خطوط جوية إلى سائر عواصم البلدان العربية والإسلامية كتركيا وباكستان وإيران وأفغانستان .

وبتوافر الماء فى جدة تطورت أساليب الحياة فيها فازدحمت بالقاطنين فيها والنازحين إليها من مختلف أنحاء العالم طلباً للقوت والعمل ، مما أدى إلى نشاط الحركة العمرانية والصناعية فيها . . فقامت نتيجة لذلك عدة مشروعات اقتصادية أهلية افتتحها حضرة صاحب الجلالة الملك سعود وكان لهذه المشروعات جميعها أثر كبير فى ازدهار الناحية الاقتصادية .

وأخذت هذه المشاريع تتزايد يوماً فيوماً حتى صارت مدينة جدة تزخر بالنشاط الاقتصادى مما أثر تأثيراً واضحاً فى هذه المملكة . .

ففى موسم الحج سنه ١٣٧١ تخلف الملك الراحل عن أداء الفريضة وأناب عنه ابنه سعودا فما كادت تهبط به الطائرة فى ميناء جده الجوى حتى أخذ يتفقد أعمال الدوائر ذات الاختصاص والتى لها علاقة بتنظيم شئون الحج ، وطلب أن



الملك سعود يفتتح أحد المشاريع الاصلاحية وبجواره أخوه سمو الأمير محمد بن عبد العزيز



حفل عام لاستقبال الملك سعود الأول بالمدينة المنورة

يتقدموا إليه بمقترحاتهم وإرشاداتهم التى يرون أن من شأنها تحسين الوضع . فراح كل منهم يتقدم بمقترحاته وملاحظاته فى صراحة ، ولكى تصل إلى يديه شكاوى الحجاج ويدرسها بنفسه كلف الجهات المختصة بوضع صناديق على أبواب المسجد الحرام ، ليضع فيها كل حاج مقترحاته وملاحظاته ولا يفتحها إلا مندوبون من قبله .

وبذلك توصل إلى معرفة الشىء الكثير الذى يجب أن يكون .

ولقد كان من أبرز المشاريع التى تنم عن محاولة الإصلاح بصورة جدية مشروع مدينة الحجاج ، فقد كان خطوة إيجابية لمس الحجيج فوائدها وإن لم تصل إلى حد الكمال ، فهى تتسع لأكثر من ثمانية آلاف حاج تستقبلهم هذه المدينة فورهبوطهم من البواخر ويمكثون بها حتى يرحلوا إلى البيت العتيق ، وعندما ما يفرغون من النسك وزيارة مسجد الرسول الأعظم . . يعودون إليها فى انتظار البواخر ، وهى على حالتها الراهنة تحتاج إلى كثير من التحسين إلا أننا لاننكر أنها أدت خدمات لايستهان بها لحجاج بيت الله الحرام .

وكذلك قام المشرف على إدارة عين العزيزية التى تسقى جدة بأعمال مجيدة كان من بينها إنشاء هذه المدينة .

ولا يستغرب القارئ العزيز إذ أسرد هذه المعلومات عن المشروعات والإصلاحات فقد اطلعت عليها وفحصتها بنفسى أثناء إقامتى بالحجاز وكنت أدرس — عن كثب — مجرى الحوادث فى أعز بلاد الله علىَّ .

لقد زرت الأماكن المقدسة ست مرات بقصد الحج ، وكنت أقيم كل مرة من هذا المرات ما لا يقل عن ثلاثة أشهر أزور خلالها المنشآت والمشروعات القائمة .

وكان أروع مالفت نظرى فى موسم عام ١٣٧١ الحفلات الشعبية التى كانت تقام احتفاءً بجلالة الملك سعود ، فمن حفلة بالمطار إلى حفلة بالميناء إلى غيرها فى مختلف مرافق الحياة .

وما كاد ينتهى موسم ذلك العام حتى صدرت أوامر بضرورة إنفاذ عدة مشاريع من طبيعتها تسهيل الحج وتوفير راحة الحجاج سواء فى مكة أو جدة أو المدينة أو المشاعر المقدسة كعرفات ومنى والمزدلفة استهلت بتوسعة منى وهدم بعض بيوتها وتعويض أهلها تعويضات سخية ؛ ولقد راحت الصحف المحلية والإذاعة السعودية توالى نشر الأوامر التى صدرت من قبله لأهميتها الكبيرة قبل حلول موسم سنة ١٣٧٢ﻫ .

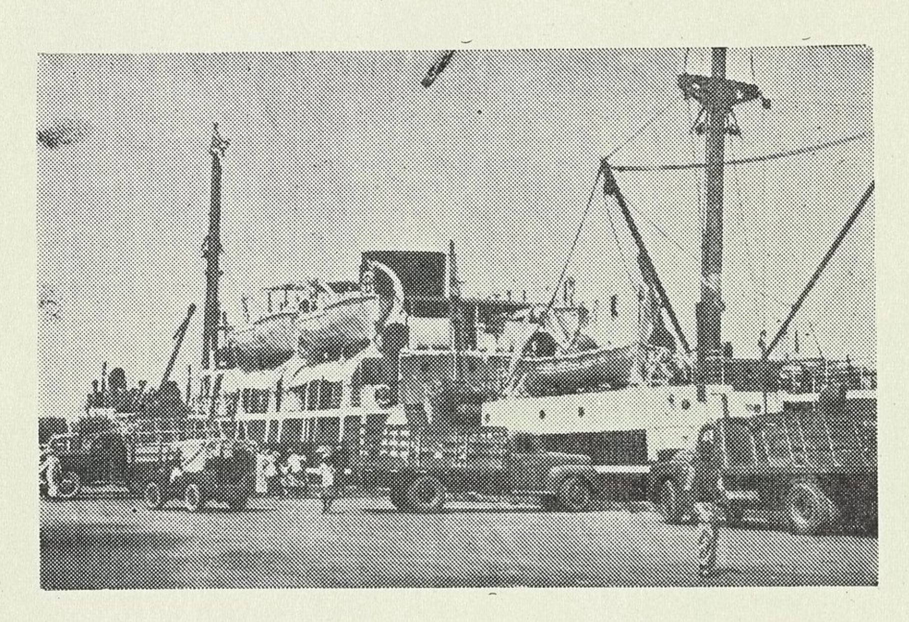
وكان فى مقدمة هذه المشاريع ، مشروع مدينة الحجاج بمنى ، تلك المدينة التى أنشئت خاصة لإيواء الذين يضلون السبيل أثناء رمى الجمار أو مغادرتهم للمخيمات ، وعدد كبير من المظلات التى تتسع الواحدة منها لأكثر من ألف حاج بعرفات ؟ هذا عدا مستشفى منى التى أنشئت لمكافحة ضربات الشمس التى يتعرض لها حجاج بيت الله الحرام .

ومنذ سنوات تصدع باب الكعبة ، فصدر أمر جلالة الملك الراحل بتغليفه وتوشيته بالذهب الخالص على نفقته ، وقام الملك سعود بتركيبه وترأس الحفل الذى أقيم فى هذه المناسبة الكريمة ، ونجمل فيما يلى المشاريع التى تعهدها برعايته وهى تعبر تعبيراً صادقا عن مدى اهتمامه بشئون الحج والحجاج ، وهى مستقاة من الأوامر التى أصدرها الملك سعود .

١ — المسجد الحرام

— إضاءة المسجد الحرام وتهويته .

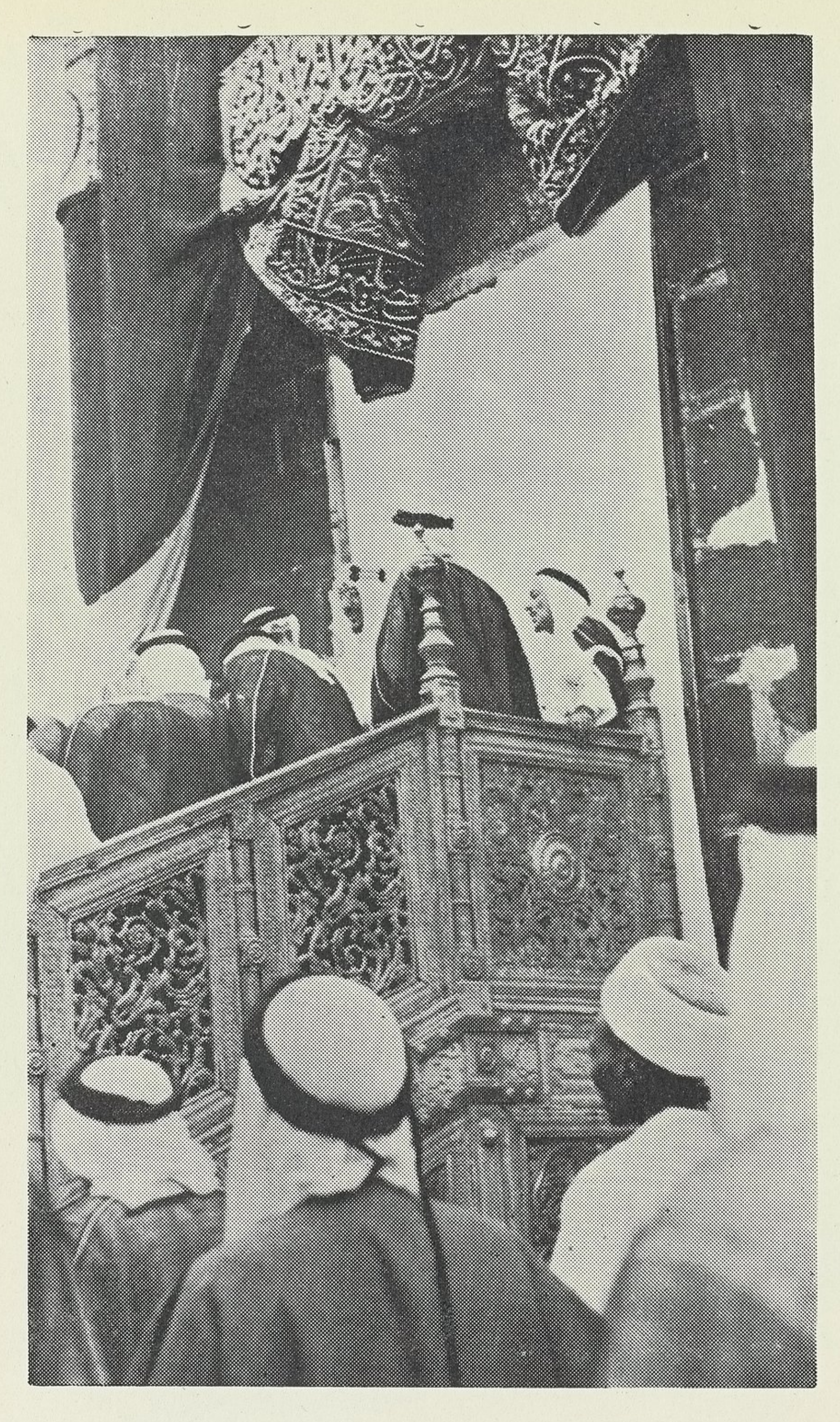
— رصف مماشى (مشايات) الحرم الشريف بالرخام الأبيض .



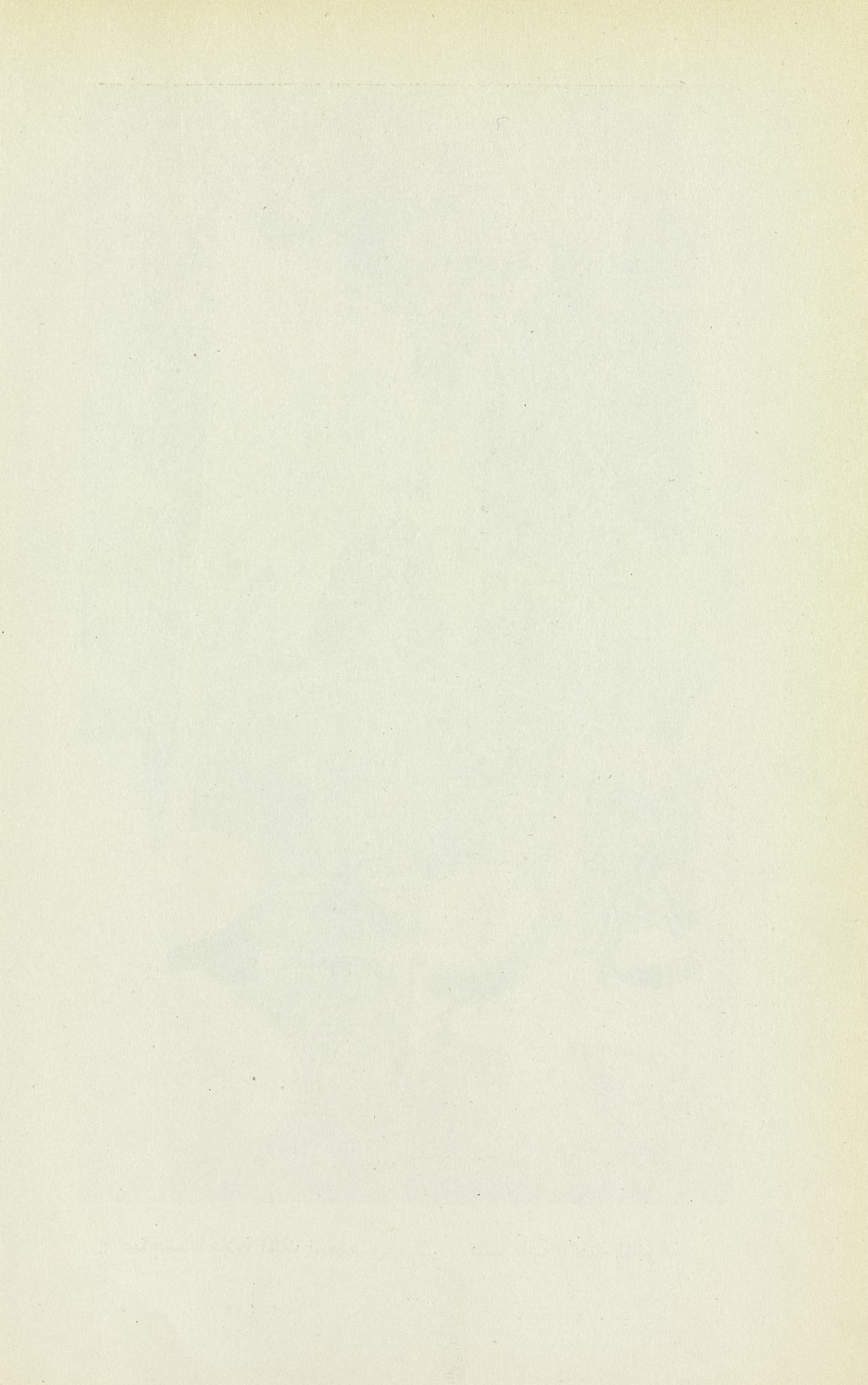
الباخرة سعود راسية على ميناء جدة



مدينة الحجاج بجدة



صاحب الجلالة الملك سعود فى حفل تركيب باب الكعبة المشرفة



— إصلاح المظلات المتحركة والموجودة حالياً بالمسجد الحرام .

— الإكثار من دورات المياه المتفرقة بجوار المسجد الحرام .

٢ — الطـــرق

في مكة :

* فتح طريق كدى « وسفلتته » .

* تعبيد شارع المنصور وإيصاله بطريق كدى .

* توطئة ربع الحجون في قمته أربعة أمتار وسفلتته حتى يلتقي بخط الأسفلت بالشارع العام في جرول .

في عرفات :

* إنشاء خط رئيسى جديد « مسفلت » بعرض تسعة أمتار من عرفة يميناً ماراً بالأخشبين فمزدلفة فمنى ، وذلك ليكون مخصصاً فقط للسيارات المحملة النازلة من عرفات بعد النفرة .

* إكمال الطريق المسفلت والموجود حاليا ابتداء من منتهى الأسفلت حتى مقهى عرفات فنمرة شمالاً فغرباً إلى أن يتصل بالأسفلت فيما دون جبل الرحمة مع إصلاحه في كافة جوانبه ونواحيه إصلاحاً تاماً ، وذلك ليكون مخصصاً فقط لمرور السيارات الخالية العائدة إلى عرفات من بعد النفرة .

* عمل الطرق الفرعية اللازمة في ساحة عرفات نفسها وسفلتتها كلها ، وذلك لتسهيل اتصال جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة بالطريق الرئيسى العام . . .

في مزدلفة :

إحداث وعمل الطرق الفرعية المتقاطعة اللازمة فى مزدلفة .

سفلتة جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة لتسهيل اتصال كل منها بالطريق الرئيسى العام .

فى منى :

فتح طريق من الجبل الواقع خلف جمرة العقبة بمنى وذلك لإيجاد وتيسير طريق خاص للذاهب (للرمى) وطريق خاص بالعائد بعد الرمى .

* سفلتة الشارع العام بمنى .

الصحة

فى رابغ :

تأسيس مستوصف صحى فى رابغ .

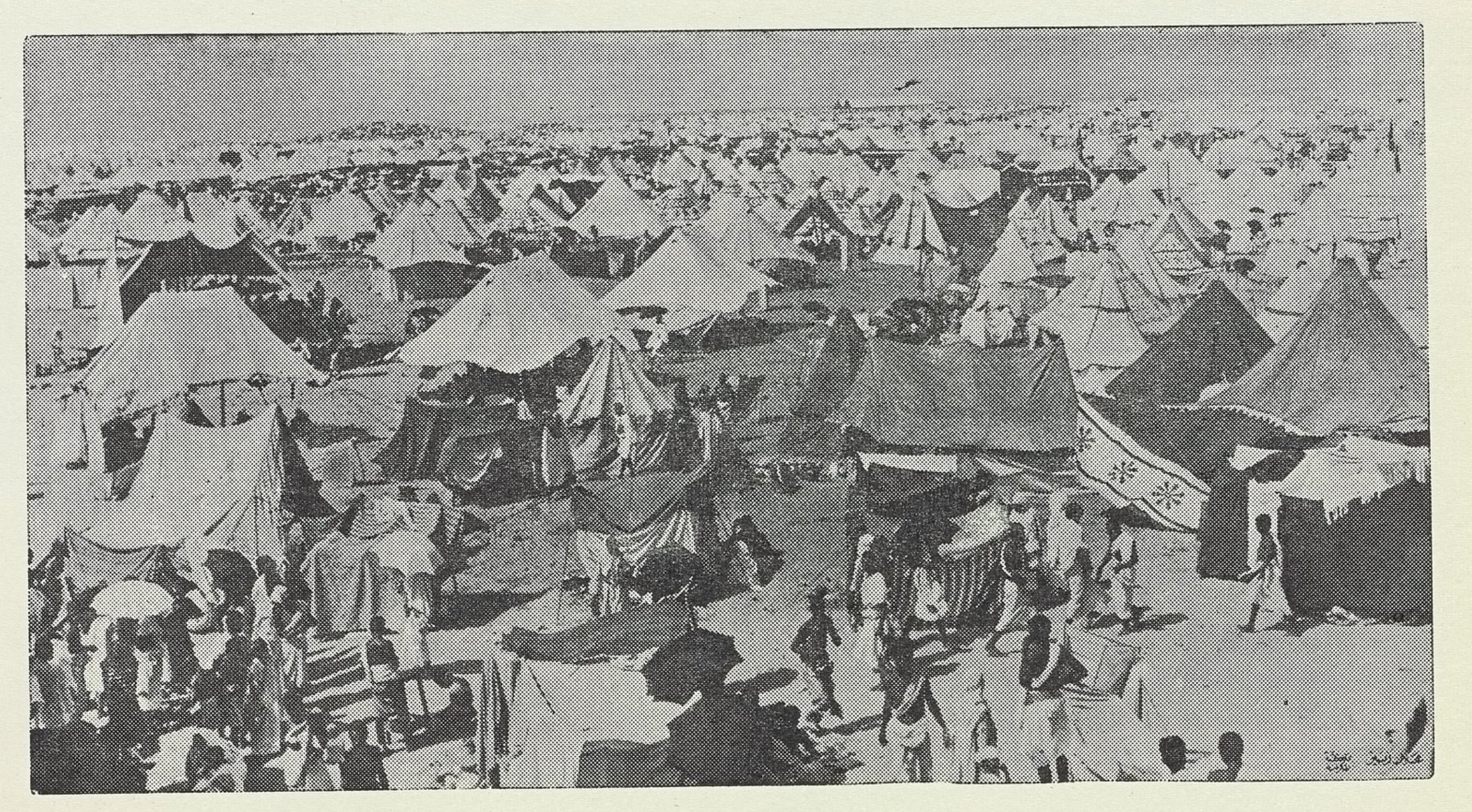
تأسيس مستوصف صحى فى المسيجيد .

فى المدينة :

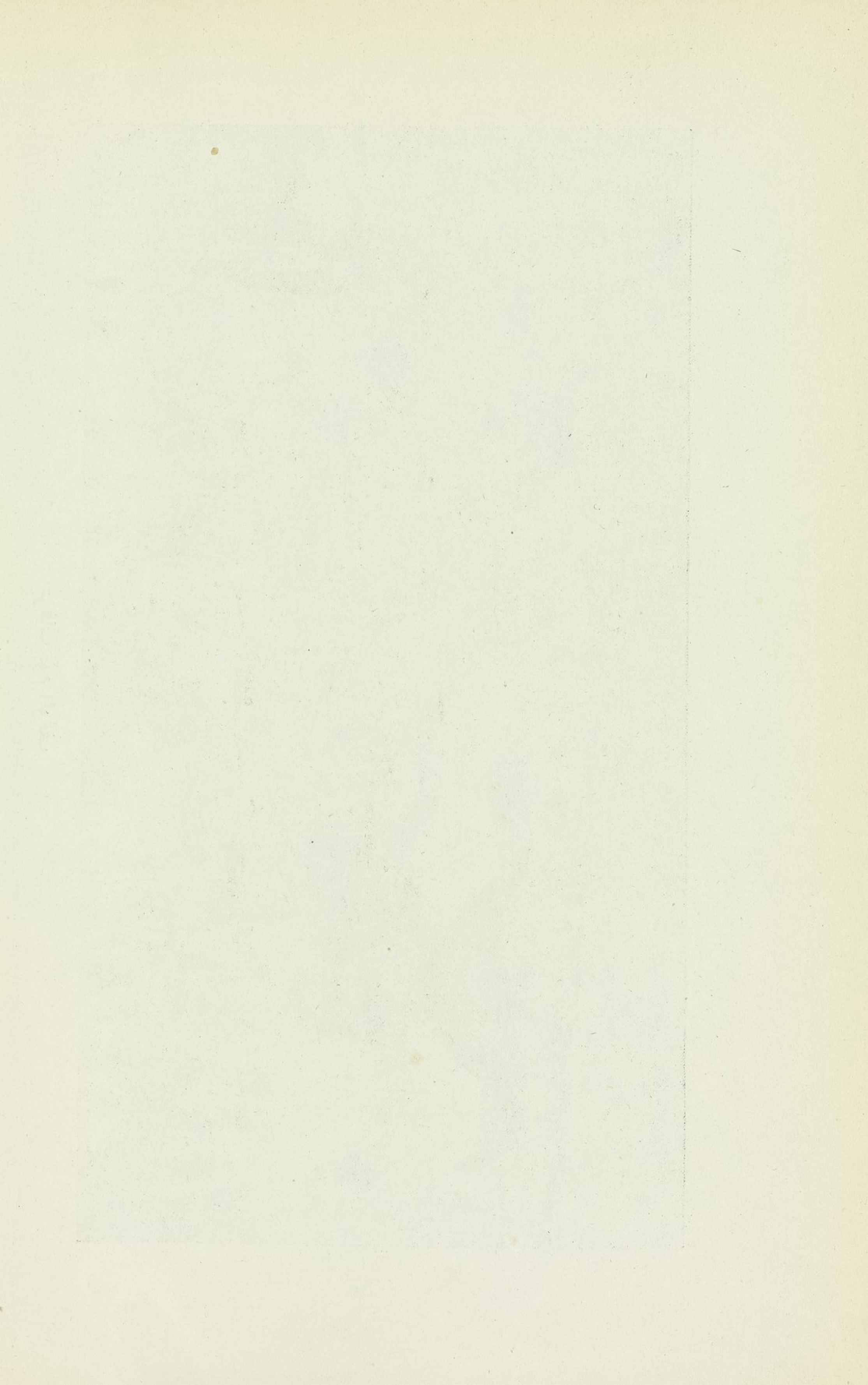
إتمام مستشفى جلالة الملك ، وذلك بإكمال لوازمه الأساسية فى حدوده الأصلية .

عمل مظلة كبيرة فى مطار المدينة مزودة بلوازمها من الماء والنور ودورات المياه على غرار مظلة جدة .

إنشاء دورة مياه عمومية بالمناخة بجوار مظلات إدارة الحج هناك باعتبار أن هـذه المظلات هى المركز العام المخصص فى الذهاب والإياب لاستقبال وعودة الحجاج .



عرفات يوم الموقف



في مكة :

عمل مستوصف بمحلة المسفلة للعزل .

في مزدلفة :

عمل مظلتين عموميتين من الإستبس .

في منى :

تخصيص بعض البيوت التى أمر بانتزاع ملكيتها من أصحابها بعد تعويضهم عنها كمستوصفات صحية عامة .

* عمل مظلة من الإستبس فى الجزرة بجهة المذبح .

* عمل مظلة عمومية مقسمة إلى عنابر متعددة وبوابات عامة بجوار إدارة الحج بمنى لإيواء التائهين الضائعين طيلة أيام التشريق .

فى المسيجيد :

حفر بئر ارتوازى لتأمين سقيا الحجاج بصورة ثابتة .

فى مكة :

إنشاء خط مواسير لعين زبيدة من عرفات إلى مكة على أن تكون من المواسير الزهر ، وذلك بدلاً من « الدبول » الحالية الموجودة .

* إيصال الماء فى مكة إلى جميع المحلات التى لم يسبق وصول الماء إليها بالكلية من قبل

* عمل الترتيب اللازم لتقوية الماء وتعميمه فى المحلات التى كان من قبل يصل إليها بمقدار قليل فى عرفات .

* إعادة النظر من جديد فى خطوط توزيع الماء فى عرفات مع تعميمه فى جميع مناطقها ، مع ملاحظة إنشاء خط المواسير من عين زبيدة إلى مكة بإبطال الدبول الحالية فى مزدلفة .

* إنشاء خط مواسير زهر من عين الجديدة إلى منى مع بناء خزان جديد بجانب الخزان الأول على جبل المفجر .

* إعادة النظر من جديد فى خطوط توزيع الماء بمنى وتعميمه فيها .

* تأسيس المستوصف الصحى اللازم بمدينة الحجاج بجدة .

* تأسيس مستوصف الشامية .

* تأسيس مستوصف محلة الباب .

* عمل صيدليات ومراكز مؤقتة للإسعاف فى كل تقاطع من خطوط الإسعاف فى عرفات يجعلها ثابتة بجوار مظلة الأوقاف قرب مسجد نمرة بأخذ جانب منها ، وأن تكون منظمة فى مراكز التقاطع الأخرى على أن يتم العمل فيها قبل حلول موسم الحج المقبل . .

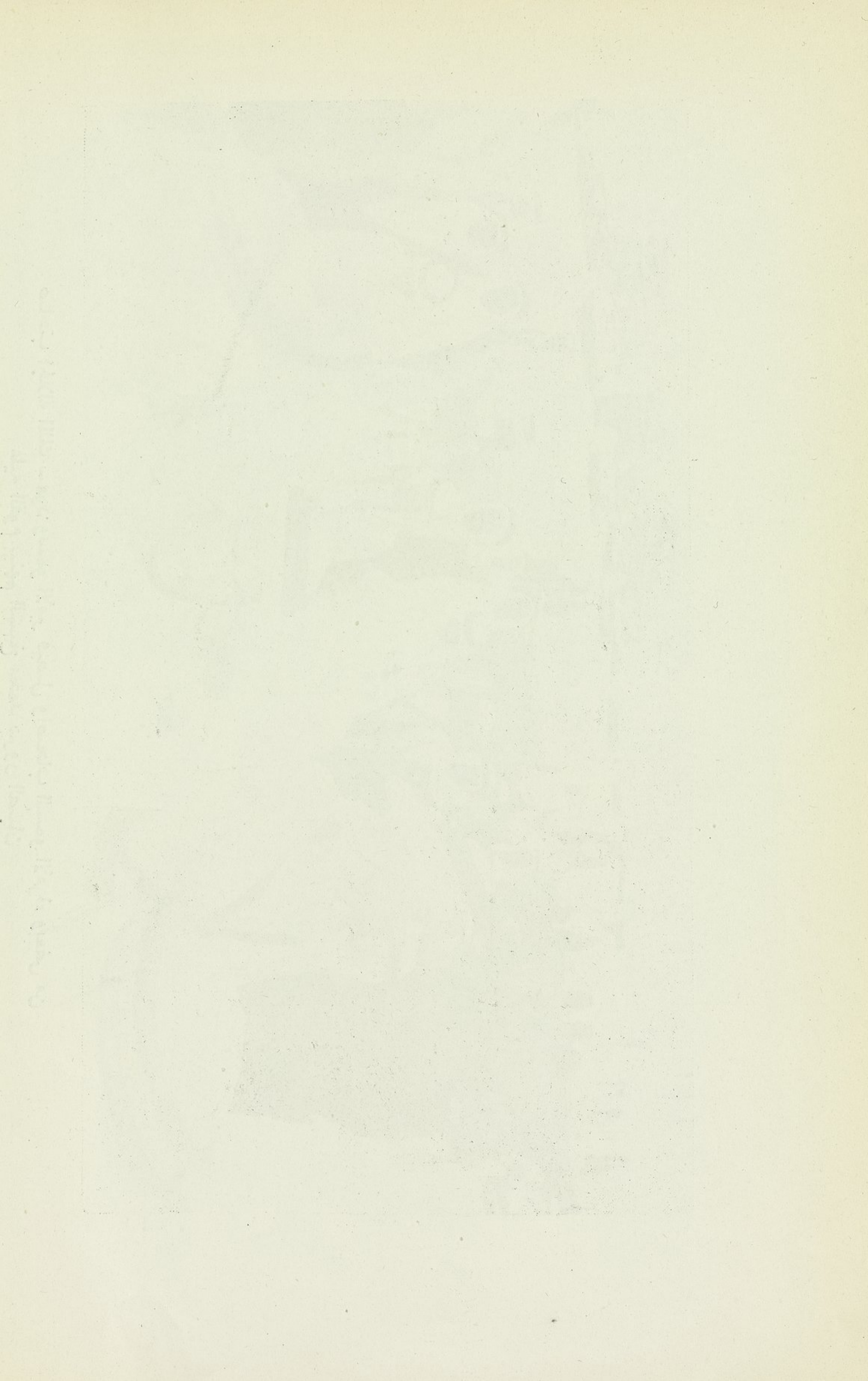
* عمل غرفتى إسعاف إلى جانب كل من مظلتى المجزرة ومجر الكبش وذلك باحتجاز وأخذ قسم من كل من المظلتين للغرض المذكور .

***

إن من وراء تلك المشاريع التى قامت فى سبيل الحج رجلاً من صميم الشعب الحجازى وقف جهده ووقته فى سبيل خدمة هذا البلد المقدس ، وهو بهذا وهذا وحده جدير بأن تسجل جهوده فى صفحات التاريخ الذى لا يُغفل للعاملين أعمالهم ، ذلك الرجل هو « محمد سرور » الذى ينبغى ن يذكر عندما تذكر أمجاد الملك فى مشاريع الإصلاح والإنشاء .



صاحب الجلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل وأصحاب السمو الأمراء وبعض من علية القوم بينهم الشيخ محمد سرور الصبان



وهل تكون مكرمة للملك إلا ويكون فيها ذلك الرجل الذى يقف جندياً وفيا من جنوده الأوفياء يعمل على تحقيق رغبات مولاه ؟ إنه رجل الولاء لدينه ووطنه ومليكه . وهو حكيم مجرب فليس من السهل على الرجل القريب من الملك إرضاء غالبية كبيرة من مواطنيه ، غير أن الرضا عن محمد سرور يكاد يكون إجماعياً فى البلاد السعودية مع تمتعه بكل ثقة الملك . فقد ولاه الملك — عندما تولى المُلك — وزير دولة وعضو مجلس وزراء ومستشاراً ملكياً عدا مسئولياته الأصيلة التى من أهمها الإشراف على شئون الحج والإذاعة ، وهى مسئوليات خطيرة لا يأتمن عليها الملك إلا رجلاً من رجاله لأنها تمثل صلة الملك وحكومته وشعبه بالعالم الإسلامى كله .

ونحن هنا نتكلم عن محمد سرور لا بصفته رجلاً يملك من الجاه والمجد ما يملك ، ولكن بصفته رجلاً شعبياً عرف كيف يكون الرجل الممثل لرغبات شعبه فى بلاط الملك بأمانة وولاء للملك والشعب ، ونحن معاشر المسلمين أصبحنا فقراء فى رجالنا وأصبحنا فى أشد الحاجة لرجال أمناء أمام السلطات الحاكمة والقوى الشعبية ، رجال لا يجاملون الملك فى الحق لأنهم يحبون الملك ويفتدون عرشه ويحفظون رغبات الشعب وآماله ويقدمونها للملك فى أمانة ووفاء ، فالمُلك يُضار بنفاق حاشيته ويُصلح بنصحها وصدقها وشجاعتها فى الحق . ولو لم يكن محمد سرور على جانب كبير من الرجولة والفضل ما أحبه الملك وحمله الأمانة وما أجله الشعب ووثق فيه .

وإنى أرجو الله من صميم قلبى أن يكون بجانب الملك عشرات من أمثال محمد سرور ، وفى شعب الجزيرة المباركة مئات أمثاله الذين يعرفون مدى مسئولية الرجال العاملين فى مناصب الدولة الخطيرة .

سيدى القارئ .

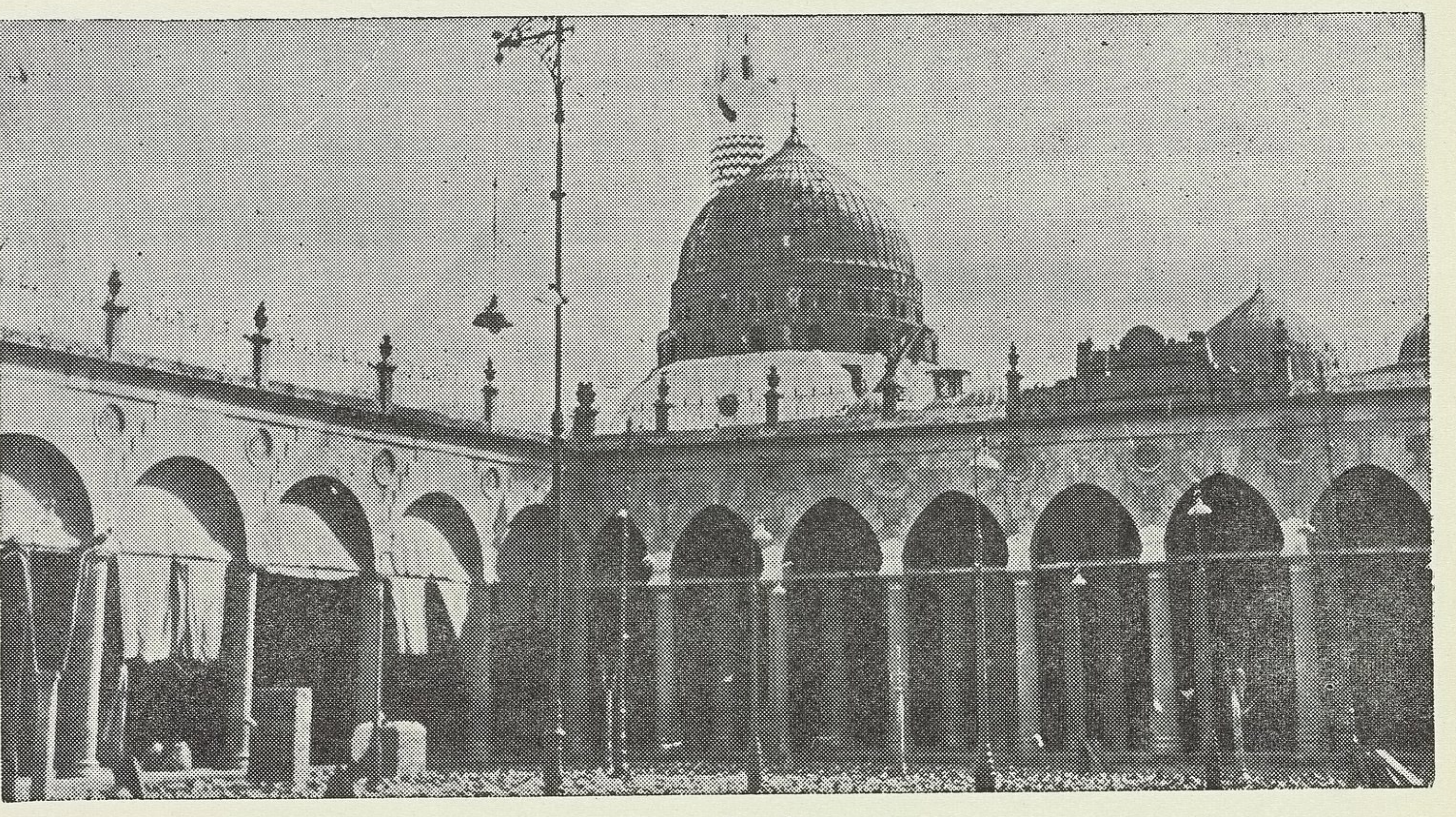
ليس أغلى على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من بقعة ضمت جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وليس أقدس فى قلوبهم بعد الكعبة من أرض الجنة فهم كما يهيمون طائفين حول الكعبة يهيمون بالروضة الشريفة وما بين بيت رسول الله ومنبره مصلين ضارعين ، ولذلك كانت مشروعات سعود بالمدينة المنورة بلد الأنصار ومأوى المهاجرين خير أعماله .

وإننى حينما زرت المدينة خلال السنوات الماضية كتبت أنقد الحكومة السعودية وأهيب بالملك الراحل رحمه الله عبد العزيز آل سعود أن يرعى الحرم الثانى للمسلمين ، وكان الألم يأخذ من نفسى كل مأخذ لما كان يكتنف المدينة من ضيق اقتصادى ونقص فى جميع نواحى حياتها ، ولكن ما كدت أزورها عقب زيارة الملك سعود سنة ١٣٧٢ هـ حتى لمست جهود جلالته ، فقد تقدمت المدينة المنورة خطوات واسعة بعد مضى مدة قصيرة لا تزيد على تسعة شهور .

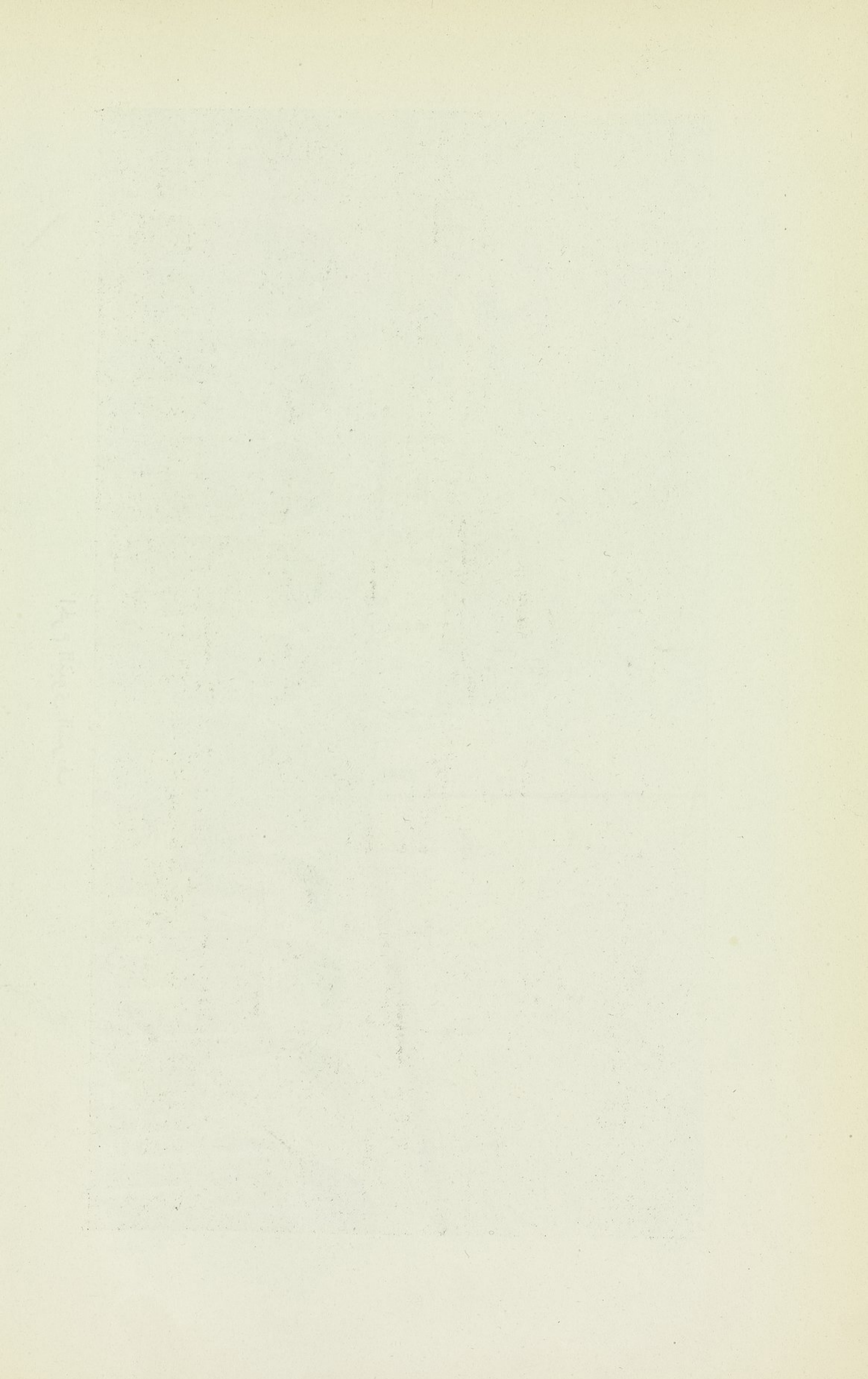
فقد برهن عملياً على حبه وولائه للبلد الذى شرفه الله فجعله حرماً لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وإنك لتستطيع أن تعرف ذلك من حديث أهل المدينة عن الملك ، فهم يكنون لجلالته من الحب ما تلمحه فى عيون أهلها عن سعود حبيب الشعب وخادم الرسول ورمز الأمل وغيث الخير . تلك الصفات التى تستمع إليها وهى تنساب كالموسيقى الهادئة الحلوة ، تستمع إليها وهى تنساب من بين ثنايا أحاديث أهل المدينة .

وعندما يذكرون زيارته الأولى لبلدهم المبارك ويذكرون ما أسدى لها من الخير ترى رعدة حلوة تتملكهم فترتعش الشفاه منهم وهى تنفرج عن ابتهالات إلى الله بأن ينصره ويؤيد ملكه ويحفظ عرشه .



الحرم النبوى الشريف



وهاهى الحقائق القائمة فى أرض النور فى المدينة المنورة تنادى المسلمين فى كافة البقاع بالولاء لسعود أمل المسلمين ورجائهم المرتقب وخادم الحرمين . . .

فهاهو الشيخ (ابن لادن) يحدثك عن المشاريع فى المدينة وأوامر الملك سعود بالإسراع فى التنفيذ ، وهاهو الرجل الطيب ذو الهمة والنشاط الشيخ صالح قزاز يقدم لك من الخدمات ما يسهل عليك مشاهدة تلك المشاريع ويشرح لك الغايات السامية التى دفعت جلالة الملك سعود إلى إنشائها فتمتلئ نفسك حباً لسعود وولاء وتقديرا ، فلقد قمنا من مكتب مشروع الحرم فى صحبة السيد القزاز ومعنا الأخ الصديق رشدى الملا مفتش عام الطرق وبدأنا بمشاهدة أعمال التوسعة الجديدة فى الحرم والسيد القزاز يشرح كل شىء فى دقة ودراية واسعة . . .

وهى بعد مفخرة ستظل ناطقة بأمجاد الملك الصالح الخالد الذكر عبد العزيز والملك القائم بأمر الله سعود .

ولقد ذكرت بين يدى جلالته موضوع توسعة الحرم المقدس عندما أذن لى بمقابلته فى ذى الحجة سنة ١٣٧٢ فمد إلى نظراته الهادئة المهابة الوقورة وقال وهيبة الحاكم العادل التقى تحوطه بسياج من الإكبار والتجلة : (إن عمارة المسجد النبوى يا أختاه هى مكرمة هذا القرن وهى يد لأبى الصالح حفظه الله ولن ننساها له معشر المسلمين ولقد سألت الله أن تكون لى يد فى تلك المكرمة الخالدة على مر الأزمان ، وقد كان لى ما تمنيت فضلاً من الله . إذ وضعت الحجر الأساسى لتوسعة المسجد المبارك وشعرت بسعادة لم أحس بها من قبل .

وهنا سكت جلالته برهة ثم قال (الحمد لله — نرجو التوفيق من رب العالمين) .

تلك كلمات نطق بها جلالته حين كان ولياً للعهد ولا تزال حلاوتها ترن فى أذنى .

فهل وقفت جهود جلالته فى بناء وتوسعة الحرم عنـــد وضع الحجر الأساسى للمشروع ؟ .

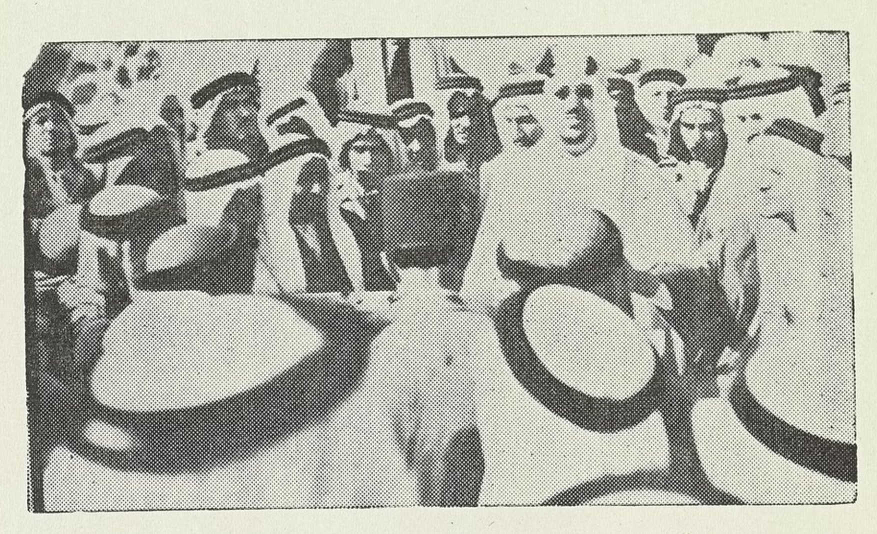
كلا : فقد ظل مشروع توسعة الحرم النبوى المقدس أمانيا تطوف بأفـكار المسلمين وأحلاماً يئسوا من تحقيقها حتى ضجت الصحافة المصرية سنة ١٣٧٠ بأن أعمدة من المسجد الشريف كادت تنهدم وخللاً مس بالبناء المبارك فزلزلت مشاعر المسلمين فانتقلت بمجامع قلوبهم إلى (طيبة) الطيبة المباركة بلد الأنصار ومضيفة المهاجرين ومركز الاستقرار لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وعمل المسلمون جاهدين مسارعين على جمع المال لإصلاح وتجديد الحرم النبوى الشريف وهم يتسابقون إلى هذا الشرف وكلهم يتمنى لو تطلب منه روحه فيبذلها راضياً فى سبيل هذا الحرم المقدس .

غير أن الملك الراحل عبد العزيز آل سعود أراد أن يؤثر نفسه بهذا الشرف الذى أراد المسلمون أن يشاركوه فيه ، واستأثر الراحل الـكريم فعلا بهذا الشرف لنفسه ولخليفته من بعده سعود ليتوج به هامة ملك آل سعود وليكون وشاحاً يتشح به فى الخالدين يوم لا يجد المرء إلا ما قدمت يداه . فأعلن جلالته رحمه الله أنه قرر تعمير المسجد النبوى من ماله الخاص ثم أمر أن يرد كل ماجمع لهذا المشروع إلى أهله ، (وتبرع جلالته لذلك العمل الجليل بستة ملايين من الجنيهات) وما كاد رجال الملك يعرضون عليه أن تـكاليف — التعمير والتوسعة — ستتجاوز المبلغ المتبرع به حتى ضاعف الملك تبرعه ، ولـكن المشروع اتسع واحتاج إلى أكثر من ذلك لأن المساحة التى أدخلت لتوسيع الحرم الشريف بلغت سبعة آلاف من الأمتار المربعة نزعت ملـكيتها بمـا عليها من مبان من أصحابها ، وقد كانت المساحة الأصلية للمسجد القديم عشرة آلاف من الأمتار المربعة وبذلك تـكون هذه أكبر توسعة فى التاريخ أدخلت على مسجد رسول الله من يوم أن بناه الرسول .



الملك سعود الأول يضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد النبوى الشريف



الملك سعود الأول فى حفل وضع الحجر الأساسى للمسجد النبوى الشريف

وبهذا تكون هذه التوسعة لمسجد الرسول — التى رصد لها ستة ملايين من الجنيهات — عملاً إنشائياً أوجد فى المدينة انتعاشاً اقتصادياً . ولكن عاد وزير المالية وعرض على الملك أن هذا المشروع يحتاج إلى أكثر مما تقرر له ، فقال الملك لوزير المالية : لاتراجعنى ثانية فى هذا الأمر ، والغ مخصصاتى ومخصصات أولادى حتى تتم العمارة ، ولتعلم أننى على أتم استعداد لأن أعيش على لبن الإبل أنا وأولادى ، ولا نلبس إلا الخشن الضرورى إذا لزم الأمر إلى أن تتم العمارة والتوسعة لمسجد محمد صلى الله عليه وسلم وإياك ومراجعتى فى هذا الأمر .

وهكذا أراد الملك العظيم أن يكلل خدماته للإسلام فى أيامه الأخيرة بأصلح عمل يتقبله الله ، وأى عمل أفضل من توسعة وتعمير مسجد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . نعم إنه تعمير ثانى الحرمين إنه المسجد المقدس .

وكلف عبد العزيز العظيم رحمه الله وطيب ثراه ابنه وولى عهده جلالة الملك سعود بأن يذهب إلى المدينة ويضع الحجر الأساسى نيابة عنه ، فذهب لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول عام ١٣٧٢ وضجت المدينة بالفرحة وهتفت له بالولاء ، واتجه الركب الميمون إلى المسجد المبارك بين الجموع المحتشدة المهللة المرحبة ، وحمل سعود مواد البناء ووضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد ، وهتف المسلمون — الله أكبر ، لقد تحققت الآمال وصحت الأحلام وبدأ البناء سعود .

وذكر لى أفاضل أهل المدينة أن دموعه كانت تنهمر موحية بالعبودية المتواضعة لله أثناء وضعه الحجر الأساسى ، فكان نعم العبد المقدر لنعمة الله عليه باختياره واختصاصه لهذا العمل الجليل .

وبافتتاحه لهذا المشروع الجليل سارت عمارة المسجد فى طريقها نحو غايتها المرموقة بهمة ونشاط من القائمين بهذا الأمر حتى تم فى بحر سنة واحدة تعمير

مالا يمكن أن يتم مثله فى أقل من خمس سنوات فى أى بلد آخر توفرت فيه سهولة النقل ، ولـكنها روح الله تمد القائمين بالعمل فى المشروع بقوة خفية .

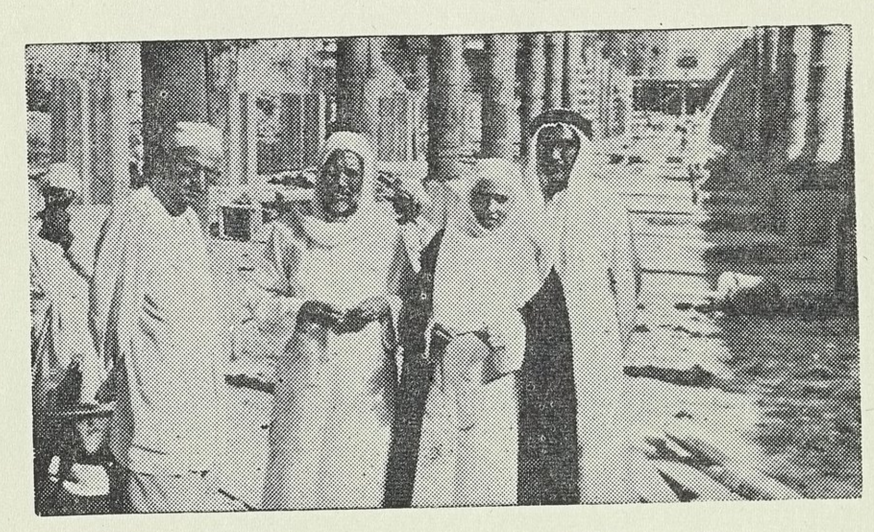
وإنصافاً للتاريخ نذكر أن أول من نادى بمشروع التوسعة والتعمير ليست الصحافة المصرية سنة ١٩٥١ ، ولـكن أهالى المدينـة المنورة هم الذين كتبوا لجلالة الملك عبد العزيز يطالبونه بتعمير المسجد وتوسعته وجعله فى الصورة اللائقة به وبمكانة الإسلام والمسلمين .

والذى تولى تقديم هذا الطلب عن أهل المدينة هما : السيدان على وعثمان حافظ صاحبا جريدة المدينة المنورة .

وكان ذلك قبل مطالبة الصحافة المصرية بعدة سنوات . وقد اطلعت بنفسى على البرقيات التى تبودلت بين صاحب الجلالة المغفور له عاهل الجزيرة العربية وبين السيدين فى هذا الصدد . وقد بدأ جلالته من ذلك التاريخ تلبية طلب أهل المدنية بانتداب كبار المهندسين من العالم الإسلامى وعلى رأسهم مصر والباكستان لوضع التقارير الفنية والمشاريع الهندسية التى تساعد على تنفيذ المشروع .

ولقد أدهشنى الشوط الذى وصلت إليه العمارة المباركة عند زيارتى المدينة المنورة فى المحرم سنة ١٣٧٣ هـ ، فلقد رأيت فى أرض النور عجباً يذكرنا بالقصة الخالدة ، قصة بناء الملائـكة للـكعبة وقصة بناء الخليل للـكعبة وقصة الحجر الذى كان يسعى بخليل الله صاعداً وهابطاً ودائراً حول البناء المقدس . وكيف لا يجرى بخيالك وذهنك أكثر من ذلك حين تشاهد العمال والمهندسين العاملين فى الحرم فيذهلك نشاطهم حيث تجدهم من مطلع الفجر إلى ما قبل الغروب يعملون فى نشاط منقطع النظير وكأن تياراً كهربائياً يحركهم .

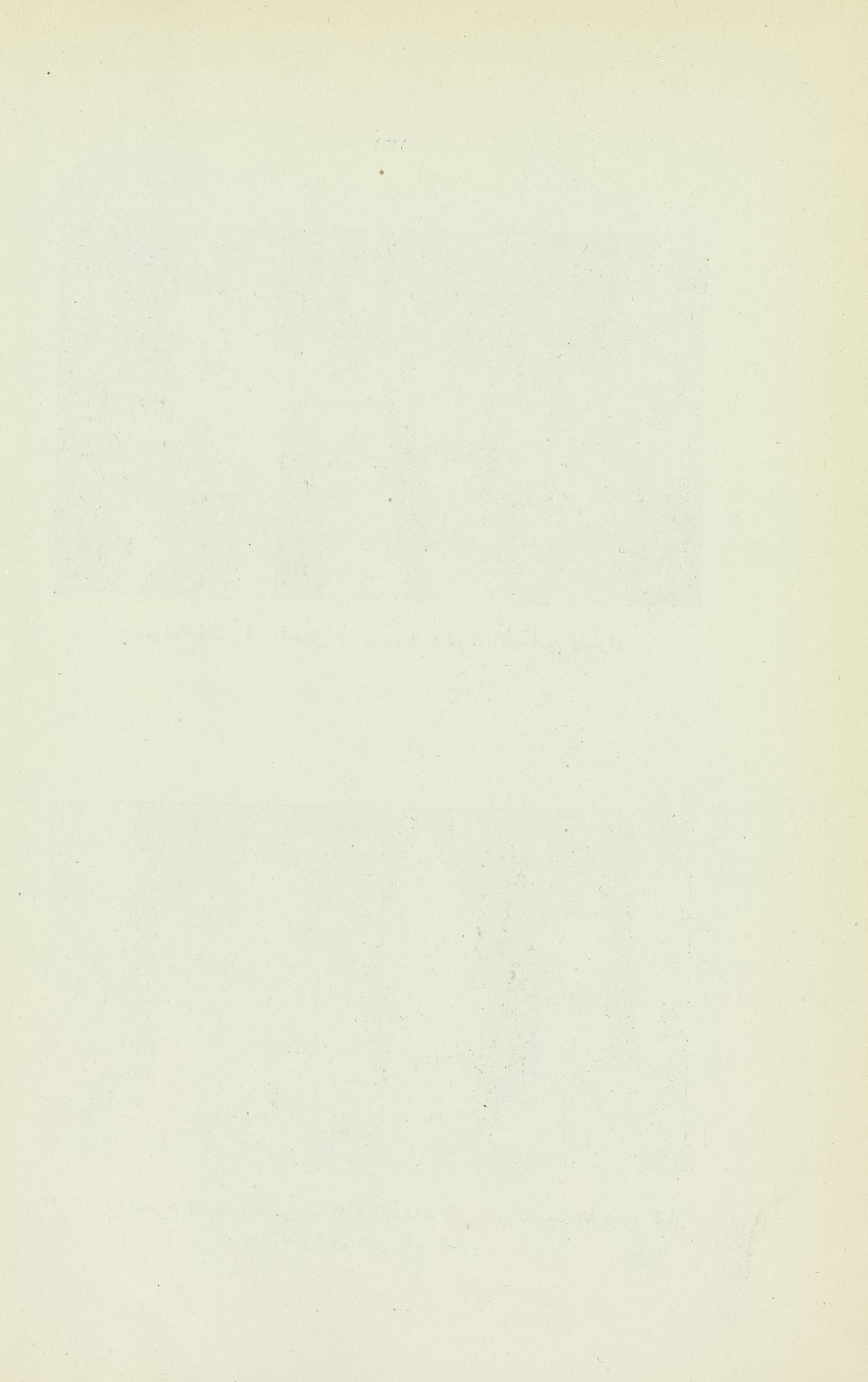
وتجد ذلك الرجل الصالح الشيخ صالح قزار وهو يشاركهم العمل بالإشراف



المؤلفة تتشرف بالعمل فى رمى « دكة » الأساس المبارك



المؤلفة فى الحرم النبوى الشريف أمام الأعمدة التى تم تشييدها ومع كبار المشرفين على المشروع



والنصح لا يستريح ساعة من نهاره ، بل تجده كالنحلة الدائرة يحمس العمال وينشط الفنيين مداعباً لهم بهاتين الكلمتين وهو يربت على أكتافهم قائلا : « أجر وأجرة هيا هيا » فيردد العمال هاتين الكلمتين غناء فى غدوهم ورواحهم . ولن تجد أبداً عاملا متذمراً أو شاكياً من تعب . إنها الكرامة من الله لمسجد رسول الله .

لم أر عمالا يصعدون مثل تلك (السقالات) فى ذلك الاطمئنان العجيب ، وكأنهم يمشون على بسط من سندس فى روضات متزاحمة الزهور والرياحين ، ووجوههم مبتسمة فيها نور ، وخطواتهم سريعة مطمئنة فى صعودها وهبوطها ، وهم حلقات دائرة حول بعضها كعقود من اللؤلؤ تجرى فى سلك ذهبى مكهرب . غير أنهم أفضل وأغلى من الدر اليتيم ، فأى معدن معدنهم ، إنهم عمال فى مسجد رسول الله ؛ المسجد الذى عمل فى بنائه محمد وأبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وأسامة وكل الأحبة الأخيار أصحاب محمد وحملة مشاعل النور أئمة الأمة وهداتها .

إن العمال مرحون لمجرد أنهم يعملون فى مسجد محمد عليه الصلاة والسلام ، فهل علموا أن محمداً وأصحابه كانوا عمالا يحملون التراب والأحجار لبناء هذا المسجد ؟ .

لا شك أن كل عامل تشرف بالعمل فى البناء المقدس قد غدا إنساناً تغبطه ملوك الدنيا على ما حمل من شرف . .

وفى يوم الخميس الموافق ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ من الهجرة . . فى ذلك اليوم التاريخى الأغر خرج أهل المدينة المنورة عن بكرة أبيهم لاستقبال جلالة الملك سعود الأول فى مطار (المدينة) وفى الطرقات المؤدية إلى المطار ، وبعد أن هبط من الطائرة وصافح الشعب المحتفى بمقدمه سار ركبه الكريم

إلى المسجد المقدس واتجه إلى الروضة الشريفة ، وبعد أن صلى ركعتين تحية للمسجد تشرف بالسلام على حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذ جلالته يتفقد أعمال التوسعة ومراحل العمل والتقدم فى العمارة المباركة التى بدأ جلالته العمل فيها السنة الماضية بوضع الحجر الأساسى ، وأخذ الملك بجلال النور الذى يظل العمال وهم يرفعون التراب ويضعون الأحجار ويديرون الآلات الميكانيكية ويتسلقون السقالات ، فنسى سعود أنه ملك متوج وحاكم ذو أبهة ودنيا تحيط به .

وفى غمرات النور شغل عن كل شىء إلا عن كونه عبداً يقف بين عبيد تشرفوا بخدمة المسجد الذى خدم فيه من قبل محمد أشرف عباد الله صلى الله عليه وسلم . فرمى سعود (العباءة) وحمل التراب ورفع الأحجار وسار عاملا بين العمال يعبد الله بخدمة بيت الله والتف العمال حول العامل الأول .

وبعد أن عمل الملك فى البناء ونقل التراب والأحجار ذهب فأشرف واشترك فى حفر أسس المئذنة الشمالية الغربية التى أسست بأمر جلالته فى ذلك الركن من الحرم الذى أنشىء حديثاً خلال التوسعة الجديدة .

ولم يترك جلالته جانباً من العمارة لم يتفقده وهو يستمع إلى شرح الفنيين المشرفين على العمل ، وعلى رأسهم الشيخان ابن لادن والقزاز ، وقد سر جلالته لأمانة المشرفين على العمل وحسن جدهم وعظيم اجتهادهم فى إنجاز المشروع بتلك السرعة الفائقة ، فقد تم العمل بالجناح الغربى وأشرف الجانبان الآخران منها على الانتهاء وذلك بفضل اهتمام جلالته ودوام ملاحظته واستفساره واستعجاله لإتمام المشروع الجليل .

ومما هو جدير بالذكر أن تاريخ صدور الأمر الملكى بالبدء بتنفيذ المشروع المبارك كان فى ١١ رمضان سنة ١٣٧٠ كما صدر أمر ملكى آخر فى التاسع من

شهر رجب سنة ١٣٧٢ من الهجرة بالاستمرار فى توسعة الحرم النبوى وإصلاحه على أساس التصميم الذى وضعه المهندسون المصريون وأقره المهندسون الباكستانيون والذى بموجبه نقضت الأقسام الثلاثة من الحرم الشريف (الشرقى والغربى والشمالى) وبقى القسم الجنوبى وهو القسم المشرف بالحجرة الشرقية والروضة المباركة والآثار النبوية المباركة .

كما صدر أمر ملكى جليل فى نفس التاريخ بملاحظة ألاّ ترتفع الأبنية الجديدة عن ارتفاع بناء المسجد القديم .

ويسير العمل فى المسجد لإتمام التوسعة فى الجناحين الآخرين على أحدث أساليب العمارة الحديثة بإدارة نخبة من الفنيين التى تضم أكثر من ثلاثين موظفاً .

كما أن عدد المهندسين المصريين الذين يعملون فى المسجد لا يقل عن خمسة عشر مهندساً .

كما أن عدد العمال الذين يعملون فى العمارة يزيد على الستمائة عامل ، بينهم أكثر من ٢٠٠ عامل من مصر وسوريا وفلسطين ، منهم إخصائيون فى أعمال « الخرسانة » والحديد ، ومدة العمل اليومى للعمال ثمانية ساعات ، وأكبر أجر يدفع للعامل يومياً عشرون ريالاً سعودياً للعمال الفنيين وأدناها أربعة ريالات يومياً للعمال العاديين .

ويشرف على هؤلاء العمال عشرة مهندسين يتراوح مرتب الواحد منهم شهرياً ما بين (٢٥٠) جنيه وثلاثمائة جنيه .

ويصرف للعمال والمهندسين أجور إضافية عن ساعات العمل الزائدة ، كما تصرف لهم مكافآت فى المناسبات ويقدم لهم العلاج والدواء بالمجان ، فضلا عن أجورهم التى تصرف كاملة أثناء المرض وكذلك الحال فى دور سكناهم .

هذا هو النظام الذى يتبع بالنسبة لهؤلاء الذين يقومون بالعمل فى العمارة . وغالبيتهم من أهالى المدينة جيران (محمد صلى الله عليه وسلم) وهم يمثلون الأخلاق الفاضلة والصدق والتعاون بإخلاص فيما كلفوا به . ترى ذلك فى وجوه نضرة وأيد نشيطة وابتسامة وتؤدة وانصراف إلى أعمالهم يجعل الناظر إليهم يحمل لهم كل إجلال وتقدير .

تلك هى صورة موجزة مختصرة للأعمال الجليلة التى يقوم العمل فيها الآن على قدم وساق لتوسعة حرم الرسول . فحيا الله سعوداً حتى يملأ جميع أطراف الجزيرة بأياديه وأمجاده ، وبالخطير من إصلاحاته وإنشاءاته وإن شاء الله قريبا تتم التوسعة المباركة ويصافحه المسلمون شاكرين له جهده فى رعاية حرمهم الثانى معترفين بجميله مقدرين فضله .

وإن انتقلنا من الكلام عن عمارة المسجد النبوى فإلى الحديث عن ذلك المشروع الخطير الذى أتمه سعود المعظم فى سنة واحدة فكان مفخرة لأمجاد سعود العديدة بالمدينة المنورة إلا وهو مشروع إدخال المياه النقية إلى البلدة الطيبة .

لأن زيارة الملك سعود للمدينة المنورة لم تتوقف خيراتها على مشروع التوسعة فى الحرم النبوى بل أبت همته إلا أن تكون تلك الزيارة فاتحة خير تغير من معالم ما حول الحرم المبارك بما يليق بمقام البلد المبارك .

وإليك المشاريع الخطيرة المهمة التى قررها الملك العظيم ونفذت تحت إشرافه فى مدة عام ، ولو كانت هذه المشاريع تقرر عملها فى بلد متوفرة فيه الطرق المعبدة والنقل السهل لما تمت فى أقل من خمس سنين ولكنها همة الملك وأعمال الرجال الساهرين على إنفاذ أوامره وتحقيق رغباته .

فلقد أمر جلالته بإنشاء خزانات لمياه عين الزرقاء (بقبا) ولقد قدر لى أن

أزور هذه الخزانات أثناء زيارتى للمدينة المنورة فى المحرم سنة ٧٣ وقد أقيمت على أحدث طراز واستوردت لها الماكينات الحديثة فامتدت الأنابيب الضخمة من عين الزرقاء (بقبا) إلى (المناخة) داخل المدينة فأصبح فى إمكان كل مواطن بالمدينة المنورة أن يدخل المياه فى بيته بواسطة ، الأنابيب وبذلك أصبحت المدينة، المنورة كأى مدينة حديثة تتمتع بالمياه النقية المقطرة . . وتلك يد لسعود ليس جميلها محمولاً له فى عنق أهل المدينة فحسب بل أصبحت معلقة له فى جميع أعناق المسلمين . فكل رقى وكل تقدم فى بلد رسول الله ، شرف يفاخر به كل مسلم . ومما هو جدير بالذكر أن كل خزان من هذه الخزانات يتسع لـ (٧٥٠) طنا .

والغرض من إنشاء هذه الخزانات حفظ الماء من التلوث وإيصاله إلى المدينة نقيا ، وإن الأنابيب التى امتدت من عين الزرقاء تسحب المياه من الخزانات إلى المدينة هى أنابيب قوية مقاسها الاسطوانى ١٢ بوصة .

وإن تركنا هذا المشروع الجليل نجد مشروعاً هو من الأهمية بالنسبة للمدينة إذ هو ضرورة حتمية ، فلقد كان السيل يأتى فى كل عام فيحجزها ويقطع السبيل إليها ويلحق الضرر بسكانها فكم من ضحايا ماتوا غرقى أو جياعاً ، مقطوعين من جراء السيل ، ولهذا أمر جلالته بإنشاء (كوبرى) ضخم على وادى بطحان فى ناحية قباء وذلك فى نفس زيارة جلالته الأولى سنة ١٣٧٢ للمدينة . وفعلا تم ذلك الكوبرى .

وقد تفضل جلالته فافتتح الكوبرى فى نفس اليوم الذى اتجه الركب الملكى فيه إلى قبا حيث افتتح عين الزرقاء بها ثم عاد إلى المدينة حيث شرف حى المناخة أمام شارع العينية وافتتح بيده الماء من هناك للسقاة .

فهل انتهت مشاريع سعود فى المدينة عند تلك الأمجاد ؟ كلا . . . وكيف

تنتهى أمجاد الرجال . فتلك هى الكلية العلمية بالعنبرية وهى مبنى كبير أشادته الدولة العثمانية ولم تتمم بناءه ليكون جامعة إسلامية للعلوم الشرعية ولكن ذهب الأتراك ولم يتمموه ، فطلب أهالى المدينة من الملك سعود أن يتمم بناءه ، فأصدر أمره الكريم بتتميم الطابق الأول من البناء وبتسقيفه وتكملته على أحدث ما تقام به الدور العلمية وذلك لتنقل إليه المدرسة الثانوية والمعهد السعودى بالمدينة بعد إدخال التحسينات الملائمة لما عليه الوضع فى المدارس فى العصر الحاضر .

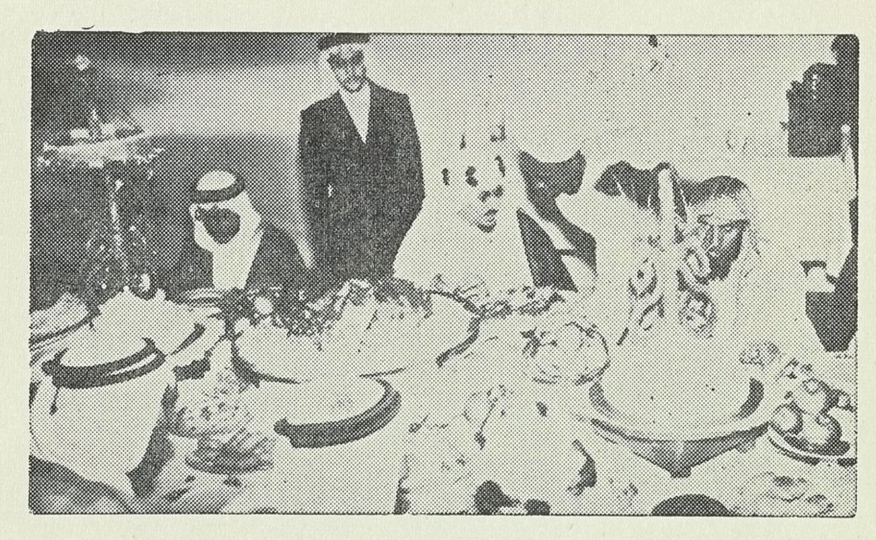
وماذا بعد تلك الأعمال فى المدينة من مشاريع ؟ . . .

مستشفى الملك الذى أمر جلالة الملك سعود ببنائه على أحدث طراز . وقد افتتحه جلالته حين تم إنشاء جناحين منه والعمل يجرى فى سرعة ونشاط لإتمام الجناحين الآخرين اللذين أمر جلالته بإتمامهما بأقصى سرعة ممكنة وقد زرت المشتشفى بنفسى أثناء وجودى بالمدينة فى شهر المحرم سنة ١٣٧٣ هـ . وزرت قسم أمراض النساء والمستشفى بعد إتمام الجناحين الأولين .

ولأن الطريق المؤدية إلى المزارات خارج المدنية طرق شاقة ومتعبة ، وحيث أن تعبيد الطرق أمر مهم فى حياة البلدان وتقدمها ، أمر الملك بأن ترصف جميع الطرق المؤدية إلى المدينة ، وقد تم رصف طريق (أحد) والمساجد والشارع الموصل إلى باب الشامى والمزارات كما أمر جلالته برصف جميع شوارع المدينة .

وهناك مشروعان جليلان أصدر فيهما جلالته أوامره السامية ، أما المشروع الأول فهو مشروع حيوى تكون به المدينة جنة ويعود لها جمالها يوم كانت تحيط بها القصور داخل المزارع الشاسعة الممتدة فى أرضها الخصبة السوداء المباركة .

وذلك هو مشروع القرض الزراعى وهو مشروع نافع يمنح كل مزارع قرضاً



الملك سعود الأول فى احدى حفلات التكريم بالمدينة المنورة



الكوبرى الذى أنشأه الملك سعود الأول لحماية المدينة المنورة من السيل

ليقتنى الآلات الزراعية الحديثة سواء للرى أو للحرث أو غير ذلك ، ثم تسدد هذه القروض مقسطة على عدة سنين بنسبة مئوية من الإنتاج الزراعى السنوى وحسب ماتقرره اللجنة الزراعية التى كونت للإشراف على هذا الأمر ؛ وقد قابلت حضرة صاحب السمو أمير المدينة عبد الله السديرى وناقشته فى هذا المشروع الذى كلفه صاحب الجلالة بتنفيذه . فأطلعنى على الإيصالات التى سيسلمها لمستحقى القرض لتسلم المبالغ المستحقة لهم وكان ذلك فى المحرم سنة ١٣٧٣ .

وكذلك أمر جلالة الملك المعظم بمشروع القرض العقارى وهو لا يقل أهمية ونفعاً عن مشروع القرض الزراعى حيث يمنح صاحب العقار الخرب سلفة لإصلاح عقاره ، ثم يسدد القرض على مدة تتراوح بين ثلاثين وخمسين سنة . . . وعلى ألا يزيد التسديد عن ١٠ ٪ من كامل إيراد العقار .

هذه هى أيادى الملك سعود المعظم على أهل المدينة المنورة فهل انتهت ؟ . . كلا . . وهل تنتهى مكارم الأبطال ؟ . . فلقد أمر جلالته بإنشاء مدرسة ثانوية أخرى وثلاث مدارس ابتدائية . تلك هى المشاريع التى هى طالع من طوالع الخير واليمن إن شاء الله .

وقد ختم الملك مشاريعه المباركة فى المدينة المنورة بحضور حفلة وضع الحجر الأساسى لمشروع إنشاء محطة توليد كهرباء المدينة حيث دعت الشركة المساهمة التى تقوم بهذا المشروع جلالته ليضع بيده الكريمة الحجر الأساسى لذلك المشروع النافع الجليل فتفضل مشكوراً بإجابة الدعوة ووضع الحجر بين هتاف الجماهير وابتهالاتهم بالدعاء .

عاهلان

اكتنفت المملكة السعودية فى موسم الحج سنة ١٣٧٢ ﻫ موجة من الاضطرابات والإشاعات وبلبلة الأفكار لمرض الملك عبد العزيز بالرياض ، وانتقل جلالته من الرياض إلى الطائف نزولاً على رأى الأطباء وفى ركابه أفراد أسرته الأمراء الملتفون حول سريره يسهرون على خدمته وراحته ، مؤرقين لانحراف صحته ، وكان وهو فى أشد حالات مرضه حريصاً على سير الأمور فى المملكة فأصدر جلالته مرسوماً ملكياً نصب فيه سعوداً قائداً عاماً للجيش السعودى ورئيساً لمجلس الوزراء فكان تأليف أول مجلس للوزراء فى نظام الحكم السعودى فاتحة عهد جديد يهدف إلى تركيز الحكم وتحديد المسئولية .

والشعب يرجو ألا يختلف الأبناء الكرام على مركز الأب الكريم فى يد سعود من الولاية على الأسرة الكريمة وعلى الأمة التى وضع لبنات بنائها ومجدها بكفاحه المظفر مؤملاً أن تكون أسرته كلها وعلى رأسها سعود صفاً واحداً مجنداً لخدمة هذه الأمة . . .

وحم القضاء وانتقل الراحل الكريم إلى جوار ربه ، وامتدت أكف الأسرة المالكة مصافحة سعوداً بالبيعة على الملك فأصدر بيانين أحدهما بانتقال الملك الراحل إلى الرفيق الأعلى ، والثانى بإسناد ولاية العهد لأكبر إخوته الأمير فيصل ولاعجب فقد لعب الأمير فيصل دوراً خطيراً فى دنيا السياسة فهو السياسى العربى الذى عرفت فيه المحافل الرجل المحنك .

***

وهرعت جموع الشعب تبكى الراحل الكريم وتبايع الملك الجديد . وحمل الجثمان الطاهر إلى مقره الأخير والألسنة ضارعة والقلوب مبتهلة أن يجزى الله الفقيد عن أمته خير الجزاء وأن يتلقاه بالصفح والمغفرة ، والتفت سعود فوجد أفواجاً من الشعب تتجمع وأفواجاً تنصرف والكل إما مبايع أو مجدد للبيعة فكان لتلك المشاعر الصادقة والعواطف المتجاوبة بين سعود وشعبه الأثر العميق فى نفسية الملك الجديد ، ولو نظرت إليه فى تلك اللحظات لتصورت لسان حاله يقول : كم أعطى الشعب من نفسى ؟

نعم كم أعطى ذلك الشعب الذى التف حولى فى الشدة وبايعنى بالولاء ولم يسألنى حقاً على ذلك فهل أفوز منه بالبيعة وأتفرغ لجاهى وملكى وما حولى من الدنيا وزينتها فأنصرف إلى متاعى ؟ لو فعلت لكنت غير كفء لما حملت به من أمانة . لقد حملنى الشعب أمانة حكمه وأمانة ثقته ، ثقة أمة عظيمة وضعت فى عنق . فسأعيش لشعب أمننى على عرش وصافحنى بولاء وحب ومنحنى ثقته ولم يسألنى أن أمنحه شيئاً ؛ يارب إن الشعب آثرنى بفضله وكان فى مكنته أن يجاملنى ويعزينى ثم يسألنى عن برنامج ونظام حكمى الجديد ليمنحنى البيعة والثقة أو ليمنعهما عنى ، ولكن ماذا أفعل وقد غلبت الشعب سجاياه التى فطر عليها والتى هى أصل فى تكوين النفس العربية الأبية ؟ رب إنى أسير تلك الثقة وأسير تلك البيعة فأصلح من أمرى ووفقنى الولاء لهذا الشعب وهيىء لى ما أتمكن به من رد جميله واجعلنى عبداً وخادماً أميناً لحقوقه التى حملنى تبعاتها راضياً مطمئناً .

لقد عاش سعود ولا يزال متجاوباً مع شعبه فى هذه المشاعر والأحاسيس التى بدأ بها ولاية العرش فكانت بمثابة عهود قطعها على نفسه لتكون فاتحة عهده المجيد وأساس نظام حكمه الذى سيلمس العالم أجمع مقدار ولائه لشعبه بقدر ما تنفذ من

تلك المواثيق والعهود التى ألزم بها جلالته نفسه فى بياناته التى أذاعها على الشعب والتى يقرر فيها أنه سيعيش للشعب عاملاً وربه بين عينيه ، يشهد بذلك بيان جلالته بمكة حين خاطب الشعب بعد طوافه بالبيت العتيق وأم المسلمين فى المسجد الحرام .

قال جلالته :

بيان جلالة الملك سعود إلى أهالى مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

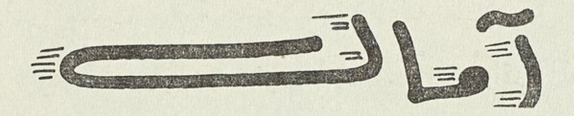
إخوانى وأبنائى جيرة المسجد الحرام وخدام بيته وأبناء شعبى الكريم : فى هذه الليلة التى ألقاكم فيها بعد أن لبى عاهلنا العظيم نداء ربه تغمده الله برحمته ، وألقيت على كاهلى أعباء الملك وشرف خدمة وحماية الحرمين الشريفين .

فى هذه الليلة التى شاهدت فيها بعينى وسمعت بأذنى ولمست بشعورى ما تكنه صدوركم وما تنطوى عليه نواياكم من المحبة والذكرى الطيبة لولى أمركم الراحل ، ومن الإخلاص والولاء لخليفته فى ولاية أمركم .

فى هذه الليلة المباركة توجهت إلى الله تعالى ودعوته وأنا أطوف ببيته العتيق — أن يمدنى بعون من عنده فيما تفضل به على من ولاية الأمر فى بلده الحرام ، وما أولانى من شرف خدمة الحرمين الشريفين وضيافة الوافدين إليهما من مختلف أقطار العالم ، وتوجهت إلى الله تعالى وملء نفسى نية حسنة أن يضاعف الله لى من هذه النية ويرينى الحق حقاً ويرزقنى اتباعه ويرينى الباطل باطلاً ويرزقنى اجتنابه ، وتوجهت إليه تعالى أن يمنحنى القدرة على شكر نعمته بطاعته فى أوامره ومراقبته فى خلقه وسألته تعالى أن

يجعل لى منكم خير عون على طاعته . هذا ما سألت الله إياه وتحدثت به إليكم من باب الحديث بنعمة الله ولأعاهدكم عليه باذلاً كل جهدى فيه جاعلاً نصب عينى وأنا أنظر فى شئون الدولة . أننى أراقب الله كأننى أراه فإن لم أكن أراه فإنه يرانى . فى هذه الليلة المباركة أحب أن أسدى إليكم خالص شكرى وتقديرى لعواطفكم الكريمة وولائكم الصادق وأرجو الله المجيب لسائله أن يستجيب لما سألته ويعيننى على القيام بأعباء الحكم على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله . وإنى سأولى بلدتكم المباركة هذه أعظم عنايتى وأكبر اهتمامى كى أؤمن بمساعدتكم والتآزر معكم للوافدين على بيت الله الحرام من مشارق الأرض ومغاربها ما يسهل عليهم قضاء الفريضة فى راحة وصحة وكرامة نسأله تعالى أن يسدد خطواتنا جميعاً ويوفقنا لما فيه خير المسلمين » .

فانظر معى أيها القارئ العزيز وتمعن فى قول سعود فى بيانه بمكة (وتوجهت إلى الله تعالى وملء نفسى نية حسنة أن يضاعف لى من هذه النية ويرينى الحق حقاً ويرزقنى اتباعه ويرينى الباطل باطلاً ويرزقنى اجتنابه وتوجهت إلى الله تعالى أن يمنحنى القدرة على شكر نعمته بطاعته فى أوامره ومراقبته فى خلقه ، ثم يقول جلالته (إننى أراقب الله كأننى أراه فإن لم أكن أراه فإنه يرانى) ومن هنا نتبين أن سعوداً صافح شعبه عقب مبايعته له مؤكداً أن شريعة الله هى الحكم بينه وبين الرعية وهى الدستور الذى على سننه سيسير كل فرد فى الأمة حاكماً ومحكوماً . . .



لقد قدمت الملك فى صورة من حقائق تتمثل فيما أشاد من مشاريع الإصلاح والتجديد فى أرجاء الجزيرة ، وفيما نشر فى أسفاره ورحلاته عن مكانتها وآمالها — فأى آمال وأى أمانٍ لشعب وليه وقائده سعود ؟

لا شك أنها آمال بعيدة المدى وأمانٍ عراض . إنها آمال الشعب العربى . . وأمانى الشعب المؤمن برب واحد وشريعة واحدة ، قدوته رسول كريم غير وجه التاريخ فى بضع سنين لم تتعد ربع قرن ، أقام فيها دولة العدل قوية البنيان ثابتة الدعائم فترك رجالاً غزوا العالم ففتحوه ، وامتدت بهم امبراطورية الإسلام ، فحكموا ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، وهذا هو الشعب الذى بنى أسلافه هذه الأمجاد ، ورفعت أعلام مجدهم فى غرناطة وبلاد فارس وفى أغلب بلاد الغرب وفى كل بلاد الشرق ، يريد الآن أن يجدد مجده ويركز مرة أخرى أعلام نصره فى آفاق العالم ، ولا يكون للشعب ما يريد إلا بقيادة حكيمة وعزم لا يثنى وإرادة فى الحق لا تلين وإيمان بالله مكين .

***

الصحافة

الصحافة يا مولاى هى القوة الرابعة التى تعبر عن الرأى العام وتساهم بنصيب وافر فى تحقيق الصالح العام ، فالدولة تقنن وتنفذ والصحافة ترشد وتوجه والشعوب حكاماً ومحكومين فى أشد الحاجة إلى التوجيه والإرشاد قبل التقنين والتنفيذ ، وبذلك أعطت دول العالم وهيئاته التشريعية حقوقاً مكفولة بكل التسهيلات اللازمة ليستطيع الصحفى تأدية رسالته وليس هناك ما يخيفه من إبداء نقده ورأيه حراً صريحاً فى غير مجاملة للحاكم أو محاباة للمحكوم .

وإذن فالصحافة هى الميزان الذى يقوم بين الحاكم والمحكوم ليرجح كفة أحدهما على الآخر ، والإسلام قد منحنا حرية الرأى ، وحق البحث عن الصالح العام وحق النصيحة للحاكم والمحكوم . كما أن الصحافة تقوم بأخطر دور فى التقدم والرقى لأية دولة تريد أن تأخذ بأسباب النهوض ، ذلك الدور هو الدعاية التى أصبحت الأداة الناجحة التى تقاس بها مدى ما وصلت إليه الأمم من رقى وتقدم وأخذ بأسباب التطور العالمى ، لذلك يا مولاى يأمل الشعب أن تمد إليه يد العون والرعاية حتى تقوم فى المملكة السعودية صحافة قوية يتكتل حولها الرأى العام ، وتكون منبراً عالمياً للدعاية والنشر عن الإسلام ، وعدالته الاجتماعية ، وأمجاد تشريعه السامى ، وحكمة إقامة حدوده .

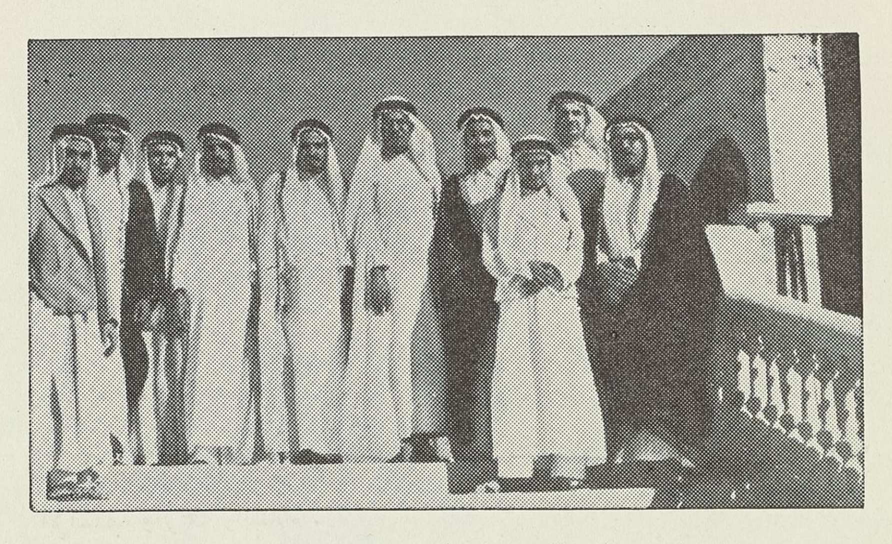
نعم يا مولاى نريد صحافة تخدم الإسلام بالبحث العلمى الصحيح والنشر

الحر النزيه فتناقش وتجادل وتحاجج ولا تغلق أبوابها أبداً فى وجه ملحد أو جائر ، بل تناقشه وتقدم له الأدلة والبراهين المقنعة من صميم الشريعة وسماحة الإسلام وحكمة عدالته — قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) — فإن استطاعوا أن يقدموا للكفر برهانا قدمنا للإيمان براهين . يريد الشعب يا مولاى صحافة تنقد الملك إن أخطأ وتنقد الوزراء إن أساؤا ، وتنصف الملك والوزراء عندما يحسنون وتطالب الشعب بالتطور الواجب وبالتقدم الذى ينبغى أن يبلغه .

نعم يا مولاى نريد تكوين رأى صحيح سليم قوى فى الجزيرة المجيدة ، دستوره القرآن وهديه السنة وقدوته محمد وخلفاؤه الراشدون .

نعم نطالب بصحافة سعودية تأخذ مكانها بين صحافات العالم . نريد فى كل دولة من الدول مكتباً للصحافة السعودية يقوم بالنشر والإعلان والتعريف بالجزيرة وما وصلت إليه من تقدم وبالإفصاح عن رسالة عاهل الجزيرة والداعى لدين الله ، وتقديم البحوث المدروسة عن عدالة الإسلام وعن الرأى المنادى بتنفيذ أحكام الإسلام فى كافة بقاع العالم الإسلامى وتوضيح فلسفة الحكم فى الإسلام وفلسفة الشورى — قال تعالى : (وشاورهم فى الأمر) وقال تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) .

فبتقدم الصحافة فى بلادكم وبتعدد أبنائها فى العالم كله تستطيع أن تحقق صورة كاملة لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ولقوله سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .



حضرات ممثلى الصحافة فى المملكة العربية السعودية

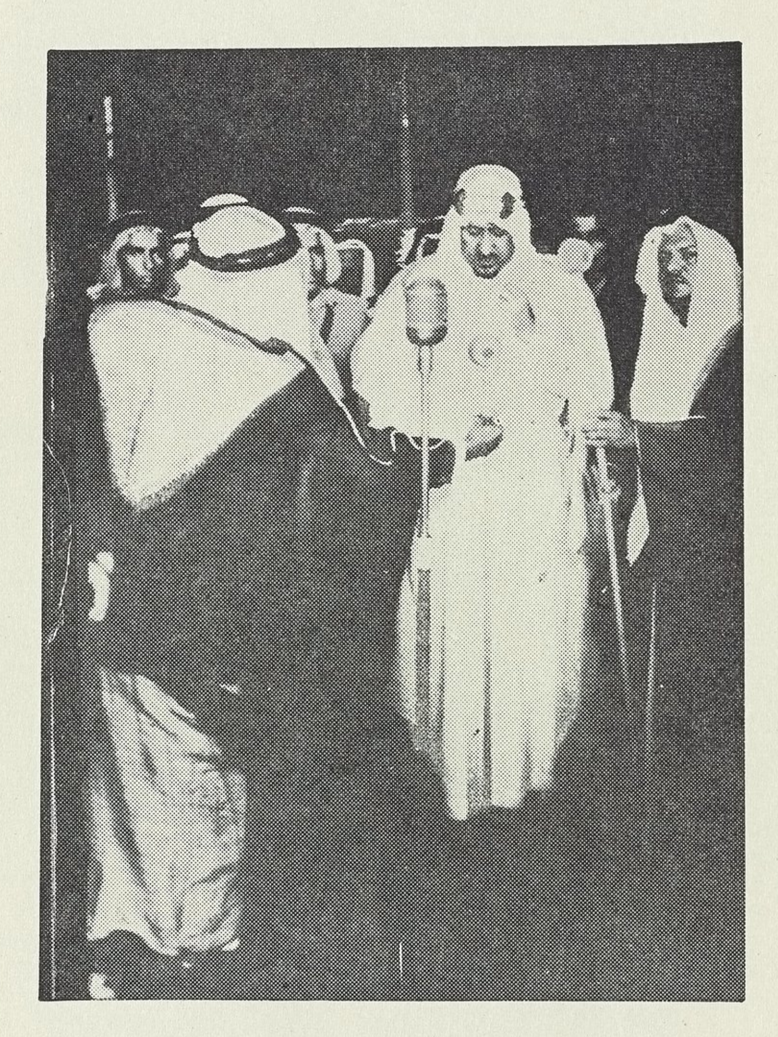
نريد ونحن مغتبطون بصور البلاد السعودية جريدة يومية فى عهدكم السعيد فى كل عاصمة من عواصم بلادكم ، كما نأمل أن تنهج جريدة المدينة المنورة نهج أختها جريدة البلاد السعودية فتصدر يومية بعونكم . ونرجو أن تصدر قريباً جريدة يومية فى الرياض ، وعشرات المجلات الأسبوعية وعشرات المجلات الشهرية ونأمل أن تقوم الطائرات السعودية كل صباح إلى كافة البلاد الإسلامية تحمل إليها الصحف السعودية . تلك يا مولاى قطرات من آمالنا فى الصحافة ونرجو أن تتحول هذه القطرات بفضل عونكم ورعايتكم إلى مياه غامرة تنساب فى أرجاء الجزيرة العربية فتنشر بها البحوث الدينية وأنواع العلم والمعرفة على اختلاف ألوانها .



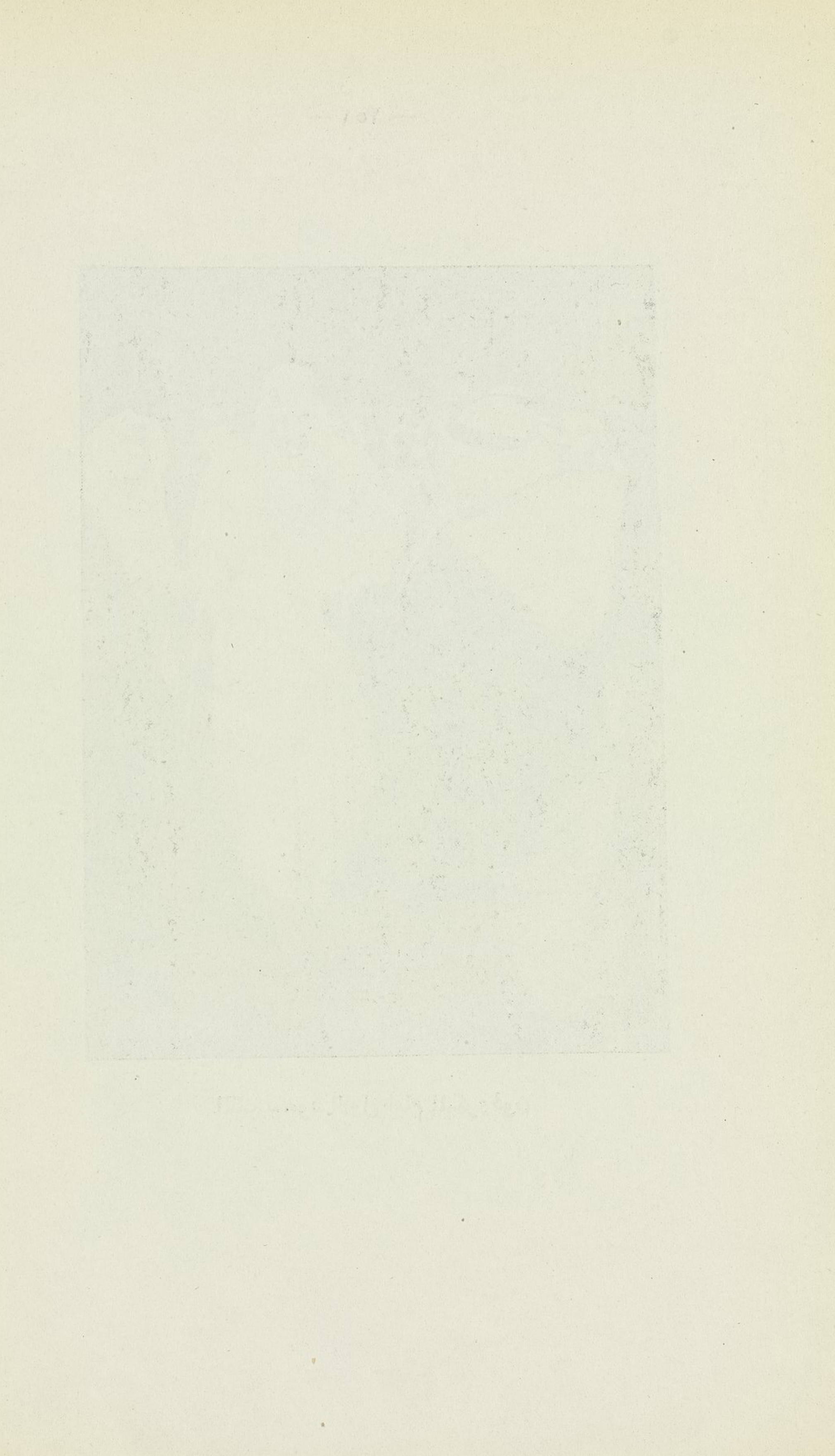
أصبحت الإذاعة يامولاى لاتقل خطورة عن الصحافة لتقدم الشعوب والأمم ، فهى القوة التى تربط العالم كله بعضه ببعض وتجعله أسرة واحدة يحادث أفرادها بعضهم بعضاً بمـا يجيش فى صدورهم ويعتمل فى نفوسهم من أمان وآمال فى خلق مجتمع إنسانى كريم على البر والتقوى وتعاطف وتراحم وينادى بها منبع الإنسانية والرحمة والسلام .

والإذاعة العربية السعودية هى التى يتجمع حولها المسلمون كافة باعتبارها إذاعة لشعوب العالم الإسلامى قاطبة .

إن كل فرد فى العالم الإسلامى يرقب ذلك اليوم الذى يُنصت فيه إلى صوت الإذاعة الإسلامية الصادرة من مهبط الوحى قوية واضحة مجلجلة رنانة ، فيغتبط غبطة تسمو به إلى عالم روحى . ولـكن ذلك لن يكون إلا إذا فتح منبر الإذاعة السعودية على مصراعيه ليصدر عنه الرأى الحر ويرتفع إلى الأثير من خلاله النقد والتوجيه الذى لاتقيده قيود باهظة . فيصدر عن الإذاعة السعودية الرأى المعارض المتطرف كما يصدر عنها الرأى المعتدل الحـكيم بالرد عليه . ومن ثم تصبح الإذاعة السعودية منبراً للتنافس وصرحاً للحرية فى هذا العالم المـكبل . وبذلك نضمن للإذاعة السعودية مستمعين فى كل أنحاء العالم ، ومحدثين وكتاباً يتعرضون لجميع نواحى الحياة فيرسمونها على صورتها الحقيقية ، وللمسلمين هدياً ينير لهم الطريق إلى النور والعظمة الإسلامية الحقة والحياة الحرة التى يقرها لهم دينهم الحنيف . إلى جانب هذا كله ستـكون الإذاعة مدرسة إسلامية كبرى للبيت الإسلامى



الملك سعود الأول أمام الميكروفون



والنشأة الصحيحة التى يرتضيها لبنيه ، مدرسة للأخلاق الإسلامية والعادات السامية المتطورة مع الزمن ، حتى يعلم العالم أجمع أن ليس فى الدين الإسلامى الحنيف من الحدود والضعف ما تقف أحكامه موقف التعارض مع النهضة والمدنية الراقية . وإن هذا الدين لم يدع منهجاً من مناهج الحياة فى جميع صورها المختلفة إلا وضع له من الأسس والمبادئ المرنة ماينظمه وييسره إلى أبعد الحدود الممكنة . وليعلم العالم أجمع أن التشريع الإسلامى الحنيف هو الدستور المرن المتماسك الذى ينظم حياة الناس جميعاً بطريقة تكفل العدالة والحرية والمساواة لأفراد الشعب العالمى وجماعاته وترسم لهم نظاماً قوياً لا يشوبه ضعف أو خلل . عندما يفهم العالم أجمع الدين الإسلامى على حقيقته وعندما يفهم التشريع الإسلامى فهماً صحيحاً فسيدرك ولا مراء أن التشريع الإسلامى هو الدواء الناجع الوحيد للقضاء على جميع أمراض العالم القانونية والاجتماعية والاقتصادية . . . الخ . . .

ولن يفهم العالم هذا كله إلا إذا ارتفع صوت الإسلام القوى حراً صريحاً واضحاً من معقل الإسلام قائلاً : (هذا هو الإسلام) .

التعليم

الإسلام دين العظمة السامية الذى جاء بسلاح البحث ، وأعطى الفرد حرية كافية لإبداء رأيه فى أية مسألة من مسائله . ولن يصطدم الباحث فى الإسلام بصخرة الجمود والتقليد ولذلك كان طلب العلم فريضة على كل شخص مسلم يحارب الجهل والجهلاء ويرفع من قيمة العلماء وطلاب العلم يقول محمد صلى الله عليه وسلم : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ثم بين الفرق الشاسع بين الإنسان عالماً وجاهلاً فيقول « فضل العالم على الجاهل كفضلى على أدنا كم » .

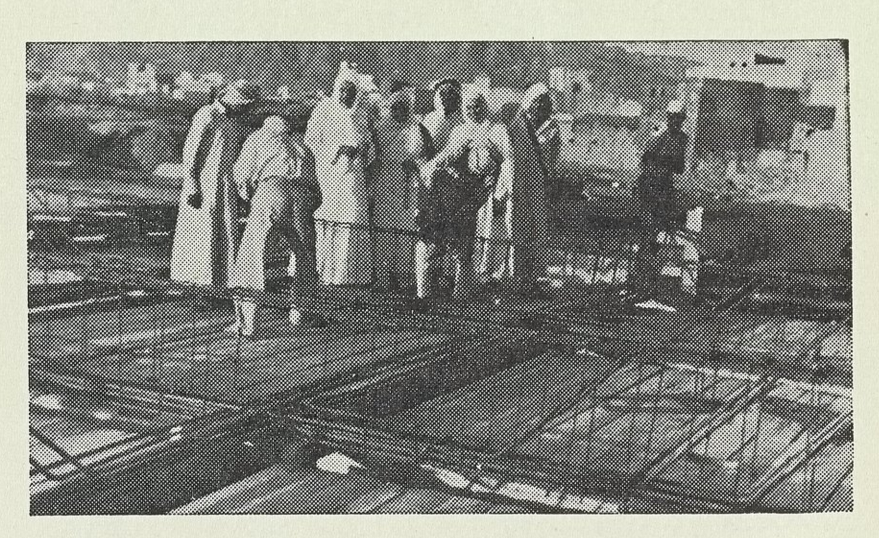
ولن ينكر التاريخ أن أول من حمل مشاعل النور لهدى البشرية إلى العلم والبحث والمعرفة هم رجال الجزيرة العربية الذين آمنوا بالله وفقهوا رسالة محمد مؤمنين بأن السعادة لا تتحقق إلا لمثقف متعلم يدرك واجبه عن طريق المقاييس العلمية والمنطق السليم ، ويؤكد محمد — ألا سعادة لهذا العالم إلا بالقضاء على الجهل قال عليه الصلاة والسلام يشجعنا على قطع دابر الجهل والقضاء عليه قضاءً كاملاً : « من كان له ثلاث بنات فعلمعن وأدبهن دخل الجنة » .

فالشعب يطالب باسم الإسلام الذى تعزه وتكافح فى سبيل رفع أعلامه وبمحمد الذى هو قدوتك وبالله الذى نادى محمداً بقوله : — (اقرأ) — فأجاب (ما أنا بقارىء ؟ . .) — قال سبحانه (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

بذلك الحق الذى تعيش فى ظلال عرشه وجلال نوره وهديه . يطالبك الشعب بآماله الواسعة الكبيرة فى نشر العلم فى بلاد العلم والنور فى أرض النور وماحولها

من أرض الجزيرة المباركة بإنشاء رياض أطفال فى أنحاء مدن الجزيرة وقراها ، وتعميم التعليم الابتدائى وإصدار قوانين تجعله تعليماً إجبارياً ينتظم كل أفراد الشعب ، وتعم المدارس الثانوية بمراحلها الكاملة فى المدن والقرى بحيث لا تضطر هذه الجموع من الشباب إلى مغادرة مدنهم للأقامة فى مكة لاتمام هذه الدراسة كما هو حاصل الآن ولعل هذا من أقوى الوسائل التى تشجع الأبناء وأولياء أمورهم على مواصلة دراستهم وإعداد الطلاب للدارسة الجامعية .

هذا مع تزويد هذه المدارس الثانوية وإعدادها لبحث الدراسات العلمية فيها وتعديل البرامج تعديلاً يتفق والتطورات العلمية التى يحتم علينا الدين الإسلامى أن ندرسها بتعمق لنفيد منها .



مبنى المدارس الثانوية بمدخل المدينة المنورة

كما يجب التوسع فى برامج التعليم الدينى توسعاً يمكن الطالب من البحث والمناقشة والاقتناع عن رأى والاعتقاد عن معرفة لأن الإسلام دين الحياة ، الحياة التى يتسع منطقها كل بحث مادى ويحتمل بقوة تمكنها كل رأى روحى . ولن يعجز الدين أبداً عن إقناع متشكك كما لن يضل فيه باحث فهو البحر فى أحشائه الدر

كامن والنور لا تطمسه ظلمة ، والعلم الربانى الذى لاتغلبه ولن تغلبه حدود العلم البشرى ، فيجب أن نجدد فى برامج التعليم الدينى وندخل فيها علم الفلسفة وعلم المنطق وعلم الكلام ، يجب أن نُعرف أبناء الجزيرة أسباب إلحاد الملحدين بالحجج والبراهين القائمة فى جانب المؤمنين ، ويجب أن ندرس فى مدارس الجزيرة فى كافة مراحلها فلسفة الأديان وعلم التصوف وما إليه .

ونعتقد أن الإسلام يحتم علينا أن ندرس حاضر جميع دول العالم وماضيها ونظام الحكم والمجتمع فيها وأماجد رجالها وأسباب عثراتها وبواعث تقدمها ، وتاريخ التطورات العلمية والسياسية فيها ثم نقارن بين ما وضعت الشريعة من خطوط سليمة وما قام فى تلك المجتمعات من نظم ، فبتلك الدراسة والمقارنة تستطيع الأمة العربية الحكيمة بشبابها الحديث تحت رعايتكم وعونكم أن تقدم للعالم بحوثاً ونظماً وقوانين كلها مستمدة من سماحة شريعتها الحكيمة وسنتنا الرشيدة ولن نجد أبداً عدالة تغلب عدالتنا ولن نجد علماً يغلب علمنا وبحثنا وتقدمنا إن أخذنا علوم الغرب فبلورناها تحت منظار فلسفة الإسلام ودعمناها بجليل حكمته الربانية واستعملناها بما رسم الإسلام .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : (نحن معشر الأنبياء لا نورث درهماً ولا ديناراً وإنما نورث العلم ومن ورث العلم فقد ورث خيراً كثيراً) فالعلم نحن هداته والعدالة الاجتماعية نحن واضعو أسسها وحياة الروح نحن أربابها وحياة السيف نحن جندها . وسفينة التقدم نحن ربابنتها .

يا سعود ، إن الرجل العظيم الذى يحمل مكارمك ويرفع فوق هامته أمجادك لا يرضى أبداً إلا أن يكون ملكا لشعب لا جهل فيه ، ولا تواكل ، ولا خمول بين أفراده . فأبوك واضع اللبنات الأولى ليقظة هذا الشعب فتمم يا سعود بناء المجد . لأن فيك آمال الشعب وأمانيه فارفع فوق ربوعه أعلام العلم ، وافتتح فى كل حين مدارس جديدة تستوعب أبناء الجزيرة العربية وغير المناهج ، وجدد النظم التعليمية ، فالدين سمح ، وعلماؤه بحور لا يضرهم جدل ، ولا يضعف رأيهم

نقاش ، بل الغلبة دائماً ستكون لهم لأنهم أصحاب الحق ، وحفاظ النور . لن يرضى الشعب ولن يكتفى منك بتعميم التعليم الابتدائى والثانوى وتغيير برامجه ومناهجه ، بل من آمال الشعب وأمانيه أيضاً أن تكون له جامعة بمكة المكرمة ينتدب لها أساتذة أكفاء من جامعات الشرق ، ومن ناحية أخرى أن يُبعث من أبناء الجزيرة العربية شباب متعلم إلى بلاد الغرب ليحمل أرقى الإجازات العلمية ويتزود بعلم غزير يؤهله لشغل الكراسى المختلفة فى جامعة مكة المكرمة بجدارة وقوة ، وهنا يحمل رسالتك رجال من أبناء شعبك ليحققوا الأهداف السامية التى اعتقد أنك تتمنى تحقيقها لشعبك السائر نحو النور والعرفان .

إن قيمة الحاكم من قيمة رعيته فرفعة مكانة الشعب بين الشعوب هى رفعة مكانة الحاكم بين الحكام . وشعبك — وكله وفاء لك — حريص على أن يتقدم مقعدك مقاعد كل حكام العالم ، فضع له الخطوط التى يسترد بها مكانته بين الأمم وابعثه من جديد ، واعمل على أن يتقدم بعلمه ومعارفه صفوف العالم .

فافسح له طريق العلم واسهر عليه حتى تجنى طيب ثمره . يوم تجد يا مولاى كل من حولك من مستشاريك شباباً سعودياً ورجالاً أفذاذاً فى الرأى وفى القانون الدولى وفى التشريع والتقنين الإسلامى الذى هو شرع حكمك وصراط حياتك ، فهذه هى السعادة التى لا تحصى بمقاييس .

وليست قيمة الأمم بكثرة عدد أفرادها ، ولكن بعدد المتعلمين فيها . فيوم غزا محمد العالم بجنوده كانوا قلة اجتمعت على رسالة علمها الله نبيه ، فعلمهم إياها ، وعلى نور معرفة وإيمان أودعه الله صدر رسوله ، ففقههم الرسول به ، فبفقههم وبعلمهم وإيمانهم قاموا ضد الباطل والجهل قومة رجل واحد فقضوا بوحدتهم على خزايا الجهل وعار الكفر فى الأرض ، وأقاموها شريعة سمحاء تسدد خطاهم إلى النصر مؤمنين بما علموا موقنين بما عرفوا مخلصين لما حفظوا . تلك الأمة العظيمة المتفقهة كان بعثها من أرض الجزيرة من عند كعبة الله من عند حرم

نبيه ، فلا يستبعد أن تبعث مرة أخرى إن وجدت طريق العلم بين يديها ممهداً وأبواب البحث تحت عينيها مفتوحة . .

قال الرسول وهو قدوتك (النساء شقائق الرجال) ولن تكون أمة إلاّ بأمهات رجالها ، فالأمومة العربية وبعثها مسئولية خطيرة بين يديك ، وتعليم المرأة رسالة واجبة الأداء وغاية لبعث الأمة العربية المجيدة ، ولقد تزعمتْ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم امرأة عدداً كبيراً من النساء وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا من نفسك يوماً نتعلم فيه العلم ، فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم — يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع لتجتمع عليه فيهما النساء فيتلقين العلم عن رسول الله . فمن أمانى الشعب أن تنشأ للبنات مدارس فى جميع أنحاء المملكة على أن توضع برامجها بأيد أمينة تقوم بتعليم المرأة فى حدود التربية الإسلامية ومكارم الشريعة الحكيمة ، فإن طالب الإسلام بتعليم المرأة فقد وضع أسساً لتربيتها ونظاماً لتأدية رسالتها فى الحياة . ففى ظل ما شرع الإسلام وقنن من حقوق للمرأة ننشىء لها المدارس ونعلمها لأن المرأة المسلمة قد شاركت برأيها وبكفاحها فى إقامة الحق ودولته تحت زعامة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون من أمهات المؤمنين مدرسة كبرى تتولى نشر الفضيلة وتشارك فى أن يشيع التعليم فى ربوع الجزيرة ففقه صلى الله عليه وسلم عائشة فى علوم الدين حتى تعمقت فى دقائق الأصول والفروع فكانت الأستاذة الأولى فى علوم الرواية والتفسير والفقه وسائر علوم الشريعة حتى غدت مرجعاً لأجلة علماء الصحابة رضوان الله عليهم .

فآمال الشعب يا سعود أن تبعثه يأخذ من مناهل العلم فهى معقودة عليك

وأملنا منك أن تحققها ولن أنسى يوم قلت وأنا ماثلة بين يديك أشرح لك أمانى الشعب فيك وكانت تلك الكلمات تخرج من بين شفتيك وكأن قلبك هو الناطق بها — (إنها أمانىّ وآمالى قبل أن تكون أمانى الشعب وآماله) — إنها أمانٍ يغلى بها صدرى وسأعمل جهدى لتحقيقها . وإنه من الخير الذى نشكر الله عليه معشر المسلمين أننا ابتدأنا نشعر بأخطائنا فى الماضى وتقصيرنا نحو دولتنا الإسلامية ؛ وذلك هو الطريق الوحيد الذى يجدد فينا روح العمل لها والعيش من أجلها ولا شك أن العلم هو الطريق الوحيد لاسترداد مكانتها فى العالمين .

تلك هى العبارات التى لا يزال رنينها يملأ سمعى فيزيد ثقتى بأنك محقق آمال شعبك فيك ، ولن يكون التعليم كما يريده الشعب ويأمله إلا باحتجاز نصيب وافر من الميزانية يفى بجميع مطالب الشعب لتحقيق ما يصبو إليه من آمال فى التعليم . . فالأمة عندما تريد أن تمشى فى ركب الحضارة وتتربع على المقعد الذى تطمح أن تتربع عليه بين الأمم تخص التعليم بأضخم قسط فى ميزانيتها لأنها ترى التعليم الطريق الوحيد الذى تتفتق به الأذهان وتنمو به مقومات العمران والتصنيع والإنتاج القومى ، فبازدياد التعليم نكثر العقول المفكرة والأيدى العاملة وتتيقظ الغيرة القومية التى تتعدد بها أسباب التقدم . وهذا يعنى تخصيص ميزانية سخية للتعليم اليوم ليؤدى بطبيعته إلى تنمية الاقتصاد القومى وبالتالى إلى تضخيم الميزانية فى المستقبل القريب . ولسنا نعمل بهذه التضحية البسيطة على تدعيم اقتصاد البلاد وإمكانياتها فى هذا الصدد فقط ، وإنما نعمل أيضاً بهذه الوسيلة على النهوض بكل مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية والسياسة والحيوية فى البلاد .

الخدمة الاجتماعية

من آمال الشعب يا مولاى أن تسخر كل قوى التفكير فى تحسين حالة الطبقات الفقيرة بطريق أسلم وأكرم من المنح والصدقات ، فشريعتنا حين تدعو إلى بذل العون للفقير فهى تدعو ذلك الفقير للعمل وتبغض إليه التواكل . قال عليه السلام : (اليد العليا خير من اليد السفلى) — وقال أيضاً : (السؤال ذل ولو أين الطريق) . والنضوج الاجتماعى الذى تطورت إليه المجتمعات الحديثة أدى إلى تنظيم الإحسان — وأرقى ما وصلت إليه الدراسات الاجتماعية فى ذلك الباب أن يعان الفقير بالمال على أن يقدم له من الإرشادات ما يستطيع به إستغلال ذلك المال فى طريق إنتاجى عن طريق الاتجار أو العمل المهنى — ما دام طالب العون قوياً معافاً وقادراً على العمل .

وأما العجزة والمقعدون بسبب الكهولة والأرامل والأيتام الصغار — فيجب أن تنظم طرق الإحسان بالنسبة لهم عن طريق تقدير معاشات شهرية — وأستطيع أن أضع تحت أنظاركم عدة مشروعات يخصص إيراد إنتاجها لهؤلاء المقعدين مضافاً إليه ما يقرر لذلك الباب من ميزانية الدولة ، ولن تخرج تلك المشاريع عن كونها تنظيماً وتنمية وتحسيناً وإنشاء لما تصلح به حقوق هؤلاء الفقراء التى تنفق بغير حكمة . والشريعة لا تمنعنا أبداً من تجريد وتحسين ما ينتج خيراً للمسلمين وخاصة أولئك الذين هم عيال الله وأمانة الله فى ضمائر الولاة وأعناق القادرين من المسلمين .

أعتقد أن ما يذبح من الأغنام فى موسم الحج لا يقل عن نصف مليون رأس

من الغنم ، ونصف لحوم هذا العدد يرمى فى الطرقات وفى رمال منى وعرفات ومزابل مكة ، فنستطيع أن ننشئ لجلوده ذه الأغنام مصانع للدبغ تستوعب عدداً كبيراً من هؤلاء الفقراء للعمل بها وتدر خيرا كثيرا من تصديرها إلى الخارج ، كما يقام لأصواف هذا العدد الضخم من الأغنام مصانع غزل ونسيج ، يعمل بها كثير من الفقراء العاطلين ، كذلك كمية اللحوم التى تدفن فى الأرض لتصبح تراباً وهى نعمة يجب أن نحافظ عليها ، والمحافظة على النعم هو أبلغ شكر عليها للخالق سبحانه .

فماذا لو أنشئت مصانع لحفظ تلك اللحوم وصرفها بعد ذلك للفقراء كغذاء محفوظ ؟



من آمال الشعب إنشاء مصلحة للسياحة بالبلاد المقدسة تكون لها مكاتب دعاية فى جميع بلاد العالم الإسلامى .

فالبلاد المقدسة تعتبر أجمل مشتى فى العالم لو عنينا بتجميل جبالها وتوفير وسائل النقل والراحة فيها . والطائف مصيف عالمى ساحر ، فعلى الحكومة أن تبذل جهداً كافياً فى تخفيض أجور الانتقال بالجو والبحر إلى البلاد المقدسة فى جميع فصول السنة ، وإقامة فنادق مريحة ما بين جدة ومكة تصلح كمشاتٍ . فالمسلم يتمنى ألا ينتقل إلى مشات أجنبية ويفضل دائماً أن ينتقل إلى مشاتٍ عربية وخاصة لو كانت فى البلاد المقدسة وتوفرت فيها سبل الراحة والمتعة إذ سينال الحسنيين ، قربه من البيت الحرام وإمكان زيارته ولو مرة فى كل أسبوع ، كما يتمكن من زيارة الحرم النبوى وذلك بتسهيل الحكومة لوسائل الانتقال وتخفيضها لمصاريفها . إن مصلحة السياحة تستطيع أن تجعل الأسفار مستمرة طيلة العام بين بلاد المسلمين جميعاً وبلاد الله الحرام . فلا تقتصر حركة النشاط الاقتصادى والسوق التجارية على موسم الحج بل تستمر طيلة أيام السنة .

إن (لبنان) ليست أجمل من الطائف فى الصيف إذا جملت الطائف وقامت فيها بلدية قوية تجمل طرقاتها وتنشىء فيها البساتين العامة والفنادق الفخمة وبذلك نستطيع أن نجعل فى المملكة السعودية مشاتيا أجمل من مشاتى الأقصر وأسوان ومصيفا أجمل من مصيف رأس البر والاسكندرية ولبنان .

إن المهندسين الذين أنشأوا طريق الكورنيش بالإسكندرية يستطيع مثلهم أن ينشئ ذلك الكورنيش فى جدة فيصبح ثغر البلاد المقدسة جنة للمصيف .

إن الجزيرة العربية هى التى ابتدعت أسواق الأدب والشعر وعقد المؤتمرات للمساجلة الأدبية والعلمية . فالشعب يرجو أن تعود تلك الأيام الزاهية إلى الجزيرة فتقام مؤتمرات للأدباء والشعراء ومسابقات للعلماء وتصبح البلاد المقدسة مركزاً عالمياً من مراكز السياحة العالمية .

أعز ما يعتز به المسلمون هو السير فى وهاد الطريق المؤدى إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولله در طريق يطوف بالنفس المسلمة فى قدسيات ذكرياته فيصور لها أن محمداً ، وصاحبه ، اتخذا هذا الطريق ليصلا منه إلى أنصار الحق ومشاعل النور ومؤسسى دولة التوحيد فى طيبته المباركة .

إن فى ذلك الطريق لذكريات غالية . ذكرى الهجرة وذكرى العودة بعد الهجرة عام (الحديبية) وذكرى بدر الكبرى . . . فكم يحس العبد بجلال تلك الذكريات عند ما يسير فى طريق تشرف بسير الرسول الأعظم والصحابة ، لذلك كله نريد أن نجمل ونعبِّد طريق المدينة تجميلاً وتعبيداً يتفق وجلال ومجد ما يحمل من ذكريات تاريخية تكفى لو أقمنا فيها ما يخلد ذكرى وقائع المجد لإنشاء مصلحة السياحة .

لذلك يجب أن يكون فى طريق المدينة البرى من وسائل الراحة والإغراء ما يرغب المسافر ويحبب له أن يسلك طريق البر ويفضله على طريق الجو ، فنقيم الاستراحات الحديثة المزودة بكامل أدوات الاستجمام والراحة — من مطاعم ونزل للمبيت . كما نأخذ فى حفر الآبار وإنشاء المتنزهات بجانب كل استراحة وتنظيم القرى النموذجية للبدو على ضفاف الطريق حسب التطور الحديث فى إنشاء القرى

النموذجية ثم نجعل نظام إنشاء المدارس فى هذه القرى على رأس الطرق لتكون رمزاً إعلانياً عن انتشار النهضة العلمية فى بلادكم العزيزة .

أؤكد لك يامولاى أن فى الاستطاعة تجميل طريق المدينة بأكثر من ذلك ، بأن نقيم فيه بساتين الفاكهة النادرة الغالية — ففى أكثر بلاد العالم الصحراوية عندما نطالع (جغرافية) العالم نجد الأدوات الحديثة وعلوم الزراعة الحديثة قد خلقت من الصحارى جنات ومن الجبال مزارع مثمرة . ونحن أقدم أمم العالم فى التفكير والإنشاء والإنتاج والاكتشاف والاختراع . . .

آمالنا في سبيل الحج

إن من أحب الآمال إلى قلب المسلم تيسير سبل المواصلات للحجاج عند قيامهم للتروية والخروج من مكة إلى عرفات ثم إلى المزدلفة ومنى ، فلقد لمست خلال زياراتى المتكررة للبلاد المقدسة تلك الصعاب التى تعترض طريق الحجاج .. فالزحام الشديد فى طريق مكة — عرفات واشتداد الحرارة وعدم تنظيم المرور ، وتزاحم الحجاج فى المزدلفة ثم حول العقبات فى منى وعدم معرفتهم لمضارب خيامهم ، كل هذا يكلف الحاج كثيراً من الجهد والمشقة بل قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى إزهاق كثير من الأرواح الطاهرة .

ولعل علاج هذه الصعاب ليس بالأمر العسير ، لاسيما وإن عاهل الجزيرة هو مانعرف من مضاء العزيمة وثاقب الرأى وتقديس الشعائر والتفانى فى العمل على مافيه تيسير الحج ومناسكه للمسلمين جميعا .

وإنى أورد فيما يلى آرائى فى هذا السبيل وهى أمل يجيش فى نفسى وأرجو أن يتحقق كغيره من الآمال فى عهد الملك التقى الحريص على راحة المسلمين سعود الأول .

فالخطوة الأولى تكون بتنظيم حركة المرور عند الإفاضة من عرفات وذلك سهل ميسور إذا استطعنا أن نجعل السيارات تقوم من أربع طرق بدلا من ذلك الطريق الواحد الذى تقوم منه الآن ، وبذلك يمكن أن نتجنب الزحام الشديد الذى نراه فى ساحة عرفات عند بدء قيام السيارات ، والذى يتصل طوال فترة

المناسك ، على ألا تقوم سيارات أى منطقة من هذه المناطق الأربع إلا بعد انتهاء خروج سيارات المنطقة التى قبلها على أن يكون سير السيارات بعد خروجها من ساحة عرفات فى صفين متقابلين وبذلك يمكن أن يصل الحجاج إلى المزدلفة بعد نصف ساعة ، فإذا ما بلغوا المزدلفة وقفت سيارات كل منطقة فى مكان معين لها لمدة نصف ساعة أخرى يتمكن الحجاج خلالها من جمع الجمرات والصلاة حسب السنة ثم يعودون إلى سياراتهم فتنطلق بهم على الطريق إلى منى لتحل محلها سيارات أخرى آتية من عرفات وبذلك نتجنب ذلك الزحام الذى نشكو منه فى المزدلفة .

والمسافة بين المزدلفة ومنى لا تتجاوز أربعة كيلو مترات أى يصلها الحجاج بعد عشر دقائق حيث توجه السيارات إلى أماكن معينة للانتظار بعيدا عن مدخل منى الضيق الذى يشبه عنق الزجاجة وذلك ميسور بدوره إذا وضعنا على كل رتل من السيارات رقما واضحا يميزه ويدل على المكان المخصص لانتظاره .

على أن ذلك يقتضى وجود اتطال لاسلكى بين منى والمزلفة وعرفات لتمكن المشرفون على توجيه السيارات فى عرفات من معرفة حركة المرور فلا يسمحون لرتل من السيارات بالخروج من عرفات إلا إذا كان الطريق يسمح بذلك ، ولا يسمحون كذلك بخروج السيارات من المزدلفة إلا إذا كان طريق منىً خالياً لها ، كذلك ينبغى أن توجد فرق للاسعاف الميكانيكى على طول الطريق تتكون من ونشات وعربات لورى لسحب وإصلاح السيارات التى تتعطل أثناء سيرها ، كما يلزم وجود عدد كاف من رجال المرور بسيارات جيب أو موتوسيكلات لتدارك ما عسى أن يحدث من تزاحم قبل اشتداده .

بهذا نكون قد عالجنا مشكلة ازدحام السيارات . وننتقل بعدذلك إلى مايلاقيه

الحجاج فى منى ، وأول مايصادفنا فى هذا الموضوع هو عدم معرفة الحجاج لمضارب خيامهم إذ أنهم يهرعون حال وصولهم إلى رمى الجمرات قبل أن يلفحهم القيظ وتشتد عليهم ضربة الشمس فتودى بحياتهم على الفور ، فإذا أرادوا العودة إلى مخيماتهم ضلوا السبيل إليها ولايجديهم سؤال من حولهم لتشابه مضارب الخيام واتساع الساحة ، ولأن كثيراً منهم يتكلمون بألسنة مختلفه فمن باكستانية إلى تركية إلى أندونيسيه إلى غير ذلك من اللغات ، ولعلاج ذلك أرى أن تقام أكشاك بها مختصون يجيدون هذه اللغات ليدلوا السائل والضال على مخيمه ، كما أرى أن تقام لافتات كبيرة تبين مواقع الخيام وأسماء مطوفيها ويحسن أن يكون ذلك بأكثر اللغات شيوعاً وانتشارا بين الحجاج ، وأما من لا يجيد القراءة والكتابة من الحجاج فالأصوب أن تعطى له حلقات معدنية مكتوب عليها اسم مطوفه وموقع مخيمه ليسهل عليه الاستدلال ممن يعرفون القراءة والكتابة ، وينبغى كذلك أن يكون بمنى فرق للاسعاف الطبي توزع توزيعا عادلا لعلاج من يصابون بضربة الشمس أو بسبب الزحام .

ويبلغ الزحام أشده فى اليوم الأول لرمى الجمار فى العقبه الكبرى فتضيق طرقات منى ومسالكها بالحجيج مما لا يتمكن معه الحجاج من أداء المناسك فى وقار وطمأنينه وتهيىء للعبادة وتصور للعظات وتكاد تذهب الحكمة من هذه المناسك فكأن الحجاج يؤدون عملاً آلياً ، وكم من أرواح أزهقت حول العقبات بسبب ضغط تلك الكتل البشريه المتراصة يريد كل أن يرمى جمراته ثم يعود مسرعاً إلى مخيمه قبل أن تصيبه ضربة الشمس أو قبل أن يداس بأقدام المتزاحمين فيجب إذن لعلاج ذلك أن يقسم الحجيج إلى فئات لكل فئة فترة تؤدى فيها مناسكها آمنة ثم تخلى مكانها للفئة التى تليها ، ويستحسن أن تكون عودة الحاج بعد رمى جمراته من طريق آخر غير الذى أقبل منه يمكن إنشاؤه لهذا الغرض .

ونعرج بعد ذلك على المشقة الكبيرة التى يصادفها الحجاج وتؤدى إلى وفاة الكثيرين منهم ، ألا وهى ضربة الشمس أثناء رمى الجمرات ، وإنى أرى علاجاً لذلك أن تقام مظلة كبيرة فوق العقبة الكبرى تمتد على طول الطريق مزودة بفتحات للتهوية لتحول بين الشمس والحجاج أثناء سعيهم لرمى الجمرات .

أما العقبات الوسطى والصغرى فمن الممكن إقامة مظلة من القماش تشد بين المنازل المتقابلة فى مستوى أعلى طابق منها تزود كذلك بفتحات للتهوية ، وأرى كذلك إقامة مراكز للمراقبة أمام كل عقبة مزودة بجهاز إرسال لاسلكى أو تليفون لتنظيم حركة الحجاج وللاتصال بالمراقبة فى منًى حتى لا تسمح لفوج بالسعى لرمى الجمرات إلا إذا أخلى الفوج السابق له المكان فنتفادى بذلك خطر الزحام الذى يؤدى إلى إزهاق الأرواح .

كما يجب أن يخلو طريق العقبات من السيارات بأن يعد خلفها مكان لوقوفها تنطلق منه ثانية إلى مكة .

وفى العودة إلى مكة يحسن أن نتبع نظام المناطق بمعنى أن تقسم السيارات إلى فئات لا تنطلق إحداها إلا بعد فترة كافية من انطلاق الفئة التى سبقتها .

هذه اقتراحات أقدمها إلى ملك كله تفان فى خدمة ضيوف الله الذين يفدون إلى الأراضى المقدسة من كل فج عميق ، وقد عالجت فيها بصفة مجملة مشكلة تنظيم المرور وتيسير تأدية المناسك ، وإنى لعلى يقين تام من أن عزيمة جلالته وحدبه ليحققان هذه الآمال الكبار التى تتجاوب لا فى نفسى فحسب ، بل فى نفس كل مسلم فى بقاع الأرض . . . وكيف لا وللحج ما له من قدسية ومكانة فى نفس عاهل الجزيرة حارس الحرمين وراعى الحجاج .

بنك إسلامي

العالم الإسلامى فى حالته الراهنة معرض لخطرين قويين داهمين وهما : الاستعمار الأجنبى ، والخطر الصهيونى . وكلاهما يتربص للمسلمين ويحاول تحطيم كل مشروع يقومون به . فإذا أردنا أن ننظر إلى الحكومات الإسلامية لنطلب منها العون على حماية المنشئات الجديدة ومساعدتها فإن ذلك غير مجدٍ فى أكثر الحالات لأن الغالبية العظمى من هذه الحكومات لا تستطيع — نظراً لعوامل سياسية — أن تتخذ تدابير فعالة فى هذا الأمر . فإذا أراد المسلمون فى أرجاء العالم أن يسايروا الزمن ويرفعوا مستواهم الاجتماعى فالواجب عليهم هو الاعتماد على أنفسهم ومصانعهم وشركاتهم وأن يتخذوا خطوة جدية لحمايتها . وما هذه الخطوة الجدية إلا إنشاء مؤسسة أو بعبارة أدق بنك لا يقل رأس ماله عن عشرة ملايين من الجنيهات ليكون فى وجوده حماية للشركات والصناعات الناشئة ويحول بينها وبين التردى فى مهالك الربا الذى تفرضه علينا البنوك الأجنبية .

وإن أجدر بلد يعمل على إنشاء هذا البنك هى المملكة العربية السعودية التى يرعاها الملك سعود .

وقبل أن نتحدث عن المنافع التى يؤديها هذا البنك يجب أن نقف قليلا لنعرف الأسس التى يجب أن تقوم عليها معاملاته سواء مع الشركات القائمة أو المصانع والشركات التى تنشأ أو معاملاته سواء مع الأفراد أو الحكومات فى مختلف بلاد العالم الإسلامى .

ويتخذ لهذا البنك اسم « البنك الإسلامى » أو « بيت التمويل الإسلامى » .

يمارس هذا البنك تحقيق أغراضه إما مباشرة وإما بتمويل غيره من الأفراد والهيئات المساهمة ، وفيما يلى أهم الأغراض :

١ — القيام بالأعمال المصرفية التى لا تتنافى مع النظم الشريعة الإسلامية ، ويقبل البنك فتح حسابات جارية ويقبل الودائع ويعطى سلفا مالية بدون أخذ أرباح . ولكن يجب أن يدفع المنتفع مبلغ ٣٪ لتغطية المصاريف التى يتكلفها البنك فى الصرف على الموظفين والإيجارات . . الخ ، فإذا زاد شىء من أرباح الـ ٣٪ فى ختام العام المالى يرد ثانية لمن دفعها . وبهذا لا يكون فى الأمر تعامل بالربا ، كما أن مايدفعه المنتفع لايعدو ما أباحه الشرع من إعطاء أجر الكاتب الذى يقوم بالتحرير بين متعاقدين فى دين أو غيره .

٢ — القيام بكافة الأعمال المالية والتجارية والصناعية على اختلاف أنواعها وتنمية العلاقات بين جميع البلاد الإسلامية .

٣ — إنشاء وتمويل المشروعات التجارية والصناعية والزراعية الخاصة بالأفراد أو الشركات فى جميع البلاد الإسلامية بما لايخرج عن الشرع الإسلامى .

٤ — القيام بأعمال التصدير والاستيراد وإنشاء مكاتب تجارية .

٥ — إنشاء صندوق للمساعدات له الحق فى قبول الهبات والتبرعات وخاصة من أموال الزكاة وتصرف هذه الأموال فى رفع مستوى المعيشة فى بلاد المسلمين عن طريق التعليم العلمى والتعليم الصناعى والتجارى ومساعدة العائلات على تعلم صناعات منزلية تعود بالربح على من يزاولها .

رأس المال

أما رأس المال اللازم لهذا المشروع فإنه يجب أن لايساهم فيه إلا من صفت نفوسهم لتقديم خدمة خالصة لوجه الله لدينهم وأوطانهم سواء أكانوا فقراء أم متوسطى الحال أم أغنياء . ولا يمكن أن يتطرق إلى ذهننا أن الخير قد ذهب

من نفوس المسلمين وخصوصاً فى أرض النور ومهبط الوحى ، فهى أولى البقاع بالسبق فى عمل الخير ونشر ألويته فوق أقطار العالم الإسلامى بأسره .

ولا بأس أن يكون رأس المال ١٠ مليون جنيه تجمع من ٢٠٠ ألف شخص من المسلمين بواقع ٥٠ جنيهاً من كل شخص عن جميع الممالك الإسلامية .

مساعدة البنك للمصانع أو الشركات القائمة

ليس هناك مايحول دون مد البنك يد المعونة لمصنع أو شركة قائمة سواء أكانت هذه المعونة عن طريق التسليف أم عن طريق المشاركة بشرط أن يتأكد البنك بواسطة خبرائه الفنيين بعد اطلاعهم على دفاتر وأعمال هذا المصنع أو الشركة أن هناك أملا فى إنعاش العمل . وعلى ضوء التقرير الذى يقدمه خبراء البنك تعطى المساعدة بعد أخذ جميع الضمانات اللازمة ومنها الإشراف على سير العمل .

وبهذا المشروع — مشروع البنك الإسلامى والمشروعات التى تنشأ فى أحضانه نتيجة للتمويل — سوف تنتعش الصناعة والتجارة كوسيلة لزيادة الإنتاج القومى بالبلاد الإسلامية .

وهذه المنشآت سواء أكانت مالية أم تجارية أم صناعية لا تقوى ولا تنتعش إلا إذا عززتها الحكومات الإسلامية بالمعاونات المالية وبتوجيه سياستها القومية توجيهاً إسلامياً صادقاً حتى لا تتنافى كل هذه المنشآت الاقتصادية مع نظم الشريعة الإسلامية .

ولو قمنا — معشر المسلمين — بهذه الخطوة المباركة وقيض الله لهذه المؤسسة المالية الإسلامية أن تنشأ فى عهد الملك المظيم سعود الأول وبفضل

توجيهاته السامية وتشجيعه الفياض ، لو قمنا بهذه وأنشئ هذا البنك الإسلامى لأصبح من الميسور أن يقوم كثير من المشاريع الاقتصادية الحكومية والقومية مثل إنشاء مصانع للتمر وتصديره للخارج معبئاً بطرق حديثة وتحسينات على صناعته وحفظه وتصدير كميات كبيرة منه بطريقة تدل على تقدم البلاد المقدسة ووعيها .

كما أنه من الميسور أن تقام مصانع للزجاج والفخار والأوانى الصينية ، وكذلك إنشاء مصانع للألمنيوم والنحاس ومصانع للغزل والنسيج على نطاق واسع ، فتنمو بذلك كله حركة التصدير والاستيراد وتنتعش حركة السوق الاقتصادية فى بلادنا ويأتى فى القريب العاجل اليوم الذى نجد فيه المبانى قد اتصلت من مكة إلى جدة ، ولا تمر عدة سنوات إلا ونجد الصحراء المترامية فى ربوع الجزيرة قد تحولت إلى عمران زاخر بالمصانع المنتجة المصدرة والمستوردة .

وبهذا كله يتحقق ما يصبو إليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من أهداف إسلامية نحو زيادة الإنتاج الصناعى والزراعى والتجارى ويؤدى ذلك إلى رفع مستوى معيشة الشعب السعودى الذى تسهر — يا مولاى — على رفاهيته وإسعاده والبلوغ به إلى شأو الحضارة العريقة التى قاد بها العالم من قبل حين كان هذا العالم لا يزال يخطو بخطوات وئيدة فى أول الطريق . ولتكن مكة — يا مولاى — المركز الرئيسى لهذا البنك الإسلامى المرتقب إنشاء الله .



إذا كان العلم والصناعة والزراعة والهندسة والاقتصاد من الأسس التى تقوم على أصولها دعائم الدول الحديثة والرقى بها إلى أرقى مدارج الكمال والعظمة .

نعم إذا كانت تلك دعائم تقوية الأمم والنهوض بها فهناك أمر لا يمكن أن تقوم أمة مهابة حرة تحمى حدودها وترعى عهودها وهى واثقة من التغلب على من يحنث بعهدها إلا إذا كان خلف ظهرها جيش قوى منظم مدرب على أحسن طرق القتال الحديثة ، جيش يصنع لبلاده الاستقرار والسلام ، جيش مجهز بأحدث المصانع والمعامل لإنتاج الأسلحة الحديثة ، ومدعم بالأفذاذ من الخبراء والفنيين والمهندسين ، جيش الجندى فيه متعلم والضابط فيه متعلم .

إن المسلمين فى بقاع الأرض تحوطهم الفتن المأجورة إما من غرب مستعمر وإما من شرق كافر .

وليس من بلد فى العالم الإسلامى يستطيع الآن أن يتبوأ مركز الزعامة غير البلاد المقدسة .

وإذاً فليس أمل شعب الجزيرة أن يكون للبلاد المباركة جيش قوى حديث غنى بكل ما تحتاج إليه الجيوش الحديثة فحسب بل هو أمل الشعوب الإسلامية قاطبة لحراسة حدود الجزيرة والمحافظة على اقتصادياتها ، وهى تريده قوياً كاملاً أكبر عدداً وأكثر عتاداً وعدة من الآن .

مولاى سعود :

لا شك فيما آتخذ بفضل جهادك فى سبيل الإصلاح والتقدم بالجيش السعودى

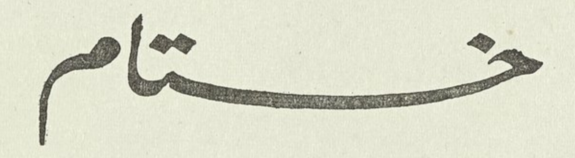
ولقد أوضحنا ذلك فى مكانه من هذا الكتاب . ولكن المسلمين يا مولاى فى جميع بلاد الأرض يبحثون عن قيادة سليمة ، قيادة قوية حكيمة ، قيادة مؤمنة بوجوب حماية الإسلام من دعاة الإلحاد والكفر ، قيادة مؤمنة بأن الإسلام دين صالح للحكم فى كل الأزمان وفى كل البلاد ، قيادة تنادى بحماية الإسلام ومن خلفها جيش الإسلام ، قوى مؤمن ، ينضوى تحت لوائه جميع المسلمين من كافة أطراف الأرض ، جند يقاتل فى سبيل الله يوم يشتد الخطر — خطر المستعمرين والملاحدة — ولن تجد يا مولاى اليوم فى بلاد المسلمين بلداً إلا وفيه جماعات تدعو إلى الكفر والإلحاد وإن أتقنت أساليب الدعوة إلى ذلك بمختلف الطرق وشتى الأساليب ، فتارة باسم العدالة الاجتماعية ، وتارة القومية والوطنية وأخرى باسم التقدم والحضارة ، مستغلين عوامل الجهل والفقر التى انتشرت بين المسلمين ، فلابد يا مولاى والأمر أصبح ينذر بالخطر من أن تستعد للعمل . ولن يستطيع المسلمون أن يعملوا من أجل دولتهم المسلمة فى أى بلد من البلاد الإسلامية الكبرى لأن حكومات هذه البلاد أخذت فى مجاملة الأقليات غير المسلمة حتى ولو كان ذلك على حساب الدين . وهم لا يشعرون أن تلك الأقليات لن تجاملنا نحن معاشر الأغلبية الساحقة بأدنى شىء . لذلك كله أصبحنا نبحث عن قيادة مسلمة ونتشوق كلنا إلى وجود جيش إسلامى قوى ، قوى بأوسع ما تحمل كلمة القوة من معان حتى نستطيع أن نتنفس الصعداء ، فلقد كدنا أن نختنق .

وإنها لحقيقة مرة تلك التى يجب أن تعرفها وتؤمن بها يا مولاى ، وهى أن المسلمين فى كل بقاع الأرض مغلوبون على أمرهم ، إما بيد كافرة مستعمرة ، وإما بيد مسلمة حاكمة بغير ما أنزل من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، مسلمة لأنها ولدت من أبوين مسلمين وسجلت فى شهادة ميلادها أنها مسلمة .

كذلك يطالب المسلمون الذين أيقظتهم مصائب التآمر على الإسلام بقائد قوى يلتفون حوله ،ويتطلعون لأمانٍ عزيزة يرجون أن تتحقق على يديه ، وأنت اليوم يا مولاى الأمل وعليك تتركز الأمانى ، وما تلك النفثات التى سجلتها على صفحات كتابى هذا إلا أمان أنت فجرها ، فمتى نتمتع يا مولاى بصحو ضحوتها ، ومتى ينادى المنادى بتحقيقها ، « يا خيل الله هيا » فتأتيك أفواجاً من البر والبحر والجو ، ومن الجبال والوهاد ، وتقف يا سعود لتنظم الصفوف ، وتصوب الرأى ، وترفع العلم ، وتصف المدافع والدبابات وأسراب الطائرات والكل ينادى من عند كعبة الله ، الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر » .

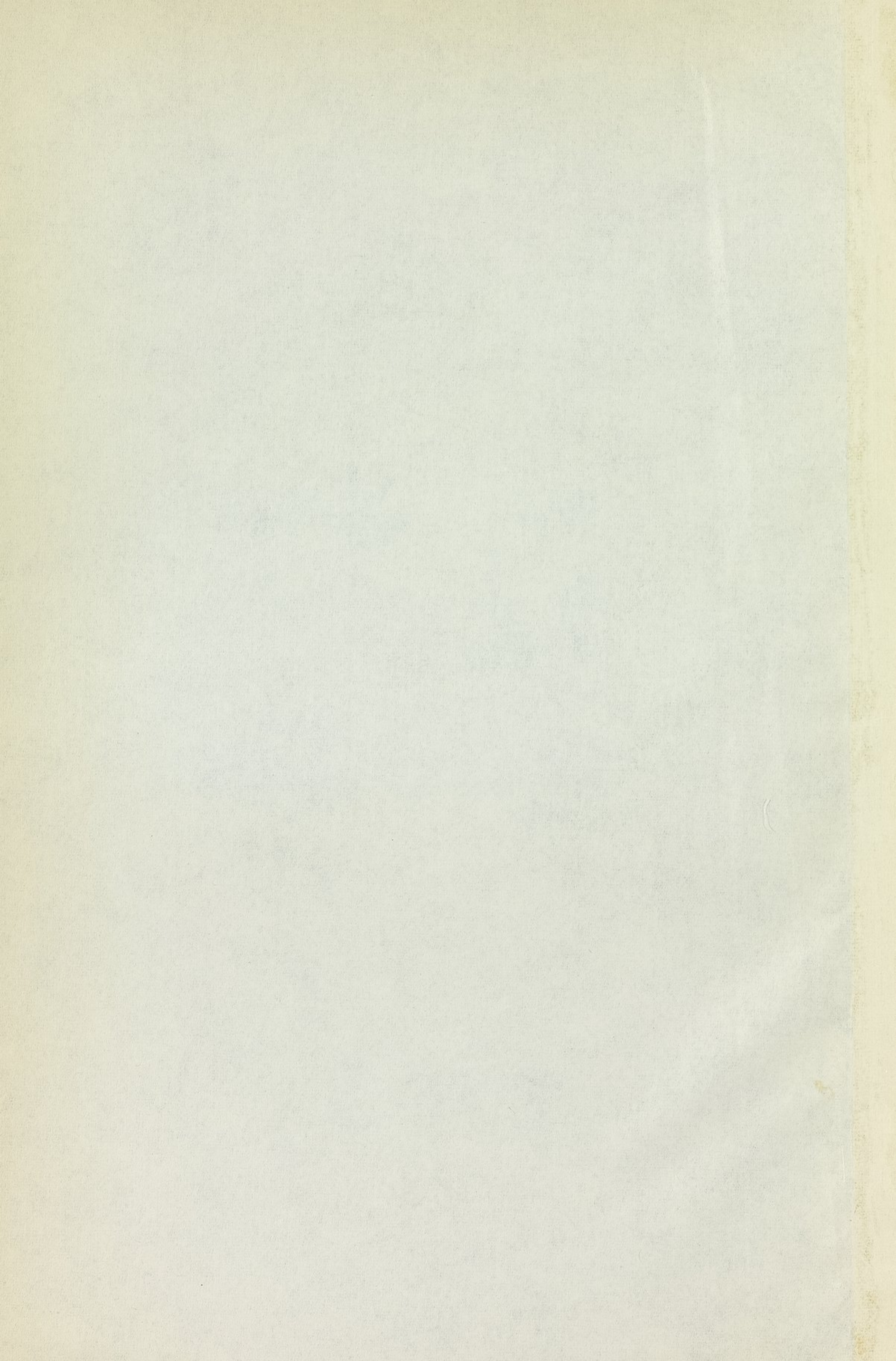
يا مولاى : إن بلاد المسلمين لن تحرر من المستعمرين إلا بالقوة ، القوة التى تساوى بل تفوق قوة المستعمر ، ولن يعود عز المسلمين ومجد الإسلام الأول ونحن عزل ، عزل من قيادة صالحة ومن جيش صالح له عزمة واحدة ورأى واحد وغاية واحدة يتكتل حولها ويعمل من أجلها كل المسلمين .

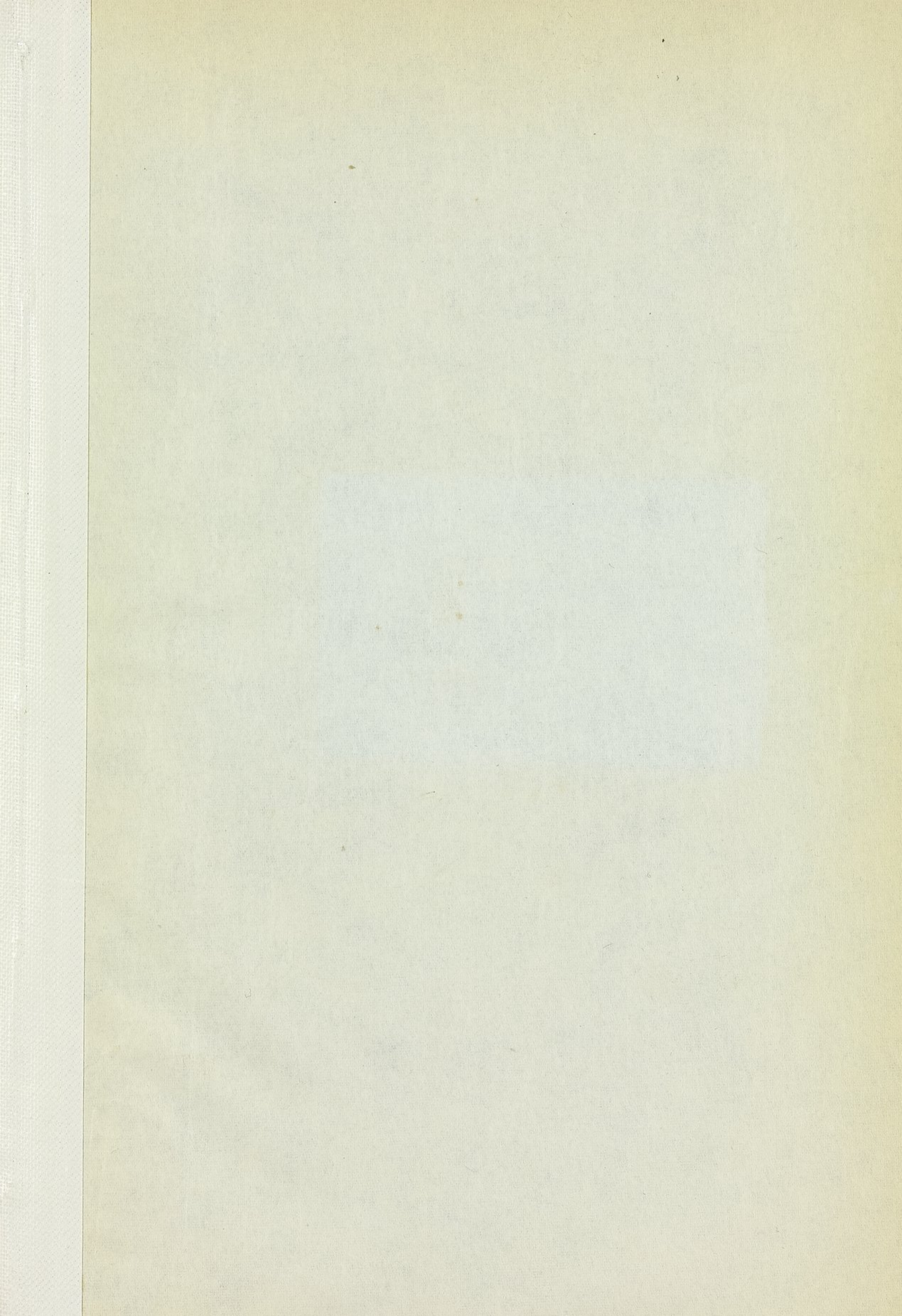
فناد بها يا مولاى العالم الإسلامى تجد جميع المسلمين حولك كالبنيان المرصوص . وأنت لها .



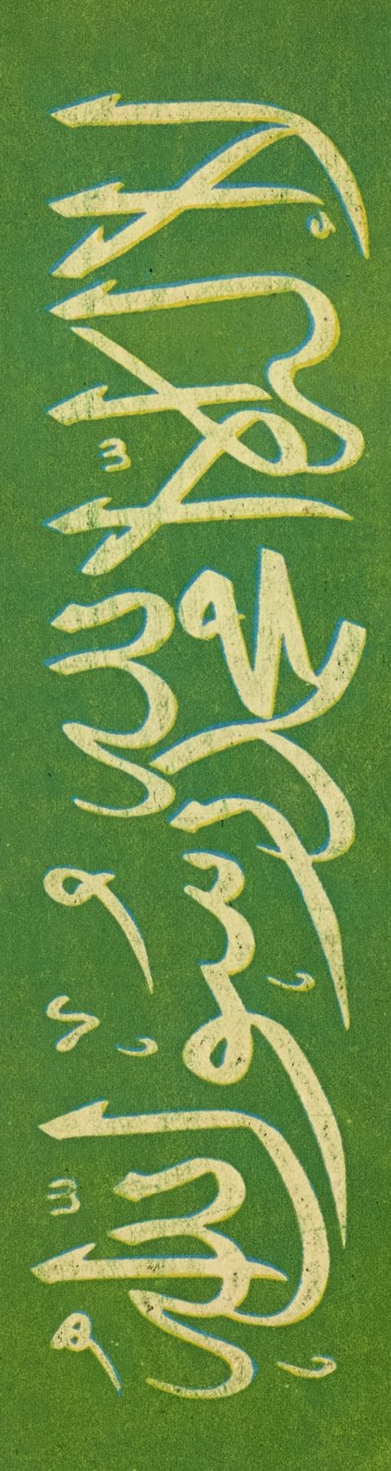
مولاى لقد قدمت ذلك الكتاب لجلالتكم ولشعبكم وللعالم الإسلامى كله . وبالرغم من أنى كتبت كثيراً ، إلا أنى فى الواقع لم أجد نفسى مغتبطة ومحرجة فى آن واحد إلا عند كتابة هذا الكتاب ، فقد شعرت بالحرج عندما كنت أتلمس مزايا شخصيتكم لأرسمها فى ذلك الكتاب ، وكان هذا الحرج ممزوجاً بالاغتباط البالغ مما كتبت عنكم لأنى قد آمنت بشخصيتك الإسلامية الفذة ، وطربت للأمانى الواسعة التى تجيش بها نفسك الكبيرة ، واستبشرت خيراً عميماً بالمواثيق التى كنت تقيد بها نفسك أمام الله عز وجل فى حكم شعبك المخلص أثناء تشرفى بزيارة جلالتكم ، ومن هنا اعتقدت أن هذا الشعب الذى وضع أمانة قيادته نحو النور والحرية والمجد بين يديك إنما كان موفقاً فى اختيار اليد الأمينة التى تعرف واجبها نحو الله ونحو الشعب فى حفظ هذه الأمانة . وهذه الآمال التى أرسمها لك فى هذا الكتاب ليست هى فى الواقع كل الآمال التى تعتمل فى نفوس شعبك الطموح ، وليست هى كل الأمانى التى تجيش فى نفوس المسلمين فى كل أنحاء العالم نحو بلاد الإسلام المقدسة . فلو أنى تعرضت لكل هذه الآمال والأمانى لما اتسع كتاب واحد لتصويرها أو جمع أشتاتها . وهل يمكننى أن أجمع أشتات آمال وأمانٍ أنت أول من يشعر بها ويسعى إلى تحقيقها ؟ ولكن هذا الكتاب لن يكون الأخير فسوف أرقب — ما حييت — مدى تحقيق هذه

الأمانى التى هى فى عنقك والأمانى التى لم أذكرها وأنت أعلم الناس بها ، وأرجو أن أعيش لأكتب لك أو عليك ؛ أكتب لك عندما تنجز وعوداً وعدت بها وحقوقاً اعترفت بها للشعب وعندما تفى بعهود قطعتها على نفسك كمسلم قادر على الوفاء بها ، ثم أكتب محاسبة معاتبة وأعتقد أن ذلك لن يكون ، فلقد عرفت من عزيمتك وصادق إيمانك وثقتك بالله وحسن توكلك على ربك وخوفك من لقائه ومحاسبتك نفسك أنك لن تكون مقصراً فى أداء هذا الواجب ، قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .











مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى